بناء القادة في منهج أهل البيت (ع)

فوزي آل سيف

المقدمة

هذا الكتاب.. محاولة للكشف عن منهج التربية الرسالية لدى أهل البيت (عليهم السلام).

إن هذا التاريخ الثري المليء بالعبر والتجارب التي خلفها المعصومون (عليهم السلام) ومن سار على دربهم من الصالحين، أجدر المواضيع بالدراسة والبحث، خصوصاً أن الحركة الإسلامية اليوم تعتمد العنصر البشري كأهم الأسلحة في صراعها مع الاستعمار.

ولكيلا نضطر إلى استيراد التجارب كقطع غيار السيارات، لا بد أن نتعرف على تجاربنا الذاتية الأصيلة عبر دراسة حياة أهل البيت وحواريهم.. وهذا ما أسعى له في هذا الكتاب.

هل وفقت في ذلك؟!

اترك لك الحكم عزيزي القارئ. ولكن حسبي أنني حاولت محاولة جادة، وحسبي أن أرجو أن يكون هذا بداية الطريق لبحوث وكتابات تبين هذا الجانب المجهول وتنفع الأمة في صراعها القائم.

والله ولي التوفيق

فوزي آل سيف

الفصل الأول

الحاجة إلى القادة

- الاستعمار مرّ من هنا
- الثورة تحتاج إلى قادة
- لاستمرار التحرك
- طبيعة الصراع

نعم.. هل هناك حاجة إلى الكوادر؟! خصوصاً في هذا الوقت الذي تعلو فيه أصوات أجنبية أحياناً ، ومسلمة حيناً ، معلنة معارضتها لطلائع العمل وكوادره ، شخصيات كانت أو تنظيمات .

بل ويشكل أخص في فترات الخوف ، وحين تشتد هجمة الإرهاب والعنف في المجتمع ، وتطال الاعتقالات الكثير من المواطنين حتى أولئك الذين لم ينهوا المرحلة الابتدائية ؟!

وحين يتنمر البعض في دفاعه عن نفسه ومصالحه ، متصوراً أنها ترتبط بالحفاظ على الوضع الموجود .. يعلن هذا السؤال عن نفسه في صور متعددة ، تنتهي إلى العاملين وإلى الطلائع منهم بالذات :

ماذا جنينا من هؤلاء ؟!

وما الذي عاد على المجتمع غير التوتر ، والسجن ، والفوضى !!

ولماذا يقوم هؤلاء بأعمال نتحمل نحن نتيجتها ؟!

وأساساً ما هو نفعهم ؟ وما الحاجة إليهم ؟!

سوف أجيب- عزيزي القارئ – على هذه الأسئلة ، وغيرها التي تصيب أخيراً في قناتها ، عبر الحديث عن ضرورة التوجه لبناء الكوادر وتنميتهم والسعي لزيادتهم في المجتمع ، سواء كان هذا السعي مسؤولية الحركة الإسلامية ، أو سائر أبناء المجتمع . ثم أبين في فصل آخر حرص الإسلام ممثلاً بالمعصومين عليهم السلام على تربية واعداد الطلائع المؤمنة، وسعي كل إمام منهم في هذا الأمر.

١/ الاستعمار.. مرّ من هنا:

تخلصت بلادنا الإسلامية من السيطرة الاستعمارية المباشرة أو هكذا بدا لها، وبدأت تحتمل.. بفرح طفولي بأعياد الاستقلال!! أو بذكرى الجلاء، وتتخذ من هذه الأيام أعياداً وطنية.

و لم يكن الاستعمار غبياً إلى درجة أن يترك هذا الكنز ويرحل حباً في السلام أو التزاماً بقرارات هيئة الأمم!!

لقد خرج من الباب ليعود من النافذة الأوسع، وضمن ظروف أفضل، فإذا كان في السابق يضطر لتخصيص ميزانية ضخمة للإنفاق على القواعد العسكرية والجيوش المرابطة، والتجهيزات القتالية، ها هم أبناؤه وتلاميذه يكفونه المهمة، ويحققون ما أراد دون تكاليف باهظة كالسابق.

إنه يعتمد على أولئك الأفراد الذين وإن كانوا من نفس البلاد إلاّ أنهم تربوا في مدارسه، وتشربوا مناهجه، وطريقة تفكيره، و حينها سلم لهم المناصب والمواقع و لم يخسر شيئاً.

وحتى اليوم لا يزال العدو يدخل بيننا عبر هذه النماذج من الطلاب الذين يذهبون لدراسة العلم، وتحقيق تقدم الأمة واستقلالها، ولكنهم يرجعون مربوطين إلى الفكر الاستعماري برباط وثيق لا ينفكون عنه.

إن غالب الجامعات الأجنبية التي يذهب إليها أبناء مجتمعنا لا تدرس العلم فقط، وإنما تعطي للطالب منهجاً في الحياة، وطريقة للتفكير بل تصنع له انتماءً خاصاً، وهكذا يرجع البعض ليكون أكبر همه أن يقوم بتقليد الغرب وربط المجتمع- قدر إمكانه- بالفكر والنهج الاستعماري.

فليس غريبا أن نجد بعد هذا أن أبرز القيادات المعروفة في بلادنا الإسلامية إنما تم تصنيعها في الخارج، وضمن قوالب أجنبية، وحينها لن يكون عسيراً علينا فهم سبب تخلف الأمة، وانحطاطها حتى اليوم.

هؤلاء الذين تخرجوا من الجامعات الأمريكية والذين يحتلون اليوم مواقع أساسية في الإدارة والحكم في بلادنا الإسلامية.

وهكذا لو شئنا لاستعرضنا الكثير من الأسماء التي ربيت، وأُعدت لتسلم هذا الدور.

والعدو إنما يقوم بهذا الدور لأنه يعرف أهمية التركيز على تربية الكفاءات والكوادر، حيث أنها سترث الوضع الموجود، وستقوم بخدمته بشكل أفضل، وإذا كان العدو يعرف (من أين تؤكل الكتف) ويعد عدته للاستفادة من الفرص عبر هذا السلاح القاطع، فان على المؤمنين أن يكونوا أكثر حزماً ووعياً للاستفادة من هذا السلاح، ذلك أنه بالإمكان تربية الشباب العامل ضمن برنامج إسلامي يخرج الفرد منهم من حالة الحماس والاندفاع العام للعمل في سبيل الله إلى حالة التركيز الشديد والقدرة على التخطيط، وفهم مختلف جوانب الصراع إضافة إلى تهذيب الشخصية.. إن ذلك لهو أقوى أسلحة الصراع.

٢/ والثورة تحتاج القادة:

تتحرك الجماهير تواقة إلى الحرية، معلنة تمردها على الباطل وتتسارع حركتها حتى تسبق التوقعات، وتتجاوز التنبؤات، غير أنها لا تصل إلى النصر إلاّ مع وجود قيادة رسالية مخلصة، فكم من المجتمعات تحركت وقدمت الشهداء والضحايا قرباناً لحريتها واستقلالها، غير أنها (قنعت من الغنيمة بالإياب) كما يقال، فلم تستطع تحقيق أهدافها، هذا رغم ضخامة التحرك.

ولا تقتصر حاجة الثورة والجماهير إلى القيادة على القمة والرأس وإنما تمتد إلى صعيد الوسائط والجسور بين القيادة والجمهور وهذا دور الطلائع والكوادر .

من هنا رأينا كم كان رسول الله (ص) حكيماً عندما بيّن للأمة القيادة الشرعية التي ينبغي أن تسير وراءها .

ووضع الثورة وضع استثنائي ، فينبغي تفويت الفرصة على الأعداء فيه ، إذ من السهل – إذا لم يلتفت المؤمنون – سرقة الثورة ، واختطاف جهود العاملين فقد قيل أن الهزيمة تولد يتيمة والانتصار له ألف أب .. إذ يتشبث كل واحد بذيول النصر ، متصوراً أنه صانعه ، حتى أولئك الذين كانوا يتمنون في يوم من الأيام ، مجرد أمنية ، أن ينتصر المسلمون وأن تنجح الثورة حتى أولئك المتمنون يجعلون أنفسهم أبطال نصر ، ويتسابقون في بيان أدوارهم وأعمالهم القليل من الحقيقة والكثير من الاصطناع . وإلى ذلك يشير القرآن حين يتحدث عن هذه الفئة التي تحب أن تحمد بما لم تفعل ، وتكسب موقعاً من رصيد الآخرين ، بينما لم تشارك أيام الضراء بعمل ، و لم تبذل شيئاً .

إن العدو يمتلك احتياطياً من القيادات المعلبة الجاهزة للتصدير ساعة يرى الفرصة مناسبة ، ولقد كان لأمتنا الإسلامية في أكثر من موقع تجربة مرة مع هذه القيادات .. بعضها نجح في أداء الدور وبعضها فشل بفضل وعي الثائرين .

في إيران حين بدأت الثورة تشتد ، ويقوى ساعدها وبدأت توجه الضربات إلى الهيكل الشاهنشاهي المتآكل ، في نفس الوقت حاول الاستعمار أن يسرق ثورة المؤمنين عبر إبراز تيارات عميلة على السطح مثل شاهبور بختيار وغيره ، ولكنه لم ينجح بفضل الله . ثم بوعي القيادات المؤمنة ، غير أنه في بلد مثل الجزائر نجح فإذا بنا نجد أن تلك الثورة الإسلامية التي أعطى فيها الشعب أكثر من مليون شهيد ، إذا بها تسقط في مستنقع القيادات العلمانية والاشتراكية، فتضيع تلك الجهود.. وهذا ما يحاول الاستعمار اليوم تطبيقه في بقية بلادنا الإسلامية حيث أنه في نفس الوقت الذي يقوم بتشويه صورة العلماء الرساليين والقيادات الصالحة عبر اتهامها بالإرهاب والتطرف، يحأول تلميع صورة الشخصيات المرتبطة به، ففي كل يوم لهم جولة، وأخبار، وإبراز في وسائل الإعلام.

وهنا نحتاج إلى إعداد أكبر عدد ممكن من الكوادر، والعناصر القيادية القادرة على قيادة المجتمع ساعة يتحرك.

٣/ لاستمرار التحرك:

يخطيء من يظن النصر صدفة تخطيء طريقها فتصل إلينا بقدر ما يخطيء أولئك الذين يتصورون الثورة نزهة قصيرة تجري فيها كل الرياح بما نشتهي.

تغيير المجتمع، والثورة على الواقع الفاسد الموجود، عملية معاناة طويلة وشاقة، وعملية مبالغة في بذل الجهد، وقد ينقضي جيل كامل دون أن تكتحل أعينهم برؤية رايات النصر.

والطاغوت الجاثم في بلادنا يهلك الحرث والنسل، لن يجلس جلسة المتفرج وهو يرى العاملين قد شدوا حزام الجد والتحرك. انه سوف يتحرك ويبطش، ولن يتوانى عن فعل ما يراه ضرورياً لإبقاء سيطرته وحكمه.. ألم يقل فرعون للسحرة الذين آمنوا بنبي الله موسى (عليه السلام) مهدداً ومتوعداً (قال آمنتم له قبل أن اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون * لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين)[1]

و اعتماد العاملين والحركة الإسلامية على شخص واحد أو عدد محدود من الأشخاص يجعل فرصة استمرار العمل والتحرك فرصة محدودة، إذ من السهل أن يقوم العدو باستئصال هذا الشخص من بين المجتمع عبر الاعتقال أو الاغتيال بينما تقتضي استمرارية الحركة وجود عدد أكبر من الكوادر والقيادات كلما غاب منهم واحد قام الآخر مكانه. ان انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وما حولها في فترة قياسية بدءاً ببعثة الرسول وحتى سيطرة المسلمين على بلاد الروم وفارس، وانتشاره فيما بعد إلى مختلف أرجاء المعمورة إنما كان بسبب تربية رسول الله (ص) للمسلمين، حيث تحول أكثرهم إلى قادة بالقوة، ومتى ما وجدوا فرصة لتحويلها إلى فعل قاموا بذلك تلك التربية التي تصنع من أسامة بن زيد ذي الثمانية عشر ربيعاً قائداً عسكرياً لأكبر جيش بعثه الرسول ولمحاربة إحدى الدول العظمى آنئذٍ.

إن مجتمعاً توجد فيه هذه القوة، قوة الإنسان المؤمن الحامل قضية لا يمكن أن يقهر.

وإن بقاء حركة التشيع في التاريخ رغم هذه المجازر والمذابح التي تعرض لها قادتها وكوادرها، إنما كان يرجع لهذا السبب، فبالرغم من أن الأئمة (ع) لم يقضى أحدهم حتف أنفه، بل كانوا بين مقتول ومسموم، ورغم أن أصحابهم ووكلاءهم لوحقوا وشردوا، وكانت همة الوالي أن يتقرب إلى الخليفة بسفك دمائهم.. إلاّ أنهم بقوا و لم تتوقف الحركة الرسالية في التاريخ و لم تهدأ إلاّ لتبدأ عاصفة جديدة.

ولو لم تمتلك الحركة الرسالية هذا العدد الكبير من الكوادر الذين حافظوا على الرسالة وجسدوا في حياتهم قيمها وتعاليمها، لأصبح من السهل على أعداء الإسلام أن يغلقوا ملفه ويختموه بالشمع الأحمر، غير أن الله بفضله هيأ هؤلاء ليكونوا حفظة ورعاة.

واليوم حيث تواجه الحركة الإسلامية طغيان الحاكمين والأمويين الجدد لابد ان تتسلح بسلاح الكوادر، كيلا تسقط الراية.

إن استمرار الحركة الإسلامية يقتضي وجود نهج مستمر، يصنع الكوادر ويتجسد فيهم، بحيث لا تستطيع الأحداث العصيبة، والصراعات العنيفة تغيير هذا النهج، أو اغتياله.. وإن الخطأ الذي وقعت فيه بعض الفئات الإسلامية أنها غفلت عن هذا المعنى ، فاكتفت بذلك العدد المحدود من القيادات لديها، حتى إذا تصاعد الصراع

---

[1] / الشعراء/ ٤٩

مع النظام الجائر وجدت هذا العدد القليل من القيادات قد انتهى بين قتيل وسجين ومشرد و أحياناً مستسلم!!
وكان أن أمكن إنهاء نهجاً الثوري الذي بدأت به أو تغييره أو (تهذيبه) !

إن أفضل ما يصنعه الإسلام في نفوس اتباعه ومعتنقيه أن يكشف الحجب عن طاقاتهم الكامنة، ويزيل الغبار عن قدراتهم المخبوءة، فإذا بهذا المرء الذي كان يحسب نفسه (كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها) يبصر واقع حياته كخليفة الله في أرضه أمر بعمارتها، و إصلاح فسادها، ويرفعه حتى يرى العالم الأكبر الذي انطوى فيه فإذا بذلك الأعرابي الذي كان همه لا يعدو عقال بعيره، إذا به يصبح همه جميع البشر..

وان على العاملين أن يستفيدوا من هذه القوة العظيمة في واقع العمل الرسالي، وفي إعداد الطلائع المؤمنة.

٤/ طبيعة الصراع:

الصراع مع العدو صراع حضاري، لا يكفي فيه أن يتم تهديم الأسس التي يعتمد عليها، بل لابد من إيجاد البديل الأفضل قبل وأثناء عملية الهدم. ولإيجاد البديل لابد من توفير صفات إضافية في العاملين على الأقل على مستوى الطليعة. لابد من سد النقص الكمي الموجود لدى العاملين بزيادة كيفية في الصفات والقدرات لدى هؤلاء القلة، وفي غير هذه الحالة تكون المواجهة بين فئتين، فئة كبيرة تمتلك الوسائل المادية وفئة أخرى مجردة عن صفات الانتصار والنتيجة معروفة في معركة غير متكافئة كهذه.

وقد يكون هذا منسجماً مع ما نفهمه من عدد من آيات القرآن الحكيم التي تتعرض لصراع المسلمين القلة مع أعدائهم الكافرين الكثرة، وضرورة توفير صفات استثنائية في معسكر القلة المسلمة لكي تتغلب على كثرة الكفار، مثل الآية الكريمة التي تشترط أن يكون المؤمن نوعياً بمقدار عشرة رجال من الكفار، سواء في شجاعته، أو قدراته الأخرى لتحقيق الانتصار على ا لكافرين.

(ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)[٢] .

ولعل التأكيد على كلمة " صابرون " و اشتراطها في العشرين يبين لنا النوعية المطلوبة.

وهكذا الحال في استعراض القرآن لإحدى تجارب بني إسرائيل بقيادة طالوت في صراعهم مع جالوت ذي الكثرة والجند، حيث يقول ربنا سبحانه:

(فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلاّ من اغترف غرفة بيده فثربوا منه إلاّ قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لأ طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قاذ الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ج ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ج فهزموهم بإذن الله..)[٣]. إننا نلاحظ أن انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة لم يتم إلاّ بإذن الله وبعد توفير عدد من الصفات في المؤمنين كشف عنها الامتحان الذي قام بها طالوت لجنوده في شرب الماء.. حيث أبرزت عدداً من الصفات في معسكر القلة " . . إلاّ قليلاً منهم "، من هذه الصفات طاعة القيادة والانتماء الكامل إليها حيث أطاعت القلة أمر

---

[2] / الأنفال/ ٦٥

[33] / البقرة/ ٢٤٩- ٢٥٠

طالوت بعدم الشرب من النهر، ومنها الصبر على العطش ومقاومة أهواء النفس، ومنها التوكل على الله والثقة بنصره.. عبر هذه الصفات انتصر مجتمع بني إسرائيل بقيادة طالوت على جالوت وجنوده، وعبر هذه الصفات تنتصر كل الفئات على أعدائها.

إن العاملين في سبيل الله مهما كثروا إلاّ أنهم أقل عدد وعدة من العدو لذا فالحاجة تشتد إلى أن يكون كل عنصر من العاملين حاملاً لصفات إضافية، ومميزات تجعله يتفوق بمفرده على عدد كبير من الأعداء. ويلزم ذلك أن يوجد منهج لتربية العاملين لكي يتحولوا إلى طلائع وقادة.

ووجود هذه العناصر المتفوقة على العدو حضاريا يجعل الحركة الإسلامية قادرة على إزالته وإنهاء وجوده بشكل طبيعي.

الفصل الثاني

أهل البيت وبناء القادة

- حواريو المعصومين .
- تفاضل الحواريين .

هناك عدة نظريات بالنسبة إلى الثورة والعنصر الفاعل فيها. بعضها يعتمد السلاح، وأنه لا يمكن تغيير الوضع الفاسد إلاّ بالرصاصة، وأي عمل خارج إطار البندقية لغو. معللين أن العنف لا يرفعه إلاّ العنف، ولذلك فمن العبث إضاعة الوقت في برامج غير أساسية.

البعض الآخر يعتمد على تغير وتبدل وسائل الإنتاج، وما تفرزه من صراع عنيف بين الطبقات يؤدي أخيراً إلى سيطرة القوى الكادحة، وإزالتها للقوى البرجوازية من ساحة السيطرة.

وهناك نظريات أخرى..

وللإسلام رؤيته الواضحة وبصيرته النافذة في هذا الموضوع إذ أنه يتوجه إلى الإنسان، فيصيغه صياغة جديدة، ويصنعه وفق أسسه الخاصة ثم يصنع به الثورة. إن هذا الإنسان كنز غير مكتشف حتى لنفسه، ووظيفة الإسلام أن يكشف عن هذا الكنز، ويزيل الغبار العالق به.

ولهذا كرمه الله وجعله خليفة في الأرض، وأنعم عليه بنعم اختصه بها دون سائر مخلوقاته: نعمة العقل ليميز بين الخير والشر، ونعمة الإرادة ليتخذ موقفه حسبما يمليه علمه عليه، ونعمة الوحي لتعيد إليه توازنه وتثير دفائن عقله[4]
ولو لم يكن للإسلام معجزة سوى تربيته لهذه المجموعات الرائعة لكفى بها معجزة.. فقد وجدنا أهل البيت (عليهم السلام) يركزون على هذا الجانب ويرعونه حق الرعاية. وسوف نتعرض إلى هذا الجانب في الصفحات القادمة.

من الأمور الضرورية التي يتنبه إليها العاملون مسألة بناء مجموعات خاصة يولونها عناية واهتماماً أكثر مما يفعلون بسائر أصحابهم ويخصونهم بنوع معين من التوجيهات والوصايا، إضافة إلى تربيتهم تربية استثنائية.

وهذا الأمر كما قدمنا في صفحات سابقة ضروري سواء لاستمرار التحرك أو لقيادة الثورة، أو للنجاح والانتصار في الصراع مع العدو، غير أنه ليس أمر جديداً ومبتكراً كما يتصور البعض حين نتكلم عن تربية الكوادر، وإذا كانت التسمية حديثة واستخدمناها هنا للتوضيح، فان المعنى موجود منذ القدم، ذلك إن القرآن

---

[4] / البعث الاسلامي / السيد محمد تقي المدرسي

الكريم يتحدث عن نبي الله عيسى (عليه السلام) قبل آلاف السنين، ويبين وجود هذه المجموعة التي يسميها الحواريين فيقول:

(وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) [5].

والمعصومون- عليهم السلام- وهم أصحاب رسالة تغييرية شاملة لاشك أنهم- وهم أعلم الناس- يرون هذا الأمر وفعلاً فقد قاموا بتربية عدد من الناس وجدنا دورهم متميزاً، بفعل التربية الاستثنائية التي تلقوها من المعصومين (عليهم السلام)، ورغم أن أصحابهم (عليهم السلام) كانوا كثيرين إلاّ أننا نجد أنه في حياة كل واحد منهم كان هناك مجموعة خاصة، أشاروا إليها بالاحترام والتقدير.

حواريو المعصومين (عليهم السلام):

النص الذي سوف ننقله يبين لنا عرضاً مجملاً لهذه المجموعات في حياة كل معصوم، ويمكن للمتابع أن يدرس حياة هؤلاء العناصر ومواقفهم لكي يتبين أثر هذه التربية. ولا يعني إيرادنا للحديث الشريف أن الأئمة لم يكن لديهم في هؤلاء المذكورين في الحديث من العناصر، فبالاستفادة من أحاديث أخرى سنوردها يتضح لنا وجود عدد من الكوادر الذين قاموا بأدوار مهمة، وخصهم الأئمة (عليهم السلام) بمزيد من الاهتمام تبعاً للدور المطلوب منهم.

أما النص الذي يتحدث عن حواري الأئمة فعن الإمام موسى بن جعفر(عليهما السلام) قال:

" إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حواري محمد بن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر ثم ينادي مناد أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبدالله رسول الله ؟! فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد و أويس القرني، ثم ينادي المنادي أين حواري الحسن بن علي بن فاطمة بنت عمد بن عبدالله رسول الله "؟ فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمداني وحذيفة بن أسيد الغفاري ثم ينادي المنادي أين حواري الحسين بن علي؟ فيقوم كل من استشهد معه و لم يتخلف عنه ثم ينادي المنادي أين حواري علي بن الحسين فيقوم جبير بن مطعم ويحيى بن أم الطويل وأبو خالد الكابلي وسعيد بن المسيب ثم ينادي المنادي أين حواري محمد بن علي وحواري جعفر بن محمد؟ فيقوم عبدالله بن شريك العامري وزرارة بن اعين وبريد بن معاوية العجلي ومحمد بن مسلم وأبو بصير ليث بن البختري المرادي وعبدالله بن أبي يعفور وعامر بن عبدالله بن جداعة وحجر بن زائدة وحمران بن أعين ثم ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمة يوم القيامة فهؤلاء المتحورة أول السابقين وأول المقربين وأول المتحورين من التابعين " [6].

وليس وضحاً ما إذا كان الإمام الكاظم (عليه السلام) وهو قائل الحديث قد سكت عن بقية الحواريين بدءاً من حوارييه (عليهم السلام) وانتهاء بحواري بقية الأئمة مكتفياً بالحديث عن حواري آبائه وأجداده عليهم السلام.. هل كان ذلك لأجل التقية وما تفترضه من إخفاء أسمائهم حفاظاً على حياتهم من جهة وعلى سرية العمل من جهة أخرى، أو لسبب آخر، وعموماً سنتعرض للموضوع في موقعه في حواري الإمام الكاظم (عليه السلام).

---

[5] / المائدة/ ١١١

[6] / رجال الكشي ١/ ٤١

وباستعراض سريع نجد أن الأئمة (عليهم السلام) قد تحدثوا عن حواريهم وكوادرهم موجهين أصحابهم الآخرين إلى الأخذ عن هؤلاء والرجوع إليهم خصوصاً في حالة عدم قدرتهم عن الرجوع إلى الأئمة مباشرة.. مع ملاحظة أن دائرة هؤلاء قد تتسع فتشمل أسماء لم ترد في الحديث المتقدم الذكر، الذي ذكر حواري الأئمة ليس على سبيل الحصر كما نعتقد و إنما باعتبار هؤلاء الأفضل بين الحواريين.

١/ حواريو الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

– عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الله أمرني بحب أربعة.. قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي "[٧].

– في حديث آخر يتحدث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بعض صحابته موصياً أمير المؤمنين بهم فعن علي (عليه السلام) أنه سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلاً:

" يا رسول الله انك قلت إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة فمن هؤلاء الثلاثة؟

قال: أنت منهم وأنت أولهم، وسلمان الفارسي فإنه قليل الكبر وهو لك ناصح فاتخذه لنفسك، وعمار بن ياسر شهد معك مشاهد غير واحدة ليس منها إلاّ وهو فيها كثير خيره، ضوي نوره عظيم اجره ".

ورغم أن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي رأوه يزيدون على (١٤٠) ألف كما تدل بعض الروايات، إلاّ أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) اختص بعدد من الأولياء الأوفياء، ركز عليهم و أورثهم علمه،

وأدبهم بأدبه وأولهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أثر قوله: " أنا اديب الله وعلي أديبي "[٨].

والى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين في وصيته التربوية الرائعة لكميل بن زياد قائلاً في مطلعها: (يا كميل إن رسول الله صلى الله عليه وآله أدبه الله عز وجل وهو أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث الأدب المكرمين)[٩].

وسوف نتعرض إلى ذكر موجز عن حياة بعض حواري المعصومين (عليهم السلام) لنشاهد أثر التربية الرسالية التي تلقوها في حياتهم الحافلة.

سلمان المحمدي:

اختلفوا في مقدار عمره ولكنهم اتفقوا على صفاته، وأولها وأهمها البحث عن الحقيقة.

قلة من الناس من يملكون هذه الصفة، فيطوون القفار، ويركبون الصعاب لأجل فكرة حقة، ونهج سليم، بينما الأكثرية تعتقد– عادة– بصواب أفكارها، ولا تكلف نفسها حتى عناء مراجعتها وتقييمها.

وهذا لعمري سبب رئيسي لتخلف الكثير، وبقائهم في أسفل السلم. والمنهج الإلهي يريد تعليمنا هذه الحقيقة باستمرار كما في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) الإرشادية حين رأى الكواكب الآفلة، وكان يعلم الناس

---

[7] / رجال الكشي ١/ ٤٦.

[8] / رجال الكشي ج٢.

[9] /) تحف العقول.

منهج البحث عن الحقيقة.

وقصة حياة سلمان (رضوان الله عليه) تعبير رائع عن هذا المفهوم..

ففي بداية حياته أجبره أبوه على التكيف مع المجوسية، ولكن قلبه العاطش للحقيقة لم يرتض هذا الطريق، حتى ذهب إلى دير النصارى وبقي فيه زمناً، و لم يكن نصيبه هنا أفضل من سابقه فاتجه قاصداً تهامة وفي الطريق استرق وبيع على أنه عبد ليهودي، ثم إلى امرأة حتى وصل أخيراً إلى الحق، ووجد ضالته لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

اختص سلمان برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعلي (عليه السلام) ولذا استطاع فهم الإسلام وبرز بين جميع المسلمين بل فاقهم، فعن عائشة قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكمل مشوار تربيته علي (عليه السلام) الذي يقيمه عندما يسأله أحد أصحابه عن سلمان.. ما تقول فيه؟!

فقال (عليه السلام):

" ما أقول في رجل خلق من طينتنا وروحه مقرونة بروحنا خصه الله تعالى من العلوم بأولها وآخرها وظاهرها وباطنها وسرها وعلانيتها ".

ويحدد الإمام الصادق (عليه السلام) سبب رفعة سلمان ووصوله إلى هذه الدرجات من الكمال حتى قال فيه الرسول أنه منهم أهل البيت، معللاً ذلك بذوبانه في قيادته وتقديمها على نفسه وهواه، وكونه مع الفقراء والمستضعفين، وسعيه الدائم للمعرفة و أهلها.

فعن منصور بزرج قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : ما أكثر ما أسمع منك يا سيدي ذكر سلمان الفارسي.. فقال: " لا تقل سلمان الفارسي ولكن قل سلمان المحمدي.. أتدري ما كثرة ذكري له؟ قلت: لا. فقال: لثلاث خصال:

أحداها: إيثاره هوى أمير المؤمنين على هوى نفسه.

والثانية: حبه للفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد.

والثالثة: حب العلم والعلماء.. ان سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً وما كان من المشركين !.

وبعدة وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحين ضل أكثر الناس الطريق السليم وجروا مع الواقع الفاسد وقف سلمان بما عهد عنه من بصيرة مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، عندما تولى ولاية المدائن من قبل الخليفة الثاني لم يتم ذلك إلاّ بعد أن أخذ رأي أمير المؤمنين (عليه السلام) في الأمر، وكان يسير على نهج علي (عليه السلام)، حاكماً زاهداً ، يكسب – وهو حاكم- من كد يده عبر عمل الخوص.

وعندما جاء إلى المدائن لم يكن يملك إلاّ زوادته وعصاه فلما استقبله الناس ما عرفوه حتى دخل المدائن فمهدوا له قصر الإمارة فقال استأجروا لي حانوتاً في السوق أحكم بين الناس فاستمر على هذه الحال حتى فاض نهر دجلة وخربت بسببه أكثر المنازل.. فلما قربت المياه من الحانوت وضع سلمان جلد كبش كان فراشه على ظهره وأخذ زوادته وعصاه ورقى فوق الجبل وقال: هكذا ينجو المخفون.

واستمر في حياته المليئة بالبركة والعطاء، وهو في كل لحظاتها قدوة و أسوة للرساليين، فسلام عليه يوم

كان باحثاً عن الحق، وسلام عليه يوم انتمى للرسالة وتربا بتعاليمها، وسلام عليه يوم ذهب إلى لقاء ربه الكريم.

المقداد بن الأسود الكندي: ت سنة ٣٣ هـ

أحد الأركان الأربعة.. الوحيد الذي لم يدخله شك في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يتغير منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى فارق الدنيا- طرفة عين.. لم يزل قائماً قابضاً على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين (عليه السلام) ينتظر متى يأمره فيمضي) كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) .

شارك في مشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه بشأن الحرب قال له المقداد: يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون)، ولكن والذي بعثك بالحق إنا نقول لك أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

غير ان الموقف المشهود الذي وقفه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشجاعته في تأييد علي (عليه السلام)، مع نفر قليل إذ تخلى الكثير عن موقفهم المبدئي إما رغبة أو رهبة أو تحت وطأة المفاجأة إلاّ ثلاثة: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي.

وبين هؤلاء كان المقداد هو الأكثر ثباتاً فعن الصادق (عليه السلام):

" ما بقي أحد إلاّ وقد جال حولة إلاّ المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر الحديد "، وكان ينتظر الأذن من أمير المؤمنين (عليه السلام) كما تقدم في الحديث الأول.

وبعد أن مرت السنوات وعادت المسألة من جديد في (الشورى)، كان له موقف عنيف تجاه ما يجري، فقد أقبل والناس مجتمعون فقال أيها الناس اسمعوا ما أقول: إنكم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا، فقام عبدالله بن ربيعة بن المغيرة المخزمي وقال: أيها الناس إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا. وقال له المقداد: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون؟

وبعد أن تم الأمر لقي المقداد عبد الرحمن بن عوف، فقال له: إن كنت إنما أردت بما صنعت الدنيا فاكثر الله مالك. فقال عبد الرحمن: أسمع رحمك الله أسمع.. فجذب المقداد يده وقال: لا أسمع والله.

وكان دائم التوبيخ لعبد الرحمن بن عوف على موقفه تجاه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد لقيه ودار هذا الحوار:

- المقداد: والله يا عبد الرحمن ما رأيت مثلما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم.

- عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟!

- المقداد: والله إني لأحبهم لحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم ويعتريني وجد لا أبثه بثة لتشرف قريش على الناس بشرفهم واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله من أيديهم.

- عبد الرحمن: ويحك لقد أجهدت نفسي لكم.

- المقداد: والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم يوم بدر وأحد.

- عبدالرحمن: ثكلتك أمك يا مقداد لا يسمعن هذا الكلام منك الناس أما إني والله خائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة.

- المقداد: إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة ولكن من أقحم الناس في الباطل

وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة[10] .

وصدق الرسول الكريم حين وصف المقداد بأنه لا يقاس بغيره، وأنه نسيج وحده فقال:" إنما منزلة المقدار بن الأسود في هذه الأمة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء "[11].

عمار بن ياسر العنسي: ت سنة ٣٧ هـ

" صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة".. كلمة قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مشجعاً أولئك المعذبين على يد قريش وبقيت تحطم صخور النسيان بازميل الخلود.

أسلم عمار وآمن برسالة رسول الله، وتفاعل معها بكل خلاياه، ورغم الأذى والتعذيب الذي بلغ به إلى درجة أنه لم يكن يدري ما يقول أو يعي ما يتكلم، إلاّ أنه استطاع أن يستوعب توجيهات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصل في درجات القرب من نهجه وخطه إلى أن يقول فيه الرسول: " عمار جلدة ما بين عيني وانفي"، " إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه "، ويخاطبه قائلاً: " إنك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية "

أيضاً كان كأخوته في الرسالة من المكافحين عن حق علي (عليه السلام) فبعد أن بويع عثمان قام عمار بن ياسر ونادى: يا معشر المسلمين أنا قد كنا وما نستطيع الكلام قلة وذلة فأعزنا الله بدينه وأكرمنا برسوله فاحمد الله رب العالمين يا معشر قريش إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم تحولونه ها هنا مرة وها هنا مرة ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.. فقام له هشام بن الوليد بن المغيرة بمنطق العلو الجاهلي، والاستكبار القرشي فقال له: يابن سمية لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك ما أنت وما رأت قريش لأنفسها انك لست في شيء من أمرها و إمارتها فتنح عنها.

ولقد كان حساسا للمظالم التي كان يراها من ولاة عثمان وكان يتحدث عنها، مما سبب أن يعتدي عليه أعوان السلطة ويؤذوه.

ختم حياته الشريفة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين، وكان في المعركة لا يأخذ في ناحية إلاّ رأيت أصحاب محمد يتبعونه كأنه علم لهم، وهو يقول لهاشم بن عتبة: يا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنة اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وانهم على الباطل.

ووقف علي أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤبنه بعد شهادته وهو يناهز التسعين:

(إن امرأ من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمار بن ياسر ويدخل عليه المصيبة لغير رشيد رحم الله عماراً يوم اسلم ورحم الله عماراً يوم قتل ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة إلاّ كان رابعاً ولا خمسة إلاّ كان خامساً).

٢/ حواريو الإمام علي (عليه السلام):

تتداخل اسماؤهم مع حواري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك لأنهم هم الذين ناصروا علياً (عليه

---

[10] / أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين ١٠/ ١٣٤

[11] / بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ٢٢/ ٤٣٩.

السلام)، ووقفوا معه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

– فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: " ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة (بن اليمان).. وأنا إمامهم " [12].

غير أن هذه الدائرة تتسع لتشمل عدداً أكبر من أصحاب علي (عليه السلام) هم أولئك الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه مجلس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبادلوا معه كلاماً عنيفاً مدافعين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهم كما عن أبان بن تغلب قال قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد (عليهما السلام) جعلت فداك هل كان أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه ومجلس رسول الله؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وبريدة الاسلمي ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري ٠٠) [13].

وطيلة ٢٥ سنة قضاها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعيداً عن الحكم،اشتغل (عليه السلام) بتربية هذه المجموعات من بقي منها، وبتلك العناصر الأخرى التي أعدها الإمام للظروف الصعبة التي علم أنها ستمر على الأمة بعد حكومة بني أمية، وحاجة الإسلام إلى عناصر يجسدون الإسلام ويحفظونه بين الناس، ويقفون مواقف بطولية تكسر جبروت السلطة وطغيانها.. ورغم كثرة المذابح التي قامت بها السلطة الأموية بحيث تحولت مطاردة أصحاب الإمام وكوادر إلى قانون دائم إلاّ أنهم لم يستطيعوا أن ينهوا وجودهم المعنوي بين الناس، ولا يزال التاريخ يحتفظ بمواقفهم البطولية، مشيراً إلى أثر تربية الإمام لهم أمثال كميل بن زياد، وحجر بن عدي، ورشيد الهجري، ومحمد بن أبي حذيفة ونظرائهم.

أويس القرني:

نموذج من الجنود المجهولين، أولئك الذين يعرفهم أهل السماء أكثر مما يعرفهم أهل الأرض. تحدث عنه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولم يره وأخبر عنه أنه يشفع في مثل ربيعة ومضر. انه (رضوان الله عليه) مصداق عدد من الأحاديث الشريفة التي تصف المؤمن بخمول الذكر، وعدم الشهرة بين الناس، وانه لو علم الناس ما لديه لتناولوه بأيديهم.

كان من خيار التابعين مدحه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إذ أنه كان ذات يوم بين أصحابه فقال لهم: ابشروا برجل من أمتي يقال له أويس القرني فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر.. ثم التفت لعمر وقال له: يا عمر ان أدركته فأقرأه مني السلام.. فبلغ عمر مكانه بالكوفة فجعل يطلبه في الموسم لعله يحج حتى وقع إليه هو وأصحاب له وهو من أحسنهم هيئة وأزينهم جلالاً، فلما سأل عنه أنكروا ذلك عليه قائلين، أتسأل عن رجل لا يسأل عنه مثلك ؟– وكان حينها خليفة– فقال: لِم؟

---

[12] / رجال الكشي ١/ ٣٥ .

[13] / رجال السيد بحر العلوم ٢/ ٢٣٢

قالوا: لأنه عندنا مغمور في عقله وربما عبث به الصبيان.

فقال: ذلك أحب إلي.

وعندما أُرشد إلى موضعه وقف عليه وقال: يا أويس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ عليك السلام، وقد أخبرني انك تشفع لمثل ربيعة ومضر، فخر أويس ساجداً ومكث طويلاً ما ترقأ له دمعة حتى ظنوا أنه قد مات فنادوه حتى قام من سجدته.. ولما سمع الناس ذلك أخذوا في طلبه والتمسح به.. فكان يقول: ما لقيت أذى مثلما لقيته من عمر[١٤] يقصد أنه شهره بين الناس..

هكذا كانت حياته.. رجل مغمور، مشغول بعبادته وبرسالته، يخشى الظهور ويبتعد عن معرفة الناس، والشهرة حتى استشهد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين.

فعن الأصبغ بن نباتة قال: كنا مع علي (عليه السلام) بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، فقال: أين تمام المئة ؟! لقد عهد إليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبايعني في هذا اليوم مئة رجل.. فبينما هو كذلك إذ جاء رجل عليه قباء صوف، متقلداً بسيفين فقال: ابسط يدك أبايعك، فقال علي (عليه السلام): على ما تبايعني ؟!

قال: على بذل مهجة نفسي دونك.. فسأله: من أنت ؟

قال: أنا أويس القرني، فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قتل.

وما لبث بعض جنود معاوية أن علموا أن أويساً قد أصبح في جند أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى تحولوا إليه، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لما كان يوم صفين خرج رجل من أهل الشام على دابة فقال: أفيكم أويس ؟ قلنا نعم ما تريد منه؟! قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أويس القرني خير التابعين بإحسان.. ثم عطف دابته ودخل مع علي (عليه السلام).

أبو ذر الغفاري:

جندب بن جنادة.. ثائرٌ الكل يدعيه، وينتسب إليه، ولكنه يبقى نسيج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتربية أمير المؤمنين (عليه السلام).. لا نستطيع هنا استقصاء أحواله، والحديث عن حياته.. ولكننا نفهرس.

أحد الأركان الأربعة (سلمان- المقداد- حذيفة- أبو ذر)، حدد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصيته من البداية، ونمى فيه الصفات الجديرة بالكادر الرسالي، الصدق، الثورية والعنف ضد الباطل، ورعى أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الرسول هذه الشخصية التي تركت أثراً بالغاً في حياة الأمة.

- " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبى ذر يعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويدخل الجنة وحده ".

- " أبو ذر في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه ".

هذه بعض الأوسمة التي علقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدر حياته، داعياً المسلمين للاقتداء به.. انتمى للرسالة وبايع على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، على أن لا يخضع للباطل، وقد وفى مع أن الثمن كان باهظاً في الربذة.

---

14 / معجم رجال الحديث . آية الله السيد الخوئي ٣/ ٢٤٦

وعلى أساس هذا الانتماء قاوم الانحراف، في المدينة وفي الشام، لا يهم عنده أن يتغير مكانه، المهم أنه هو لم يتغير، كان يلخص الوضع للمسلمين كالتالي:

- " والله اني لأرى حقا يُطفى وباطلاً يحيى وصادقاً مكذَّباً واثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه ".

وكان يذهب إلى معاوية في قصره الخضراء..

- " إن كان من مال المسلمين فهي الخيانة وإن كان من مالك فهو الإسراف "

- " سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولا".

كان يعرف قيادته الرسالية في معمعة الأحداث، وكان يوصي الناس بالانتماء إليها. يقول أبو سخيلة: (حججت أنا وسلمان بن ربيعة فمررنا بالربذة فأتينا أبا ذر فسلمنا عليه فقال لنا: إن كانت فتنة وهي كائنة فعليكم بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول علي أول من آمن بي وصدقني وهو أول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهو الفاروق بعدي يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة). وهكذا كان في كل المواقف ثائراً رسالياً، مقاوماً للباطل لا يقبل المداهنة ولا المساومة، ورغم محاولة السلطات آنئذٍ احتواءه واستقطابه بالمال مستغلة- كما تتصور- ظرف الفقر والوضع المادي السيئ له.. إلاّ أنه ظل ثابت الانتماء، عنيف الثورة ضد الباطل. فعن الصادق (عليه السلام) قال: (أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين له ومعهما مائتا دينار فقال لهما: انطلقا بهما إلى أبي ذر فقولا له: إن عثمان يقرؤك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك.. فقال أبو ذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني ؟! قالا: لا قال: فإنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين.

قالا له: انه يقول: هذا من صلب مالي وبالله الذي لا إله إلاّ هو ما خالطها حرام ولا بعث إليك بها إلاّ من حلال.. فقال: لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس.. وقد أصبحت غنياً بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعترته الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون)[١٥].

حذيفة بن اليمان العبسي: ت سنة ٣٦ هـ

معرفة العدو الداخلي الذي يكمن في نفس جبهة المسلمين، فينخر كالسوسة الأساس أمر خطير، وكأي جماعة كان بين أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منافقون تحدث عنهم القرآن الكريم.. ومعرفة هؤلاء لا تتيسر إلاّ للمخلصين الذين تفانوا في الرسالة وأولهم كان حذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه)، حيث لقب بـــ (صاحب سر رسول الله) و (عارف المنافقين).

منذ أن كان شاباً حاول الالتحاق بجبهة الحق في غزوة بدر مع والده، ولكن المشركين وقفوا في طريقهما وأعادوهما.. شارك في غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشاهد بعينه قتل والده على يد المسلمين في معركة أحد خطأ، و لم يتأثر و إنما استغفر للمسلمين.

ولصفاته المتميزة فقد كان يوكل إليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المهمات الصعبة، ففي غزوة الخندق حيث اجتمعت الأحزاب كما تجتمع اليوم لإطفاء نور الله، و أحاطوا بالمدينة ويصف القرآن الكريم الحالة

---

[15] / تنقيح المقال في علم الرجال/ للعلامة المامقاني ١/ ٢٣٤

فيقول:(واذ زاغت الأبصار وبلنت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) كان الليل قد أرخى سدوله وغرقت المخلوقات في بحر الظلام، وكانت الرياح تهب عاصفة فتضيف إلى سواد الليل وحشة، هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يعرف آخر أخبار معسكر المشركين ولكن من لهذه المهمة ؟. أن يذهب في هذا الليل البهيم رجل إلى معسكر الأعداء.. وانتخب الرسول حذيفة وأوصاه أن لا يقتل أحداً ويعود بالأخبار.. ولنترك حذيفة يكمل.. يقول: وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما يستمسك لهم بناء ولا يثبت لهم نار ولا يطمئن لهم قدر فاني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله ثم قال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه؟ فبدأت بالذي عن يميني (قبل أن يحدث العكس) فقلت من أنت؟! قال: أنا فلان.. ثم عاد أبو سفيان وأمر وركب راحلته وأمر جيشه بالرجوع فقلت في نفسي لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فذكرت ما أوصاني به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجعت وأخبرته بما حدث [١٦].

وقد اختص بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى عد من الأركان الأربعة.

وكان حارساً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عمار حتى نزلت الآية: (.. والله يعصمك من الناس) كما كان عارفاً بالمنافقين وعناصر الطابور الخامس بين صحابة الرسول، بعد أن أعلمه بأسمائهم و لم يعلم غيره[١٧] .. وبعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اشترك في عدد من الحروب لفتح البلاد المشركة فشارك في فتح الري، وهمدان، ودينور، وكان قائد الجيش في معركة نهاوند بعد النعمان بن مقرن.

وبعد الرسول كان من المتجاهرين في التشيع، وفي الولاء لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان على رأس السبعة الذين ساروا على منهاج نبيهم و لم يبدلوا. ولكفاءته وحسن إدارته عينه الخليفة عمر والياً على المدائن واستمر في هذا المنصب رغم كراهة عثمان لذلك حتى قتل عثمان، ووصل الخبر إلى حذيفة وكان مريضاً على الفراش فتحامل على نفسه حتى وصل المسجد وخطب في الناس مبيناً فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) داعياً الناس إلى بيعته حامداً الله أن رأى الخلافة تؤوب إليه، وعندما دنت منه الوفاة أوصى ابنيه (صفوان) و (سعيد) أن يلزما أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى يستشهدا معه.

– عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

" حذيفة بن اليمان من أوفياء الرحمن " [١٨].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما سئل عن أصحابه، وسئل عن حذيفة قال :

".. علم أسماء المنافقين وسال عن المعضلات حين كفل عنها ولو سألوه لوجدوه بها عالما به "[١٩] .

٣/ حواريو الإمام الحسن (عليه السلام):

الرواية المتقدمة تذكر أن حواري الإمام الحسن (عليه السلام) هما سفيان بن أبي ليلى الهمداني وحذيفة بن أسيد

---

16 / بحار الأنوار ٢٠/ ٢٠٨.

17 / رجال المامقاني ١/ ٢٦٠.

18 / بحار الأنوار ٢٢/ ٣٤٣.

19 / نفس الرحمن ص ٥٠ عن الغارات

الغفاري، وسوف يأتي فيما بعد أن اسم حذيفة الغفاري يقترن بما يسمى ديوان الشيعة فقد جاء أنه رأى فيه اسمه عند الحسن بن علي وعند علي بن الحسين(عليهما السلام) يقول لما انصرف الحسن (عليه السلام) إلى المدينة بعد الصلح صحبته وكان بين عينيه حمل بعير لا يفارقه حيث توجه.. فقلت له ذات يوم. جعلت فداك يا أبا محمد هذا الحمل لا يفارقك حيثما توجهت.. فقال: يا حذيفة: أتدري ما هو؟ قلت: لا قال: هذا الديوان. قلت: ديوان ماذا ؟ قال: ديوان شيعتنا فيه أسماؤهم، قلت: جعلت فداك فأرني إسمي. قال: فاغد بالغداة.

قال حذيفة: فغدوت إليه ومعي ابن أخ لي وكان يقرأ و لم اكن اقرأ . .

قال: ما غدا بك؟ قلت: الحاجة التي وعدتني. قال: من ذا الفتى الذي معك؟ قلت: ابن أخ لي وهو يقرأ ولست أقرأ، فقال لي: اجلس. فجلست فقال: علي بالديوان الأوسط.. فأتي به فنظر الفتى فإذا الأسماء تلوح، فبينما هو يقرأ إذ قال: هو يا عماه هو ذا اسمي! قلت (حذيفة): ثكلتك أمك انظر أين اسمي فصفح، ثم قال: هو ذا اسمك فاستبشرنا واستشهد الفتى مع الإمام الحسين (عليه السلام)[٢٠] .

وهنا نسجل الأسئلة التالية:

هل هذا الديوان يحتوي على أسماء كل الشيعة؟ أو بعضهم؟! أو الكوادر منهم.. ولماذا لم يكن يفارق الإمام الحسن (عليه السلام) هذا الديوان.. هل كان الشيعة مختفين وغير معروفين ؟!

ماذا يعني تخصيصه (بالأوسط) هل هناك ديوان أكبر أو أصغر؟!

هل نستطيع الاستفادة من أن اسم حذيفة وهو أحد حواري الحسن (عليه السلام) واسم ابن أخيه الذي استشهد مع الإمام الحسين (عليه السلام) وقد مر أن حواري الحسين (عليه السلام) هم كل من استشهد معه).. هل نستطيع أن نسجل هذه الملاحظة أن هذا الديوان يحتوي على أسماء من استشهد مع الحسين (عليه السلام) وهم حواريوه؟!

ورغم أن الحديث يذكر للحسن (عليه السلام) اثنين من الحواريين إلاّ أن من الواضح أن الكوادر التي تربت على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) واصلت جهادها وعملها تحت قيادة الإمام الحسن (عليه السلام)، كعمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، وجنادة بن أمية وغيرهم، من كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) واستمر مع الحسن (عليه السلام).

٤/ حواريو الإمام الحسين (عليه السلام):

تشير الرواية السابقة إلى أن كل من استشهد معه هم حواريوه ولعمري انهم لكذلك فان الطليعة هي التي تبقى حين لا يبقى أحد، وهي التي تصمد حين يفر الآخرون لتنال أعلى الدرجات التي تطلبها عبر الشهادة، وهذا فعلاً ما تم في كربلاء، على أنه يمكن أيضاً أن نرى تلك الفئة الطليعية التي تربت على يد أمير المؤمنين والحسن (عليهما السلام)، وبقيت إلى أوائل إمامة الإمام الحسين (عليه السلام) حين يرسل رسالة عنيفة إلى معاوية مبيناً فيها جرائمه، ويستعرض فيها قتله لتلك الصفوة المؤمنة.

" أو لست القاتل حجراً أخا كندة ؟ والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة ولا تأخذهم

[20] / سفينة البحار ١/ ٢٣٤.

بحدث كان بينك وبينهم ولا باحنة تجدها في نفسك.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد.

أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه، فكتبت إليه ان أقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي (عليه السلام) والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك وبه جلست مجلسك الذي جلست ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين ... "[21].

وأيضاً حواريوه وأنصاره أولئك الذين وقفوا حين خذلته الجموع، وتفانوا فيه حين فني غيرهم في صراعات الدنيا، أولئك الذين يقدر لهم الإمام الحسين (عليه السلام) مجيئهم معه ثم يطلب منهم أن يتفرقوا عنه، ويحللهم من بيعته، ولكنهم يقفون موقفاً واحداً، حفظ للإسلام امتداده واستمراره. فحينما وصل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، وخيم ليل العاشر من شهر محرم الحرام قام الإمام (عليه السلام) في أصحابه خطيباً فقال:

" اللهم اني لا اعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم ني حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري.. ".

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن عقيل فقال: يا ابن رسول الله.. ماذا يقول لنا الناس إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيدنا وابن سيد الأعمام وابن نبينا سيد الأنبياء، لم نضرب معه بسيف ولم نقاتل معه برمح، لا والله أو نرد موردك، ونجعل أنفسنا دون نفسك، ودماءنا دون دمك فإذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا و خرجنا مما لزمنا.

وقام إليه زهير بن القين البجلي، فقال: يابن رسول الله وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت، ثم قتلت ثم نشرت فيك وفي الذين معك مائة قتلة وأن الله دفع بي عنكم أهل البيت.

فجزاهم الحسين (عليه السلام) خيراً..

هؤلاء حواريو الحسين (عليه السلام) الذين يوصي الواحد منهم وهو معفر على التراب لا يكاد يطيق النطق، يوصي أخاه بمواصلة المسيرة والدفاع عن إمامه وقائده، ذلك الأمر الذي فعله مسلم بن عوسجة عندما وقع على الأرض يخور بدمه جاء الإمام الحسين (عليه السلام) ومعه حبيب بن مظاهر الاسدي، ووقف على مصرعه، وكان به رمق من الحياة، و أشار إلى حبيب بن مظاهر قائلاً له: أوصيك بهذا.. قاتل دونه حتى تموت.

وقد خلد الشاعر هذا الموقف الرائع بقوله:

نصروك أحياءً وعند مماتهم   يوصي بنصرتك الشفيق شفيقاً

أوصى ابن عوسجة حبيباً قال   قاتل دونه حتى الحمام تذوقا

ه/ حواريو زين العابدين (عليه السلام) :

---

[21] / رجال الكشي ج ١ ص ٣٣٨

استشهد الإمام الحسين (ع)، وحلت شهادته بالأسى على المسلمين، وباليأس على البعض الآخر حيث أوحت إليهم شهادته (عليه السلام) بأن النظام قوي، وقد أدى إلى حدوث حالة من اليأس والقنوط عبر عنها بعضهم قبل شهادة الإمام من أنه إذا قتل واستبيح دمه فلن يكون لمسلم بعده حرمة..

وربما تكون هذه الحالة هي التي عبر عنها الإمام الصادق (عليه السلام) بالردة وأن الناس ارتدوا بعد شهادة الحسين (عليه السلام) إلاّ عدداً من حواري زين العابدين (عليه السلام). فقد جاء عن الصادق (عليه السلام) أنه قال:

– " ارتد الناس بعد قتل الحسين (عليه السلام) إلاّ ثلاثة أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا " وزاد بعضهم إلى هؤلاء (وجابر بن عبد الله الأنصاري)[٢٢] .

ويبدو أن هذه الحالة كانت خاصة بزمن ما بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) غير أنها لم تدم، فالرواية بعد أن تذكر الحالة والصفوة الذين صمدوا و لم يتأثروا بشيء لا تلبث أن تستدرك ثم ان الناس لحقوا وكثروا.. وبالتالي فهي كالروايات الأخرى لا تحدد حواري الإمام وطلائعه وإنما تتكلم عن أولئك الذين لم يدخلهم الريب أو اليأس..

وكانت فترة حياة الإمام السجاد حافلة بالعمل التربوي إذ اتخذ من الدعاء وسيلة من أسمى الوسائل لتربية الأفراد، إضافة إلى حرصه على جلب العناصر حتى العبيد إلى بيته وجعلهم تحت تربيته المباشرة لمدة سنة كما يستفاد من رواية البحار من أنه (عليه السلام) إذ دخل شهر رمضان وأذنب أحد مواليه يكتب عنده في كتاب: أذنب فلان كذا ذنب في يوم كذا ثم يجمعهم آخر ليلة في شهر رمضان ويظهر الكتاب ويقررهم أخطاءهم يا فلان فعلت كذا و لم أؤدبك أتذكر ذلك ؟! فيقول: بك يابن رسول الله حتى يأتي على آخرهم.. ثم يقول في وسطهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين إن ربك أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كل عملنا ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلاّ أحصاها وتجد كلما عملت حاضراً كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً فاعف عنا تجده عفواً وبك رحيماً ولك غفوراً ولا يظلم ربك أحداً.

فاذكر يا علي بن الحسين (والكلام لا يزال للإمام السجاد (عليه السلام) ذل مقامك من يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل وكفى بالله حسيباً وشهيداً.

.. وبعد أن يقولوا ويطلبوا له العفو من الله كما عفى عنهم. يعتق رقابهم ويعطيهم جوائزهم ونفقاتهم.. وهكذا كان يعتق في كل سنة حوالي عشرين عبداً ويمن عليهم بالحرية [٢٣].

٦/ حواريو الإمام الباقر والصادق:

يتحد في هذا الدور صحابة الإمام الباقر والإمام الصادق وحواريوهما.

– (فعن الفضل بن عبد الملك قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: أحب الناس إلي أحياءً وأمواتاً أربعة: بريد بن معاوية المحجلي وزرارة، ومحمد بن مسلم، والأحول وهم أحب الناس إلي أحياءً وأمواتاً) [٢٤].

---

[22] / رجال الكشي ج ١ ص ٣٣٨.

[23] / بحار الأنوار ج٤٦/ ١٠٣.

[24] / رجال الكشي ج ا ص ٣٤٧

– (وعن سليمان بن خالد الاقطع قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ما أجد أحداً أحيى ذكرنا و أحاديث أبي (عليه السلام) إلاّ زرارة وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد العجلي ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا.. هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي على حلال الله و حرامه).

وبينما يجعل الحديث الأول رابع الأصحاب مؤمن الطاق (الأحول) فانه يجعله في الحديث الثاني أبو بصير: ويتحدث الإمام الصادق (عليه السلام) عن كونهم زينا لأبيه (عليه السلام) أثناء حياته فيقول:

– (ان أصحاب أبي كانوا زيناً أحياءً وأمواتاً اعني زرارة ومحمد بن مسلم ومنهم ليث المرادي وبريد العجلي)[٢٥] .

وفي رواية ثالثة، تتسع دائرة اصحابه وكوادره (عليه السلام) حيث يستعرض الإمام أمام أحد الشاميين قدرة عدد من حوارييه حسب تخصصاتهم، مما ينبئ أن الصادق (عليه السلام) كان قد جعل كل واحد من أصحابه متخصصاً في فن من الفنون على الأقل.

يقول هشام بن سالم: كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من أصحابه فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله بالجلوس ثم قال له: حاجتك أيها الرجل!! قال: بلغني انك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): في ماذا؟ قال: في القرآن وقطعه و اسكانه وخفضه ونصبه ورفعه، فقال أبو عبد الله: يا حمران (بن أعين) دونك الرجل فقال الرجل: إنما أريدك أنت لا حمران. فقال أبو عبد الله: ان غلبت حمران غلبتني.

فأقبل الشامي يسأل حمران يجيبه.. فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : كيف رأيت يا شامي؟ فقال: رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلاّ أجابني فيه. فقال أبو عبد الله: يا حمران سل الشامي.. فما تركه يكشر.

فقال الشامي: أريد يا أبا عبد الله أن أناظرك في العربية فالتفت أبو عبد الله فقال: يا أبان بن تغلب ناظره. فناظره فما ترك الشامي يكشر.

فقال أريد أن أناظرك في الفقه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا زرارة ناظره فناظره فما ترك الشامي يكشر.

قال: أريد ان أناظرك في الكلام. فقال: يا مؤمن الطاق ناظره،فناظره فسجل الكلام بينهما ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به .

فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة فقال للطيار: كلمه فيها فكلمه فما تركه يكشر.

ثم قال: أريد أن أكلمك في التوحيد. فقال لهشام بن سالم كلمه...فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام.

فقال: أريد أن أتكلم في الإمامة فقال لهشام بن الحكم: كلمه يا أبا الحكم فما تركه يريم ولا يحلي ولا يمري...

فبقي أبو عبد الله (عليه السلام) يضحك حتى بذت نواجده.. فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟!

قال (عليه السلام): هو ذاك.. يا أخا أهل الشام أما حمران فحزقك فحرت له (حصرك فتحيرت) فغلبك بلسانه وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه. و أما أبان بن تغلب فمغث (خلط) حقاً بباطل فغلبك، وأما زرارة

---

[25] / نفس المصدر ج ١ ص ٣٩٩.

فقاسك فغلب قياسه قياسك، وأما الطيار فكان كالطير يقع ويقوم، وأنت كالطير المقصوص لا نهوض لك. وأما هشام ابن سالم فأحسن أن يقع ويطير، وأما هشام بن الحكم فتكلم بالحق فما سوغك بريقك [٢٦].

ونستطيع أن نسجل هنا عدداً من الملاحظات تنفعنا في إلقاء الضوء على بحثنا.

الأولى: اننا هنا أمام عدد من الأصحاب إضافة إلى أولئك الكوادر الذين تضافرت الروايات في مدحهم والثناء عليهم (راجع الروايتين المتقدمتين) فنجد هنا إضافة إلى زرارة ومؤمن الطاق الذين ورد ذكرهما في ما سبق، حمران بن أعين، وأبان بن تغلب، والطيار، وهشام بن سالم، وهشام بن الحكم..

الثانية: ان هؤلاء الكوادر هم من الذين يعتمد عليهم الإمام في مهماته، وقد وزعت عليهم الأدوار حسب كفاءاتهم، ونلاحظ هنا في الرواية أن الإمام هو الذي يعين الفرد الصالح للموضوع المطروح، وتبلغ درجة الاعتماد من قبل الإمام على هؤلاء إنه يقول للشامي: إن غلب أحدهم فانه قد غلب الصادق (عليه السلام)، وإن هذا لمقام رفيع لا يصل إليه هؤلاء الأصحاب إلاّ بعد تربية طويلة حتى يمكن الاعتماد عليهم هذا الاعتماد.

الثالثة: موقف التقييم والنقد الذي اتخذه الإمام (عليه السلام) بعد نهاية المناظرة، فرغم سرور الإمام وتوقعه للنتيجة، وهزيمة الشامي إلاّ أنه لم يترك الفرصة تمر. فبدأ يفصل الطريقة التي جرت على أساسها المناظرة، وفي هذا توجيه لأصحابه إلى أخطائهم لكي تتلافى في المستقبل.

ولا يعني هذا أن حوارييهما (عليهم السلام) هم المذكورون فقط، إذ أن الفترة التي عاشها الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) كانت فترة مناسبة للتربية، ولنشر ثقافة الإسلام بين الناس، وذلك أنها تزامنت مع فترة ضعف الدولة الأموية ثم انهيارها فيما بعد، وبدء قيام الدولة العباسية ونشوئها، مما أعطى أهل البيت (عليهم السلام) فرصة جيدة لتربية كوادر الرسالة..

ولعلنا نلاحظ من خلال استقراء لتاريخ الصادقين (عليهما السلام) أسماء عدد من الصحابة المخلصين كالمعلى بن خنيس الذي كان يقوم بدور مهم في توجيه الجماهير إلى الإمام الصادق (عليه السلام) سواء بأسلوب الدعاء أو بغيره كما يتضح من خروجه أيام العيد إلى الصحراء في زي ملفت للنظر في ذلك الوقت وإن كان أساساً هو الزي المستحب في صلاة العيد، أشعث، أغبر ويرفع كفيه إلى السماء ويدعو بهذا الدعاء:

(اللهم هذا مقام خلفائك وأصفيائك ومواضع امنائك الذين خصصتهم وأنت المقدر للأشياء لا يغالب قضاؤك ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت وانى شئت علمك في إرادتك كعلمك في خلقك.. حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلاً وكتابك منبوذاً وفرائضك محرفة عن جهات شرايعك وسنن نبيك صلواتك عليه وآله اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين والغادين والرائحين والماضين والغابرين، اللهم العن جبابرة زماننا وأشياعهم واتباعهم واضرابهم وأعوانهم إنك على كل شيء قدير) [٢٧].

وبلا شك فانه في هذه العملية، إضافة إلى رفضه العملي للسلطة القائمة حيث يذهب إلى الصحراء للصلاة عوض الذهاب إلى المسجد حيث يصلي الوالي، أو الأمير يقوم أيضاً بتوضيح أهم المسائل السياسية مورد الخلاف آنئذٍ بين أصحاب الرسالة وبين الحاكمين.

---

[26] / رجال الكشي ج ٢ ص ٥٤٥.

[27] / سفينة البحار ج ٢/ ٢٥٦

وهذا الرجل هو نفسه الذي غضب الإمام الصادق (عليه السلام) لقتله غضباً شديداً وذهب إلى الوالي ومعه ابنه إسماعيل، وقتل قاتله. ينقل العلامة المجلسي في كتابه البحار أنه لما أخذ داود بن علي المعلى بن خنيس حبسه وأراد قتله فقال المعلى له: أخرجني إلى الناس فان لي ديناً كثيراً ومالاً حتى أشهد بذلك فأخرجه إلى السوق. فلما اجتمع الناس قال: أيها الناس أنا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني اشهدوا أني ما تركت من مال عين أو دين او أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد (عليه السلام)، فشد عليه صاحب الشرطة فقتله فلما بلغ ذلك أبا عبد الله (عليه السلام) خرج مغضباً حتى دخل على داود بن علي وابنه إسماعيل خلفه فقال: يا داود قتلت مولاي وأخذت مالي ؟!

قال: ما أنا قتلته ولا أخذت مالك، فقال: والله لأدعون على من قتل مولاي وأخذ مالي. قال: ما قتلته ولكن قتله صاحب شرطتي.

فقال الإمام: بإذنك أو بغير إذنك؟! قال: بغير إذني.

فقال (عليه السلام): يا إسماعيل شأنك به، فقام له إسماعيل وقطع رأسه [٢٨].

أبان بن تغلب:

لقي من الأئمة علي بن الحسين، وابنه الباقر، وحفيده الصادق (عليهم السلام)، وكان مبرزاً بني أصحاب الصادق (عليه السلام) في علوم القرآن واللغة العربية، والفقه الحديث والأدب، بل لقد كان له قراءة خاصة به.

من بحر علم الأئمة غرف ما اتسع له قلبه، وقد أوكل إليه الإمام الصادق (عليه السلام) مهمة التبليغ والدفاع عن الرسالة، فقد قيل أنه روى عنه (٣٠) ألف حديث، ولذا كان إذا جاء إلى المدينة تقوضت إليه الحلق، وأخليت له سارية النبي (صل الله عليه وآله وسلم).

وبعد أن فهم الإسلام بشكل مستوعب وجهه الأئمة إلى أن يقوم بدوره في التبليغ ونشر الفكر الإسلامي فقد قال له الإمام الباقر (عليه السلام) : (يا أبان اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني احب أن يرى في شيعتي مثلك) وقال له الصادق (عليه السلام): (يا أبان ناظر أهل المدينة فإني أحب أن يكون مثلك من رواتي ورجالي).. وكان إضافة إلى هذا يوجه الأئمة أصحابهم للتلقي منه، والتتلمذ على يديه، فعن مسلم بن أبي حبة قال: كنت عند أبي عبد الله في خدمته فلما أردت أن أفارقه ودعته وقلت: أحب أن تزودني قال: ائت أبان بن تغلب فانه قد سمع مني حديثاً كثيراً فما روى لك فارو عنّي.

ولقد كان له دور في توضيح المسائل المهمة لدى الناس، فقد كان سريع البديهة، فقد جاءه رجل فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي (عليه السلام) من أصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم)؟!

فقال له: كأنك تريد أن تعرف فضل علي بمن تبعه من أصحاب رسول الله ؟!

فقال الرجل: هو ذاك.

عندها قال له أبان: والله ما عرفنا فضلهم إلاّ باتباعهم إياه.

ولموقفه الريادي هذا فقد أشاد الأئمة (عليه السلام) بفضله، والثناء عليه وإظهار احترامه أمام الناس، فقد كان الصادق (عليه السلام) إذا دخل أبان عليه قام له واعتنقه ورحب به، وكان يطرح الوسادة له.. ولما أتاه نعيه إذ أنه

---

28 / بحار الأنوار ج٤٧/ ٣٥٢.

توفي (رضوان الله عليه) في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) سنة ١٤١ هـ، قال: أما والله لقد اوجع قلبي موت أبان [٢٩].

له عدد من الكتب منها التفسير، منها الغريب في القرآن، وذكر فيه شواهده من الشعر، وله كتاب الفضائل.

زرارة بن أعين: ت سنة ١٥٠ هـ.

قيل عنه انه رئيس الشيعة، وأنه أفقه أصحاب الإجماع. ويبدو أنه كان صاحب مدرسة لتخريج الفقهاء والمتكلمين، فمع أنه كان خصماً جدلاً لا يقوم أحد لحجته، وانه كان صاحب إلزام، إلاّ أنه لم ينشغل بالكلام والمناظرات كثيراً كما كان غيره يقوم بهذا الدور كمؤمن الطاق، وهشام بن الحكم.

وكان المتكلمون من الشيعة تلاميذه و أصحابه الذين كانوا يأخذون عنه كما ينقل جميل بن دارج، إذ جلس في درسه محمد بن أبي عمير و بعدها قال له: ما أحسن محضرك وازين مجلسك.. فقال جميل: أي والله إنا كنا نختلف إلى زرارة بن أعين فما كنا حوله إلاّ بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم .

وحركة التشيع في أيام ما بعد الإمام السجاد (عليه السلام) كانت تواجه سيلاً عرماً من الثقافات الباطلة والأفكار الدخيلة، ولذلك كان جزء .

كبير من جهاد الإمام الباقر (عليه السلام) وابنه الصادق (عليه السلام) يتركز في مقاومة هذه التيارت الثقافية عبر نشر بصائر الرسالة بين الناس.. وهنا كانت الحاجة ملحة إلى علماء يفهمون الرسالة بعمق، ويحفظون أحاديث أهل البيت لينقلوها إلى الأجيال القادمة كان زرارة أبرز هؤلاء.

إضافة إلى ذلك، كان في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) عدد من الانتهازيين الذين استغلوا فرصة صحبتهم للإمام الصادق (عليه السلام لفترة من الوقت، فأخذوا يروون عنه أحاديث كاذبة، ويتأولون معاني أحاديثه بما يتفق مع أهوائهم ومصالحهم، فسببوا لجمهور الشيعة كثيراً من اللبس، والاختلاف.. فكانت الضرورة ملحة لوجود زرارة و أمثاله ممن يستطيعون مواجهة هؤلاء ويستطيع الأئمة (عليهم السلام) أن يوجهوا الناس للأخذ منهم، ولعلنا نجد في الأحاديث الكثيرة التي قالها الصادق (عليه السلام) في حق زرارة ما يبين أهمية دوره في التحرك آنئذٍ:

- "رحم الله زرارة، لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب "

- " ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي (عليه السلام) إلاّ زرارة وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي ولـولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي على حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة "

وحين يشتد الاختلاف بين جمهور الشيعة بسبب إدخال البعض أهواءهم في تفسير الأحاديث يوجه الإمام الصادق (عليه السلام) أصحابه إلى الأخذ عن زرارة.

فقد دخل الفيض بن المختار على أبي عبد الله (عليه السلام) وذكر له آية من كتاب الله عز وجل فأولها الإمام، فقال له الفيض: جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟! فقال الإمام: وأي الاختلاف ؟! قال الفيض: اني لأجلس في حلقهم في الكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم حتى أرجع إلى المفضل بن عمر

[29]) معجم رجال الحديث/ آية الله الخوئي ١/ ١٤٤

فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي.

. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أجل هو كما ذكرت يا فيض إن الناس اولعوا بالكذب علينا حتى كأن الله افترض ذلك عليهم و اني احدث أحللهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وانما يطلبون الدنيا وكل يحب أن يكون رأسا.. انه ليس من عبد يرفع نفسه إلاّ وضعه وما من عبد وضع نفسه إلاّ رفعه الله وشرفه فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس. وأومى إلى زرارة بن أعين.

وزرارة كان شديداً على الجهات المنحرفة المتسمية باسم الشيعة، ولذلك قاموا بحملة عنيفة ضده سواء في وضع الأحاديث على لسان الصادق (عليه السلام) ضده، أو في نقل كلام كاذب عنه لتشوبه سمعته.. ومن هنا يقول جميل بن دراج: كنا نعرف أصحاب أبي الخطاب (من الكاذبين على الأئمة) ببغض زرارة وإخوانه [٣٠].

ولأن الانتماء إلى الرسالة والقيادة الإسلامية الصحيحة كان يعرض الشخص إلى مضايقات شديدة من قبل السلطة الحاكمة لذلك كان الأئمة يستخدمون تكتيكاً خاصاً لكوادرهم الرئيسية، إذ أنهم كانوا أحياناً يعيبونهم وربما يظهرون البراءة منهم صيانة لهم، وحفاظاً على سلامتهم، ولكي لا تكشف العلاقة الرسالية الوثيقة التي تربطهم بالأئمة، وقد فعل الإمام الصادق (عليه السلام) مع زرارة هكذا، وإن كان قد أخبره بخلفية هذا الموضوع و أسبابه كما سيتضح في صفحات قادمة.

٧/ حواريو الإمام الكاظم (عليه السلام)

رغم أن الإمام الكاظم (عليه السلام) قائل الحديث الذي افتتحنا به الموضوع عن حواري المعصومين، سكت عن حوارييه وحواري أبنائه الأئمة من بعده.. إلاّ أننا سنحاول- قدر إمكاننا- تتبع حوارييه (عليه السلام).

وإذا شئنا أن نعدد محاولين الإجابة على السؤال المتعلق بالحديث المذكور.. هل أن سكوت الإمام (عليه السلام) عن الاستطراد والحديث عن بقية الحواريين (سواء حوارييه أو حواري من بعده).. هل كانت بسبب التقية، وضرورة الكتمان والحفاظ على أسمائهم، أو أن الأمر هو فعلا كذلك ؟! وأن القضية لا ترتبط بهذا الموضوع ؟.

ونحن مع الرأي الأول لأننا نسجل هنا الملاحظات التالية:

الأولى: لا نعرف وجهاً لتخصيص الأئمة الخمسة بعد الصادق (عليه السلام) بأن سائر الشيعة ينادون معهم (عليه السلام).. هل معنى ذلك أن كل الشيعة هم حواريو الأئمة (عليهم السلام)؟! أو معنى ذلك أن الأئمة هؤلاء (عليه السلام) لم يكن لهم حواريون معينون في زمانهم كما كان للائمة من قبلهم؟!

ثم لماذا لم يناد سائر الشيعة مع الأئمة منذ البداية مع أمير المؤمنين (عليه السلام)؟! هذا إضافة إلى أن سياق الحديث نجده يتغير، فبينما هو في البداية يتحدث عن حواري كل إمام، إذا به ينتقل فيما بعد للحديث عن سائر الشيعة، ومن الواضح أنه ليس جميع الشيعة حواريين للائمة، كما نجد ذلك في الواقع الخارجي، خصوصا مع اختلاف درجات الإيمان والولاء.

الثانية: إننا لو نظرنا إلى زمن الإمام الكاظم (عليه السلام) وما كان يمارسه من أشد أنواع التقية

---

[30] / أعيان الشيعة ٧/ ٤٩.

والكتمان، مما كان يتطلبه الوضع السياسي الخانق وأجواء الكبت والإرهاب، بحيث أننا نجد كثيرا من الروايات المنقولة عن الكاظم (عليه السلام) تصدر عادة بأسماء رمزية مثل (قال أبو إبراهيم/ قال الشيخ/ قال العبد الصالح/ قال الرجل/ قال العالم..) وهكذا حين يتحدث عن بني العباس يلقبهم (بني سابع) وسابع كما ترى مقلوب عباس.. وفي هذا العهد بلغ مجموع المدة التي قضاها الإمام (عليه السلام) في السجن حوالي (١٤) سنة.

في مثل هذه الظروف ليس متوقعاً من حكمة الإمام (عليه السلام) وبصيرته أن يفشي أسماء أركانه وحوارييه الذين يعتمد عليهم ليكونوا طعمة لحريق السلطة.. ولعل الحادثة التي تنقل عن كيفية اتصال الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أحد أصحابه وهو هند بن الحجاج حين كان الإمام في السجن، حيث أرسل الإمام أحد سجانه ممن استطاع تغييره واستقطابه للرسالة إليه، وكيفية رفض هند بن الحجاج استقبال ذلك الرجل وإنكاره أي معرفة بموسى بن جعفر- كما توقع الإمام مسبقاً وأخبر الرسول بأنه سوف يقوم بذلك-.

هذه الحادثة قد تكون نموذجا واحدا على كيفية اختفاء أصحاب الإمام وعدم ظهورهم بمظهر المقربين منه.

الملاحظة الثالثة: إن مما يؤيد الرأي الذي نذهب إليه أن هؤلاء الذين ذكرهم الإمام الكاظم (عليه السلام) كحواريين لأبيه الصادق وجده الباقر (عليهما السلام) كانوا في الأغلب غير موجودين في حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) إلاّ فترة قصيرة جداً لا تزيد في أكثر الحالات عن سنتين.

فزرارة بن أعين توفي بعد الصادق (عليه السلام) بشهرين أي في سنة ١٤٨ هـ وقيل في سنة ١٥٠ هـ وبريد بن معاوية العجلي توفي في حياة الصادق (عليه السلام) وقيل بل في سنة ١٥٠ هـ [٣١]

ومحمد بن مسلم الثقفي توفي في سنة ١٥٠هـ [٣٢].

ومات أبو بصير ليث بن البختري في سنة١٥٠ هـ [٣٣].

ومات عبد الله بن أبي يعفور في أيام الصادق (عليه السلام) [٣٤].

وحمران بن أعين توفي في سنة ١٣٠ هـ [٣٥].

وصرحت الكتب الرجالية عن الباقين أنهم رووا عن الباقر والصادق (عليه السلام) و لم يرووا عن الكاظم (عليه السلام)..

هذا علماً بأن الإمام الصادق عليه السلام) قد توفي في سنة ١٤٨ هـ، وعليه فيكون اغلب المذكورين قد توفوا بعده بسنتين، أي لم يكونوا معاصرين لحياة الكاظم (عليه السلام) إلاّ سنتين في أولها.

وعلى هذا فإننا نختار الرأي الأول القاضي بأن سكوت الإمام (عليه السلام) إنما كان تقية وخوفاً على أصحابه من الإيذاء والتصفية، وهذا يكلفنا مزيداً من البحث لمعرفة حواري الأئمة (الكاظم ومن بعده).

٨/ حواريو الكاظم و الرضا:

---

31 / أعيان الشيعة ٣/ ٥٥٨.

32 / جامع الرواة للاردبيلي ٢/ ١٩٣

33 / رجال الكشي ١/ ٣٩٧.

34 / جامع الرواة ١/ ٤٦٧

35 / أعيان الشيعة ٦/ ٢٣٤.

يتداخل أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) وحواريوه مع حواري الإمام الرضا (عليه السلام) وربما يكون السبب إضافة إلى قصر الفاصلة بين حياة الإمامين (عليهما السلام) حيث توفي الإمام الكاظم سنة ١٨٨هـــ بينما توفي الإمام الرضا (عليه السلام) سنة ٢٠٣ هـــ أي ١٥ سنة.

إضافة إلى ذلك فان حواري الإمام الكاظم هم الذين آمنوا بإمامة الإمام الرضا (ع) وبايعوه، و أصروا على بيعته في الوقت الذي انتشر فيه مذهب الواقفة، الذين وقفوا على الإمام الكاظم و أنكروا إمامة الإمام الرضا، بينما أصر خلص أصحابه على إعلان بيعتهم للرضا، وقاوموا التيار الواقفي، وأشخاصه كما نرى في الحديث الذي يرويه يونس بن عبد الرحمن أحد حواري الإمامين (عليه السلام)

يقول: مات أبو الحسن (عليه السلام) (الكاظم) وليس من قوامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب وقوفه وجحودهم موته وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.

فلما رأيت ذلك وتبين علي الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إلي وقالا: ما تدعو إلى هذا إن كنت تريد المال فنحن نغنيك، وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالا لي: كُف!

يقول يونس: فقلت لهما أما ما رويناه عن الصادقين (عليهما السلام) انهم قالوا إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فان لم يفعل سلب نور الإيمان وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال فناصباني وأظهرا لي العداوة [٣٦].

فمن الحواريين الذين اختصوا بالكاظم (عليه السلام) علي بن يقطين حيث انه توفي في سنة ١٨٢ هـــ أي حياة الكاظم، وميزة علي ابن يقطين أنه كان يخدم الرسالة وهو في قلب البلاط العباسي إذ كان بمنزلة رئيس الوزراء في بلاط هارون العباسي ومع ذلك كان يخدم الرسالة، ويبدو أن ذلك كان بتخطيط من الإمام الكاظم (عليه السلام)، إذ أننا نجد أن الإمام يوجه علي بن يقطين لكي ينجو من المواقف المحرجة، كما في قصة الدراعة التي أهداها إليه هارون وأمر الإمام له أن يحتفظ بها ولا يتصرف فيها ومن موقف الوضوء حيث وشي عليه لدى هارون انه يتصل بالكاظم ويتشيع فأراد هارون أن يكشف الأمر عبر معرفته لطريقة وضوئه التي ينبغي أن تختلف شيئاً ما فيما إذا كان يتشيع، غير أن الإمام أمره مسبقاً أن يغير طريقة وضوئه.

بل إنه كان يستأذن الإمام في الاستقالة من العمل داخل البلاط العباسي غير أن الإمام (عليه السلام) نهاه عن ذلك.. كما سيأتي بيانه في فصول ولقد أثنى عليه الإمام ثناءً كثيراً.

- فعن أبي يحيى الكاهلي قال: كنت عند أبي إبراهيم (عليه السلام) (أي الكاظم) إذ أقبل علي بن يقطين فالتفت الإمام إلى أصحابه وقال: من سره أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلينظر إلى هذا المقبل فقال له رجل من القوم: هو إذن من أهل الجنة؟! فقال (عليه السلام): أما أنا فأشهد أنه من أهل الجنة[٣٧]

- وعن داود الرقي قال: دخلت على أبي الحسن الكاظم (عليه السلام) يوم النحر فقال مبتدئاً: ما عرض في قلبي أحد وأنا على الموقف إلاّ علي بن يقطين فان ما زال معي وما فارقني حتى أفضت.

---

[36] / رجال الكشي ٢/ ٧٨٦.

[37] / رجال الكشي ٢/ ٨٥٥.

ومن حوارييهما (عليهما السلام) يونس بن عبد الرحمن الذي يقول فيه الرضا (عليه السلام): " يونس في زمانه كسلمان في زمانه " وقد قيل أن علم الأئمة انتهى إلى أربعة، آخرهم يونس.

ومن حوارييهما محمد بن أبي عمير، الذي سجن (٤) سنوات أو (١٧) سنة كما عن الشيخ المفيد في الاختصاص، وكان له مترلة عظيمة لدى الأئمة فقد كان يعرف أسماء الشيعة، وطلب من قبل الحكم العباسي ليعترف بأسمائهم فلم يفعل فضرب مئة سوط، وينقل عنه علي بن الحسن بن فضال أن محمد بن أبي عمير أفقه من يونس وأصلح وأفضل .

ومن هؤلاء صفوان بن يحيى الذي يقول فيه الجواد (عليه السلام) وفي محمد بن سنان (رضي الله عنهما برضاي عنهما فما خالفاني وما خالفا أبي (عليه السلام) قط) [٣٨]، ومنهم الحسن بن محبوب، ومنهم عبد الله بن المغيرة، ومنهم أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي (رضوان الله عليهم).

وهؤلاء الستة باستثناء علي بن يقطين هم من أصحاب الإجماع الذي أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم.. ومنهم عبد الله بن جندب الذي عاصر ثلاثة من الأئمة وتلقى عنهم وتربى على يدهم، فقد عاصر الصادق (عليه السلام) وأوصاه الإمام بوصايا منها ما نقله ابن شعبة في كتابه تحف العقول وحين يقول للإمام الكاظم (عليه السلام): ألست عني راضياً؟! قال: أي والله ورسول الله والله عنك راض.

ومنهم زكريا بن آدم القمي الذي يترحم عليه الإمام الرضا (عليه السلام) في رسالته لأحد أصحابه قائلاً: (.. ذكرت ما جرى من قضاء الله تعالى في الرجل المتوفي رحمة الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً فقد عاش أيام حياته عارفاً بالحق قائلاً به صابراً محتسباً للحق، قائماً بما يجب عليه لله ولرسوله، ومضى رحمة الله عليه غير ناكث ولا مبدل..).

ويلاحظ قلة الأحاديث الواردة عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في بيان موقع أصحابه وفضلهم وهذا يرجع إلى ما تقدم الحديث عنه من ظرف سياسي ضاغط.

يونس بن عبد الرحمن: توفي سنة ٢٠٨ هـ.

هناك فئة من الكوادر متقدمة، تعرف ما لا يعرفه الخاصة، وتتحمل من الأسرار ما لو ظهر للغير لكان لهم شأن آخر مع الرسالة.. هذه الفئة رغم علمها وتقدمها وفضلها قد تبقى مجهولة لدى الكثير حتى من أبناء العمل.

من هذه الفئة المتقدمة في فهم علوم أهل البيت واستيعابها كان يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين، وقليل من أصحابهم (عليه السلام) حظوا بهذه المترلة فقد قيل إن علم الأئمة انتهى إلى أربعة: أحدهم يونس، ولعل هذا هو وجه تشبيه الإمام الرضا (عليه السلام) إياه بسلمان، الذي بدوره كان من هذه الفئة. فقد قال الرضا (عليه السلام): يونس في زمانه كسلمان في زمانه.

ولقد عانى يونس بسبب هذا شيئاً كثيراً من جهل عامة الناس بمترلته وعدم قدرتهم على هضم ما كان يبين لهم من أمور، وانه لامتحان عسير حقاً أن لا يفهم الجمهور كلام المجاهدين بشكل جيد فيصبح مضاداً لهم وحاقداً عليهم، كما يحدث في أحيان كثيرة.

ولهذا السبب كان الإمام الرضا (عليه السلام) يوجهه باستمرار إلى عدم التأثر من المواقف السلبية التي يواجهها من

---

38 / المصدر

قبل بعض المؤمنين غير الواعين:

فعن أبي جعفر البصري قال: دخلت مع يونس بن عبد الرحمن على الرضا (عليه السلام) فشكا إليه ما يلقى من أصحابه من الوقيعة فقال له الرضا (عليه السلام): دارهم فان عقولهم لا تبلغ.

وعن جعفر بن عيسى قال: كنت عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) وعنده يونس بن عبد الرحمن إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة فأومى أبو الحسن إلى يونس أدخل البيت (بيت مسبل عليه ستر) وإياك أن تتحرك حتى يؤذن لك، فدخل البصريون وأكثروا من الوقيعة وأقول في يونس، وأبو الحسن (عليه السلام) مطرق حتى لما أكثروا قاموا فودعوا وخرجوا فأذن ليونس بالخروج فخرج شاكياً فقال: جعلني الله فداك أنا أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي ؟!

فقال له الرضا (عليه السلام): يا يونس فما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً يا يونس حدث الناس بما يعرفون وأتركهم مما لا يعرفون، يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة أو بعرة وقال الناس درة هل ينفعك ذلك شيئاً ؟!

فقال يونس: لا.. فقال (عليه السلام): هكذا أنت يا يونس إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس.

وبهذه الكلمات سن الإمام الرضا (عليه السلام) ليونس ولمن يسير على نهجه الطريقة الفضلى للتعامل مع هذه الحالة..

تحدث مع الناس بمقدار ما تحتمله عقولهم.. واترك ما لا يحتملونه. مع ذلك رأي الناس ليس مقياساً فقد يكون مخالفاً للحق.

المقياس هو: صحة المسيرة، ورضى القيادة.

أحمد البزنطي:

ويعرف بابن أبي نصر، لقي ثلاثة من الأئمة: الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد (عليه السلام)، وهو من الستة من أصحاب الكاظم والرضا (عليه السلام) (أصحاب الإجماع) الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم، وهذا يبين وثاقته وحسن حاله.

وقد كان عظيم المنزلة لدى الإمام الرضا واختص بالإمام الجواد (عليه السلام)، ولعل الرواية الآتية تبين منزلة الرجل من الإمام حيث أمره بالبقاء دون عدد من إخوانه الذين كانوا معه، واستضافه عنده ليلاً، يقول أحمد: دخلت على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنا وصفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، فجلسنا عنده ساعة ثم قمنا فقال لي: أما أنت يا أحمد فاجلس.. فجلست فأقبل يحدثني وأسأله فيجيبني حتى ذهب عامة الليل، فلما أردت الانصراف قال لي: يا أحمد تنصرف أو تبيت؟ فقلت جعلت فداك ذاك إليك إن أمرت بالانصراف انصرفت وإن أمرت بالمقام أقمت. قال: فهذا الحين قد هدأ الناس وناموا، فأقمت عنده وانصرف، فلما ظننت أنه قد دخل خررت ساجداً فقلت: الحمد لله.. حجة الله ووارث علم النبيين أنس بي من بين إخواني وأحبني.. فأنا في سجدتي فما علمت إلاّ وقد رفسني (غمزني) برجله فقمت، فأخذ بيدي فغمزها قال: يا أحمد إن أمير المؤمنين (عليه السلام) عاد صعصعة بن صوحان في مرضه فلما قام من عنده قال له: يا صعصعة لا تفتخر على إخوانك بعيادتي

إياك واتق الله [٣٩].

له كتب منها كتاب الجامع، والنوادر وتوفي (رضوان الله عليه) سنة ٢٢١ هـــ.

٩/ حواريو الجواد والهادي والعسكري:

يكثر أصحاب الأئمة وحواريهم غير أننا نأتي بعدد من الأسماء لمجرد التمثيل لا الإحاطة أو الحصر.

– أبو هاشم الجعفري (رضوان الله عليه) الذي رأى خمسة من الأئمة (الرضا والجواد والهادي والعسكري والحجة) (عليهم السلام)، وكان قد سجن مع الإمام العسكري في سنة ٢٥٨ هـــ.

ويظهر أنه كان منقطعاً للإمام الهادي (عليه السلام)، وشكا للإمام شدة شوقه إليه فدعا الإمام له، فكان يصل إلى الإمام وقتما يشاء.

– ومنهم أيضاً علي بن مهزيار الأهوازي، وقد توكل للإمام الجواد وبعده للهادي (عليهما السلام)، ونستطيع من خلال رسالة أبي جعفر الجواد (عليه السلام) أن نعرف منزلته لدى الإمام، ودوره في العمل:

– فعن الحسن بن شمول قال: قرأت هذه الرسالة على علي بن مهزيار عن أبي جعفر الثاني بخطه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(.. يا علي أحسن الله جزاك و أسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك الله معنا يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليك، فلو قلت: اني لم أر مثلك لرجوت أن أكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً، فما خفي علي مقامك ولا خدمتك في الحر والبرد في الليل والنهار فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمة تغتبط بها إنه سميع الدعاء) [٤٠].

وقل أن يخاطب الإمام (عليه السلام) أحداً من صحابته بأنه لم ير مثله في الفضل والصلاح.

ويظهر أنه كان أحد القياديين الهامين إذ أن خيران الخادم وهو أيضاً من صحابة الكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام)، يكتب إليه يستشيره في كيفية التصرف في الهدايا من الأموال التي تأتي إليه، وهل يقبلها أساساً أم لا، وإذا قبلها فماذا يصنع بها؟!.

– ومنهم أيوب بن نوح بن دراج، الذي يقول فيه الإمام الهادي (عليه السلام) أنه من أهل الجنة، ويشير إليه أمام أحد أصحابه.

– ومنهم أبو علي بن راشد الذي يأمر الإمام الهادي أتباعه بطاعته وعدم عصيانه، باعتباره وكيلاً مفوضاً من قبل الإمام فيقول في رسالته إلى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها: (قد أقمت أبا علي بن راشد مقام الحسين بن عبد ربه ومن قبله من وكلائي، وقد أوجبت في طاعته طاعتي وفي عصيانه الخروج إلى عصياني) [٤١] وكذلك أبو علي بن بلال.

– ومنهم عثمان بن سعيد العمري (السمان) الذي كان يتجر بالسمن تغطية لعمله الرئيسي، وكان ينقل الرسائل في صحاف السمن والدهن، حيث كانت الظروف الأمنية بالغة الحساسية، ولعل القصة التي ينقلها داود

---

39 / تنقيح المقال للعلامة المامقاني ١/ ٧٧

40 / بحار الأنوار ٥٠/ ١٠٥.

41 /) بحار الأنوار ٥٠/ ٢٢١

بن الأسود توضح لنا إحدى طرق الاتصال بين الإمام العسكري (عليه السلام) وبين أصحابه وعلى الخصوص عثمان بن سعيد فيقول: (دعاني سيدي أبو محمد العسكري (عليه السلام) فدفع إلي خشبة كأنها رجل باب مدورة طويلة ملء الكف فقال صرْ بهذه الخشبة إلى العمري فمضيت فلما صرت في بعض الطريق عرض لي سقاء ومعه بغل فزاحمني البغل على الطريق فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت بها البغل فانشقت فنظرت إلى كسرها (داخلها) فإذا فيها كتب فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي.

مما دعا الإمام العسكري (عليه السلام) لأن يعاتبه على فعله هذا لأنه يتسبب في الانكشاف، خصوصاً أن الأوضاع السياسية في زمن الإمام (عليه السلام) كانت في غاية التعقيد وكانت السلطة العباسية تبحث عن مستند تدين به الإمام و أصحابه.

– ومنهم علي بن جعفر الهماني (وكان فاضلاً مرضياً من وكلاء أبي الحسن وأبي محمد (عليهما السلام) .

(أبو هاشم) داود الجعفري: ت ٢٦١ هـ

رأى خمسة من الأئمة وأخذ عن أربعة منهم، وتتلمذ على يدهم.. كان من الرجال الذين تجمع شخصيتهم عدداً من الصفات الإيجابية.

كان شجاعاً وذا شخصية اجتماعية ووجاهة، وبدلاً من التباهي بذلك كان يتحرى مواقع كلمة الحق عند السلطان الجائر، وبينما يتقيد البعض من ذوي الوجاهات ويتمنعون عن معارضة الظلم لكي يحتفظوا بمنزلتهم لدى الحكومة كان أبو هاشم– وينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب (الطيار)– لا يخشى إلاّ الله، ويقول كلمة الحق، وكان محترما حتى عند الظالمين لأنهم يرهبون الإنسان القوي ويخافون المواقف الشجاعة، فقد جاء في صفاته أنه كان ذا عارضة ولسان لا يبالي ما استقبل به الكبراء وأصحاب السلطان، وليس غريباً هذا ممن تربى على يد الأئمة (عليهم السلام).

دخل على محمد بن طاهر بعد أن قضى على ثورة يحيى بن عمر أحد أحفاد الشهيد زيد بن علي، وقطع رأسه، وبينما كان الكثير من الناس يدخلون عليه مهنئين بالفتح، دخل عليه أبو هاشم الجعفري وقال له:

– أيها الأمير جئتك مهنئاً بما لو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) حياً لعزي به. (أي انك تناقض منهج رسول الله). ثم أكمل كلامه شعراً قارعاً:

يا بني طاهر كلوه وبياً	إن لحم النبي غير مري
إن وترا يكون طالبه الله	لوتر بالفوت غير حري

ورغم أنه لقي مضايقات من قبل السلطة الحاكمة، فقد حمل إلى سامراء وسجن فيها سنة ٢٥٢ هـ، إلاّ أن ذلك لم يكن ليؤثر على حياة رسالي مثله.

في نفس الوقت كان من الدعاة النشيطين إلى الخط الصحيح وإلى قيادة الأئمة فكان ينشر فضائلهم (عليهم السلام) وكراماتهم ويدعو لهم، فقد حدث محمد بن الحسين العلوي قال: كنت على باب المتوكل وأنا صبي في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي إلى غيرهم، وكان إذا جاء أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ترجل الناس كلهم حتى يدخل، فقال بعضهم لبعض: لم نترجل لهذا الغلام؟ وما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا سناً والله لا ترجلنا له !!

فقال أبو هاشم الجعفري لهم: والله لتترجلن له صاغرين إذا رأيتموه.

فما هو إلاّ أن أقبل الإمام حتى ترجلوا له أجمعين.. فقال أبو هاشم: أليس زعمتم انكم لا تترجلون؟! فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا.

هذا.. كما كان يبين خطأ الأفكار الأخرى وبطلانها، فعندما انتشرت بين البعض أفكار تقول بأن الإمامة بعد الصادق(ع) لابنه إسماعيل لا للكاظم (عليه السلام)، قام ينشد شعراً يستدل فيه على الفكرة الصحيحة فيقول:

لما انبرى لي سائل لأجيبـــه	موسى أحق بها أم إسماعيل؟
قلت الدليل معي عليك وما على	ما تدعيه للإمام دليل
موسى أطيل له البقاء فحازها	أرثاً ونصاً والرواة تقول
ان الإمام الصادق ابن محمد	عزي بإسماعيل وهو جديل
واتى الصلاة عليه يمشي راكباً	أفجعفر في وقته معزول؟

تفاضل الحواريين

يتفاضل الكوادر فيما بينهم بقدر حرص كل واحد منهم على الاستفادة من صحبته للإمام، وقدرته على الاستفادة من التوجيهات التربوية التي يعطيها.

فبينما يبقى البعض بعد صحبته عشرين عاماً للمعصوم، يبقى كما بدأ دون أن يزداد شيئا ذا بال، يرتقي البعض في سلم التكامل قاطعاً درجات عديدة، بحيث يصل إلى يصل إلى درجة أن يكون ممن يعتمد عليهم اعتماداً نهائياً، بل (من أهل البيت)!!

وهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى أرضية هذا الفرد، وسعيه لتربية نفسه، إذ أن التوجيهات الرسالية مثل حبات المطر، فإذا صادفت أرضاً مالحة سبخة، فإنها لا تصنع فيها شيئا مذكورا. هذا الأمر كما هو صادق في الطبيعة، صادق أيضاً في التربية الرسالية إذ نجد بعض الأفراد دخلوا العمل منذ سنوات طويلة ولكنهم بعد هذه المدة لا يزالون يراوحون مكانهم أو أمامه بقليل، وآخرين دخلوا العمل منذ مدة بسيطة، ولكنهم حريصون على التقدم وسعيهم في هذا الأمر حثيث لذلك يطرح الله البركة في جهودهم فيتقدمون في سنة أكثر مما يحصل لغيرهم في سنوات.

اننا نجد حواري الأئمة (عليهم السلام) يتفاضلون في درجات، ومستويات، ومراتب.

في العلم والوعي:

يحمّل الأئمة أتباعهم علوم الإسلام، ويفتحون أمامهم آفاقاً جديدة من الوعي، كل حسب استعداداته، وقدراته، فقد يكون اثنان حواري إمام واحد ولكن أحدهما- لملكات خاصة- يحمل من علم الإمام أكثر من الآخر، إلى درجة أنه لا يجوز للأول الذي حمل علماً أن يتحدث لغيره سواء كان من الحواريين والكوادر أو من سائر الناس. فنحن نجد أبا ذر الغفاري الذي يمدحه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بالشيء الكثير إلى درجة أن الرسول يقول في حقه: " أنعم وأكرم بك يا أبا ذر انك من أهل البيت "، مع ذلك لا يصل إلى مستوى سلمان المحمدي (رضوان الله عليهما) في علمه ومعرفته.

- فعن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث طويل قال: " قال أمير المؤمنين لأبي ذر يا أبا ذر:

أن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان "[42].

– وعن الباقر (عليه السلام) قال: " ذكرت التقية يوماً عن علي (عليه السلام) فقال: لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله بينهما فما ظنك بسائر الخلق " [43].

وذلك يعود إلى أن الطرف الآخر إن لم يكن عارفاً بالمسائل ومحيطاً بأبعادها فإنه لا يستطيع أن يتفهم الموضوع. ولعل هذا الأمر واضح لمن جرب.. حيث يعادي بعض الأفراد العاملين قائدهم– أحياناً– عداءً شديداً لا ينهيه إلاّ نهاية أحدهما، والسبب: موقف اتخذه القائد أو الفئة العاملة ولم يستطع هؤلاء تفهمه!! وتتورط حركات في انشقاقات وتمزقات بسبب أن بعض الكوادر لم يهضموا الفكر كاملاً ، إن مستوى الوعي العام لدى المجتمع قد يكون بمقدار لا يسمح بطرح بعض الأفكار فيه ولذلك ينبغي الاحتفاظ بها وعدم إخراجها إلاّ لأهلها، كما ينسب إلى الإمام السجاد (عليه السلام) في هذا المعنى شعر:

إني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يراه ذوو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
يارب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأيضاً يحدث الإمام الباقر (عليه السلام) بعض أصحابه بأحاديث خاصة لهم منعهم من إفشائها إلى أي أحد، مما كان يسبب لهم تعباً في الاحتفاظ بهذا المقدار من العلوم والأفكار.

– يقول جابر الجعفي: (حدثني أبو جعفر (الباقر) (عليه السلام) بسبعين ألف حديث لم أحدث بها أحداً أبداً، فقلت لأبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك إنك حملتني وقراً عظيماً، بما حدثتني به من سركم الذي لا أحدث به أحداً، فربما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبه الجنون.

فقال: يا جابر إذا كان ذلك فاخرج إلى الجبّان– الصحراء– فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها، ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا) [44].

ولتفاضل هؤلاء في العلم فقد كان الأئمة يوكلون إلى بعضهم مهام المناظرة العامة، والنقاش مع الفرق المختلفة، بينما ينهون البعض الآخر عن مجرد الحديث.

في الثبات والاستقامة:

كما تختلف استعدادات الناس في مسائل العلم والوعي، تختلف بنفس المقدار في الصفات النفسية، والعملية، فبينما نجد البعض يتسرع و أحياناً يقع في خطأ قاتل كما حصل للمعلى بن خنيس الذي كان من صحابة الإمام الصادق، ورغم ذلك فانه– كما يظهر من بعض الروايات– وقع في خطأ أمني فأخذه الوالي وقتله.

وفي القدرة على التخلص من المآزق، والتظاهر بغير الواقع، كما حصل للبعض بالتظاهر بالجنون.

وهكذا في تحمل المشاكل ومواجهة الصدمات، حيث يتفاوت الأفراد في القدرة عليها، فنحن نجد أن

---

42 / رجال الكشي ١/ ٦٠.

43 / رجال الكشي ١/ ٧٠.

44 / رجال الكشي ٢/ ١٤٤.

الأصحاب بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قد تزعزع قسم منهم، وتشكك قسم آخر..

في الحديث عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام):

– " ارتد الناس إلاّ ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر و المقداد. قال الراوي فقلت: فعمار ؟! قال: قد كان جاض (مال) جيضة ثم رجع. ان أردت الذي لم يشك و لم يدخله شيء فالمقداد، فأما سلمان فانه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين (عليه السلام) اسم الله الأعظم لو تكلم لأخذتهم الأرض وهو هكذا، فلبب ووجئت عنقه حتى تركت كالسلقة، فمر به أمير المؤمنين فقال له: يا أبا عبد الله هذا من ذاك بايع، فبايع. و أما أبو ذر فأمره أمير المؤمنين (عليه السلام) بالسكوت و لم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلاّ أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به "[45]. والردة هنا كما بيننا في صفحات سابقة– ليست الردة عن الإسلام بالمعنى الشرعي والعقائدي. إنما تعني كما يقول الشيخ الطوسي: التخلف عن بعض الحقوق الواجبة.

في الدرجات والمراتب:

وبناءً على ما سبق كانوا يتفاضلون في الدرجات ويجب على بعضهم أن يرجع لغيره ممن هو أعلى منه درجة ومنزلة، أو حسب ما يعبر عنه اليوم بالمستشار أو الموجه.

– سلمان وقد تقدم في الحديث أفضليته على أبي ذر، آخى بينهما الرسول (صلى الله حليه وآله وسلم) واشترط على أبي ذر أن يسمع لسلمان ويطيعه ولا يخالف له أمراً [46]؟!

في صحابة الصادق (عليه السلام) يبرز بعضهم حيث يعتمدهم الإمام (عليه السلام) ويوجه أصحابه للأخذ عنهم كمحمد بن مسلم الثقفي (رضوان الله عليه)..

– فعن عبد الله بن يعفور وهو أحد خاصة الإمام الصادق وقد قال فيه: ما وجدت أحداً يقبل وصيتي ويطيع أمري إلاّ عبد الله بن يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم، ويجيئني الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه. قال: (فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فانه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهاً) [47].

– وعن شعيب العقرقوفي. قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: (عليك بالأسدي يعني أبا بصير) [48].

وهكذا أيضاً يوجه الإمام عدداً من أصحابه منهم سليم بن أبي حية وأبان بن عثمان أن يأخذوا عن أبان بن تغلب لأنه سمع من الإمام (عليه السلام) وبالتالي فهو مورد ثقته [49].

وخيران الخادم وهو من خلص صحابة الكاظم (عليه السلام) يستشير علي بن مهزيار في شيء من الأموال كيف يتصرف بها. والرضا (عليه السلام) يوجه علي بن المسيب إلى زكريا بن آدم، فيقول علي: قلت للرضا (عليه السلام شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني ؟! قال: (من زكريا بن آدم القمي

---

[45] / رجال الكشي ١/ ٥٢

[46] / أعيان الشيعة ٦/ .

[47] / رجال الكشي ١/ ٣٨٣.

[48] / رجال الكشي ١/ ٤٠٠.

[49] / اعيان الشيعة ٢ / ٧

المأمون على الدين والدنيا) فلما انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عما احتججت إليه ويوجه عبد العزيز بن المهتدي وكان وكيلاً له (عليه السلام) وخاصته إلى يونس بن عبد الرحمن [٥٠].

ولا شك أن المسألة هنا تختلف عن مراجعة الجمهور، وتوجيههم إلى قيادات الفروع فذلك بحث سوف نتعرض إليه مستقبلاً، ان المسألة أن الإمام يوجه الكوادر والأصحاب الخلص، و أحياناً الوكلاء إلى من هم أفضل منهم.

وعلى العموم فان هناك درجات ومراتب بين الحواريين يفضل فيها بعضهم بعضاً، والأفضل يتحمل مسؤولية ترفيع الأقل إلى المستوى العالي، ومساعدته على تربية نفسه وتقوية إيمانه عبر أسلوب حسن ورفيق، فعن عبد العزيز القراطيي قال: قاد أبو عبد الله (عليه السلام): " يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات بمترلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الواحد لصاحب الاثنين لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر. ولا تُسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك فإذا رأيت من هو أسقط منك درجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره فان من كسر مؤمناً فعليه جبره وكان المقداد في الثامنة وأبو ذر في التاسعة وسلمان في العاشرة " [٥١]

الفصل الثالث

المواصفات العامة للتربية الرسالية

- البناء الروحي للقادة
- البناء السياسي للقادة
- البناء الفكري للقادة
- البناء الأخلاقي للقادة

بناء الكادر حسب منهج أهل البيت (عليهم السلام) بناء قوي، ومحكم، لأنه متكامل وواقعي.. ولذا وجدنا طلائع الرسالة في التاريخ، تلك المجموعات التي تعرضت لفيض التربية الرسالية، بقيت وأبقت معها رسالتها و لم تتنازل.

---

[50] / رجال الكشي ٢/ ٧٧٩.

[51] / نفس الرحمن في فضائل سلمان / ٥٣ .

إن ما نجده في حياة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من إصرار على الانتماء للرسالة، ورفض البراءة من القائد، حتى وصلوا إلى القتل.. ان ذلك ليهدينا إلى ذلك النوع من التربية والبناء الرائع الذي تعرض له هؤلاء بواسطة أئمتهم (عليهم السلام)، وهكذا بالنسبة إلى بقية الأصحاب. وذاك حجر بن عدي الذي كان ثمن رأسه أن يتكلم بلسانه فيسب قيادته ويتبرأ منها، ولكنه وجد هذا الثمن غالياً ومستحيلاً وفضل الموت صبراً، وحفر قبره بيده.

وذاك هلال بن نافع من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) الذي كان معه ليلة العاشر من المحرم، وبينما كان الإمام يتفقد المنطقة رغّبه في الخروج من كربلاء الاستفادة من ظرف الظلام والهدوء والذهاب إلى أهله. ورغم أن البعض ينتظر هذه الفرصة للتخلص من المواقع الحرجة، إلاّ أن يقف تلك الوقفة الخالدة قائلاً:

لوددت أنني اقتل ثم احرق ثم ابعث يفعل بي ذلك سبعين مرة وأن يدفع بذلك القتل عنك وعن أهل بيتك.

وهكذا بالنسبة إلى سعيد بن جبير الذي قهر طغيان الحجاج ومرغ بشهادته جبروته في الوحل.

وعلى هذا المعدل.. بقية الأصحاب والطلائع، إن هذه المواقف تكشف عن نوع خاص من التربية، والإعداد، ولا بد لنا أن نلتمس الطريق لاكتشاف ذلك النوع من التربية.

وسوف نحاول اكتشاف أساليب أهل البيت (عليه السلام) وطرقهم في تربية أصحابهم المخصلين لنستهدي بها في طريق العمل الرسالي.. ويمكن أن نشير إلى بعض الصفات العامة لهذه التربية كالتالي:

١/ تربية متكاملة وشاملة:

يهتم الإسلام بتغيير الفرد المسلم المنتمي إليه تغييراً جذرياً، وتدخل تعاليمه في كل جوانب حياة الإنسان، بدءاً من النية التي يحددها الإسلام موجهاً الفرد إلى النية الصالحة باعتبارها جزءاً من العمل، ومقدمة له تؤثر تأثيراً كبيراً في صحة العمل وفي قبوله لدى الله سبحانه وتعالى، وانتهاء بتقرير نوعية العمل السياسي والعسكري، هذا مروراً بعدد هائل من التعاليم الأخلاقية، والواجبات العبادية، بحيث يصبح المسلم بعد ذلك فرداً متميزاً عن غيره من أصحاب المذاهب الفكرية أو السياسية.

وبالنسبة لطلائع الرسالة تشتد الحاجة إلى التربية الشاملة، حيث لا بد من صياغة جديدة لشخصية الكادر الرسالي تبدأ بأخلاقه وسلوكه، وتعامله مع المجتمع، إضافة إلى عمله السياسي.

ولعلنا نلاحظ هذا الأمر في وصف أهل البيت لأصحابهم المخلصين وبالتالي النوعيات المطلوبة في كل وقت للرسالة.

فعن جابر الجعفي قال: فال أبو جعفر (الباقر) (عليه السلام): " يا جابر.. يكتفي من اتخذ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فو الله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله و أطاعه وما كانوا يعرفون إلاّ بالتواضع والتخشع و أداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلاّ من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

قال جابر: قلت يا بن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة!! فقال لي (عليه السلام): يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب علياً (صلوات الله عليه) و أتولاه فلو قال اني احب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً فاتقوا الله

واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله و أكرمهم عليه اتقاهم له و أعملهم بطاعته" .

والتأكيد على وجود هذه الجوانب المختلفة التي تبدو في ظاهرها متناقضة رغم أنه عسير إلاّ أنه ضروري، إذ من السهل أن يختص المرء بأحد الجوانب ويكرس في نفسه نوعاً معيناً من الصفات، فيكيف كل حياته بهذا الاتجاه، بحيث لا يستطيع أن يتخلى عنها، كأن يتعود على الزهد والرهبنة والتخشن فيبتعد عن ملذات الدنيا، ويتروي عن المجتمع ويمارس عباداته بمفرده دون أن يكون في الناس، ودون أن يتعرض للصراعات وهذا ما فعله الصوفيون في مختلف العصور، وليس هذا بالأمر العسير.

كما أنه ليس من العسير أيضاً أن يحترف المرء البندقية ويصبح حليف الرصاص ولا يعيش إلاّ بها ومعها، فلا يخرج من معركة إلاّ ليدخل في أخرى ولا يسكت الرشاش إلاّ لتنظيفه والعودة إلى القتال.. وهكذا.. وهذا أيضاً رغم صعوبته، إلاّ أن الكثير من المناضلين يقومون به ولا يجدون فيه عسراً، بل غير المناضلين كالمرتزقة.

وأيضاً ليس صعباً على المرء أن يصبح مفتياً وعالماً ، فيعيش ضمن معادلات القرطاس والحبر، ويصنع لنفسه عالماً خاصاً، يخوض فيه المعارك الفكرية فيؤيد هذا ويعارض ذاك، ويشغل نفسه بالكتاب قراءة وكتابة ومناقشة.. وهذا حال غالب العلماء النظريين..

إذن.. أن يختص المرء بجانب من الجوانب ويلخص حياته فيه، هذا ليس صعباً وعسيراً، إنما الصعوبة الحقيقية في أن يجمع المرء هذه الأمور المختلفة ويكرسها في شخص واحد. أن يكون مقاتلاً ثورياً من الدرجة الأولى عند احتدام المعركة، وعالماً فاضلاً عارفاً بالإسلام، وخبيراً بالأوضاع الاجتماعية والسياسية وقادراً على الخروج من صراعاتها بنجاح وانتصار، هذا هو البحر الصعب الذي لا بد لكوادر الرسالة أن يخوضوا لجته.

إننا لو نظرنا إلى حياة أهل البيت (عليهم السلام) أنفسهم لوجدنا مظاهر الشمولية هذا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في نفس الوقت الذي يخرج في جوف الليل لعبادة ربه حتى يسقط على الأرض من شدة البكاء والتضرع لله سبحانه.. هو نفسه الذي يقود الجيش في مواجهة الكافرين ويكون في اللحظات الحرجة أقرب المسلمين لقتال العدو كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): " وكنا إذا اشتد القتال احتمينا برسول الله ".

وهكذا بالنسبة إلى الإمام علي (عليه السلام) فهو مقاتل يهرب من قتاله أشجع فرسان العرب، وهو أيضاً بكاء في المحراب ليلاً، وهو الذي يتضعضع لبكاء امرأة أرمل أو طفل يتيم.

لا يقال ان تجسيد هذه الجوانب المختلفة تابع لكمال الأئمة لاننا نجد أن أصحاب الأئمة (عليه السلام) أيضاً جسدوا في حياتهم هذه الجوانب.. هذا مالك الأشتر إداري فذ وقائد رسالي حكم بلاد مصر حكماً اسلامياً مدة من الزمن وهو نفسه المقاتل البطل الذي روى الأرض بدماء الباغين على أمير المؤمنين وهو العابد الزاهد. وذاك زيد بن علي بن الحسين السجاد (عليهما السلام)، يقود ثورة مسلحة ويحارب الحكم الأموي في ذات الوقت الذي هو من أبرز الفقهاء الذين تتلمذوا على يد السجاد (عليه السلام).

هكذا فان تربية أهل البيت (عليه السلام) لكوادر الرسالة تشمل الجانب الروحي حيث تهذب علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتحقق مفهوم العبودية لله في حياة العبد، إضافة إلى أنها تشمل الجانب الشخصي فتقوم أخلاقه وسلوكه، كما تتحكم في أسلوب عمله السياسي، إضافة إلى تعريفه بالإسلام وبأحكامه.. كل ذلك سوف نتحدث عنه في الصفحات القادمة.

٢/ تربية واقعية:

هناك منهجان في إثارة الفرد للقيام بالثورة والانتماء إلى الثائرين:

المنهج الأول: يعتمد على إثارة الخيال، وتقديم الوعود المسولة لهذا الفرد في أنه- بالثورة- سوف يحصل على الامتيازات، وسوف يحكم البلد، ويسيطر على أموال الحاكمين بعد إسقاطهم، وانه سوف يصبح كذا وكذا..

والمنهج الثاني: يعتمد على مواجهة الفرد بالحقيقة، وأنه عند انتمائه لخط الرسالة سوف يأتيه البلاء، وسوف يشرد، ويسجن، وربما يقتل، وأن الثورة ليست نزهة قصيرة، وانما هي صراع عنيف قد تنتهي حياة الثائر ولا ينتهي.. وأن الناس ليسوا رهن الإشارة فقد يرفضون بجهلهم الثورة والتغيير، وقد يشككون في نيات الثائرين ويتهمونهم بمختلف أنواع التهم والافتراءات.

وقد يكون المنهج الأول أقدر على الاستقطاب، وأقرب لقبول الناس فالحياة يرغب فيها المرء أكثر مما يرغب في الموت، ويرغب في أن يكون حاكماً لا أن يبقى في سجن، أو أن يستشهد.

وهذا هو المنهج الذي تتبعه غالبية الحركات غير الإسلامية، وأحياناً بعض الإسلامية، ومع أنه منهج قادر على الاستقطاب، أكثر من المنهج الثاني إلاّ أنه على المدى البعيد خاسر، لأن الفرد يمكن أن يبقى غافلاً أو متغافلاً لمدة من الزمن، لكنه لا يبقى إلى الأخير هكذا.. هذا إضافة إلى أن درجات التضحية والعطاء لدى الفرد الذي جاء عبر هذا المنهج تصل إلى أدناها، إذ أنه أساساً جاء لكي يأخذ، لا ليعطي، انتمى لكي تنتصر الثورة ويأكل من خيرها، ولذلك ليس من الصحيح حسب رأيه أن يضحي بنفسه.

إننا لا نجد غرابة في أن تسقط الأحزاب والحركات غير الإسلامية في أحضان الأنظمة التي تعارضها في الأخير لأن المنهج أساساً منهج خاطئ، ولو تتبعنا تجربة هذه الحركات في بلادنا الإسلامية لوجدنا أن المطاف قد انتهى بها إلى التقاط فضلات الأنظمة الجائرة عبر الاشتراك في الوزارة أو في احتلال زاوية صغيرة من زوايا البرلمان وهكذا (قنعت من الغنيمة بالإياب).

أما المنهج الثاني الذي يعتمد على مواجهة الفرد المنتمي بالحقيقة التي تنتظره، انه لن يحصل على ما يتصور فقد لا تنتصر الثورة، وقد تصادر جهود العاملين منذ البداية.

ان ما ينتظره ليس إلاّ البلاء، وعليه أن لا ينتظر غير ذلك، وقيامه بهذا العمل ليس إلاّ لأنه واجب شرعي، ولأن فيه خدمة الناس ونصرة الإسلام، لا أكثر.

هذا المنهج رغم أنه أقل قدرة من الناحية العددية على الاستقطاب إذ أنه يدعو الناس إلى ما لا يرغبون فيه، إلى البلاء، والسجن والخوف وطبيعي أن كثيراً من الناس لا يستجيبون لهكذا دعوة، إلاّ أنه منهج سليم ويمكن الاطمئنان إلى أن المنتمي على هذا الأساس مشروع استقامة، وينبغي الاعتماد عليه. وهذا هو المنهج الذي اتبعه أهل البيت (عليهم السلام) مع أتباعهم. حيث كانوا يخبرونهم بما سوف يجري عليهم من بلاء وفتنة. ويبينون لهم المعادلة التي سوف يعيشونها من أذى في الله.

- فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، انه قال لأصحابه " كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجعل فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مما دون لحمه من عظم أو عصب ما صده ذلك عن دينه " .

- وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

(إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض " .
– وعن الصادق (عليه السلام):
" ان اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلوهم الأمثل فالأمثل " .
وعن الصادق (عليه السلام):
"إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة، أما إن ذلك إلى مدة قرية وعافية طويلة" [٥٢].
– وعنه (عليه السلام):
" قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا بها من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعهيم " .
– وعن الكاظم (عليه السلام):
" مثل المؤمن مثل كفني الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه ليلقى الله عز وجل ولا خطيئة له " .
ولو تتبعنا مواقف أهل البيت مع أصحابهم لوجدنا هذا المنهج واضحاً. يأتي أمير المؤمنين إلى رسول الله (صلى. الله عليه وآله وسلم) بعد معركة بدر فيقول له متأسفاً: أرأيت كيف فاتتني الشهادة يا رسول الله ؟! فيقول له الرسول: كأني بك وقد بعث أشقاها فخضب لحيتك من هامتك!! فيقول له الإمام: وفي سلامة من ديني؟! قال: نعم.
وأمير المؤمنين (عليه السلام) يخبر أصحابه بمصارعهم وشهادتهم، فها هو يخبر ميثم التمار أحد حوارييه عن المصير الذي ينتظره: والله ليقطعن يديك ورجليك ولسانك ولتصلبن عاشر عشرة، أقصرهم خشبة، و أقربهم من المطهرة وتعلق على باب عمرو بن حريث.
وحين يقول رجل إلى الإمام الباقر (عليه السلام): والله إني لأحبكم أهل البيت. يخبره بما ينتظره قائلاً: فاتخذ للبلاء جلباباً فو الله انه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل إلى الوادي وبنا يبدأ البلاء ثم بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم .

٣/ تربية حازمة:

تفشل بعض الحركات في تحقيق النصر، لأنها تربب أفرادها على الدلال، فكي يبقى هؤلاء الأفراد محافظين على انتمائهم، وولائهم، فينبغي إلاّ يغضبوا بالعتاب فضلاً عن العقاب. وبالتالي فمن الضروري اعتماد مبدأ التشجيع الدائم، ورفع معنويات الفرد والتغاضى عن أخطائه وسيئاته.

وقد يكون هذا الأمر صحيحاً– بنسبة ما– في حق بعض الأفراد العاديين أما حين تصل المسألة إلى الكوادر والطلائع فان الأسلوب يجب أن يتغير ليحل محله التربية الحازمة التي تشير إلى موضع القوة فتؤكد عليه وتشجع، وتشير إلى موقع المرض فيستأصله، تماماً كالطبيب الذي يحتاج إلى مقدار من الحزم فيستأصل بمبضعه الخلايا الفاسدة من جسد المريض دونما تردد.

إن الطلائع هم قادة المجتمع، وخطأ الواحد منهم يجر الوبال على جميع أقسام العمل، وسيئة واحدة تصبح سنة سيئة في المجتمع. وقد وجدنا أن أعداداً كبيرة من المجتمع قد انحرفت بسبب انحراف أحد الكوادر وسوء نظرة، ولعل هذا

---

[52] / الأحاديث من ميزان الحكمة ١/ ٤٨٢

يفسر شدة لعن الأئمة وبراءهم من هؤلاء، والتأكيد في كل مجلس ومحفل على انحرافهم.

علي ابن أبي حمزة البطائني الذي كان من وكلاء الإمام الكاظم (عليه السلام) لطمعه في المال، ورفضه تسليمه للإمام الرضا (عليه السلام)، أسس مذهباً أضل به كثيراً من الناس، أولئك الذين وقفوا على الإمام الكاظم وزعموا أنه حي لم يمت.. والذين يسمهم الأئمة (بالكلاب الممطورة) وهم الواقفية.. ما السبب؟ طمع ذلك الرجل في شيء من حطام الدنيا.

وإذا كان المرء يحاسب في الآخرة على قدر علمه ووعيه فترى أنه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد، فان المعادلة ذاتها ينبغي أن تكون فيما يتعلق بالعمل الرسالي ودور الطلائع فيه، وبالتالي فان تربية الطلائع ينبغي أن تكون تربية حازمة، لا ضعف فيها، ولا دلال، ولا مراعاة للمشاعر على حساب العمل.

إننا نلاحظ القرآن الكريم نجد أنه في بعض آياته يعاتب المسلمين بخطاب قوي، ويكشف عما في أنفسهم، ويدين بعض أفكارهم.. كل ذلك تربية لهم.. فتراه بعد غزوة حنين يبين لهم سبب الهزيمة التي أصيبوا بها فيقول:

– (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) (٢٥/ التوبة)

كما يفضح القرآن نفسية أولئك النفر من المسلمين الذين تخلفوا عن الجهاد ومختلقين الأعذار لأنفسهم في عدد من الآيات تبدأ بالآية ٤٢ من سورة ا لتوبة:

– (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معاىم يهلكون أنفسهم والله يعلم. اهم لكاذبون ..)

وهكذا الحال بالنسبة لأهل البيت مع أصحابهم (عليهم السلام) فنجدهم ينقدونهم ويبينون لهم أخطاءهم وبشكل قاس في بعض الأحيان، فالصادق يخاطب بعض أصحابه قائلاً لهم: إن أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) أفضل من أصحابه إذ أن أولئك كانوا ورقاً لا شوك فيه وهؤلاء شوك بدون ورق.

وسوف نتحدث في الصفحات القادمة عن هذا الجانب.

هذه على صعيد النقد والعتاب، وعلى صعيد آخر حينما نرى بعض أحاديث الأئمة في قسم من المواضيع نجد أن وراءها حزماً وقوة، وأن هذه القوة مقصودة لكي تبلغ حد التأثير.. انظر إلى وصية الإمام الصادق إلى بن النعمان مؤمن الطاق وهو أحد حوارييه (عليه السلام):

" يابن النعمان: اني لأحدث الوجل منكم بحديث فيتحدث به عني فاستحل بذلك لعممه والبراءة منه..

يابن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً.

يابن النعمان انه من روى علينا حديثاً فهو ممن قتلنا عمداً و لم يقتلنا خطأ.

يابن النعمان: ما لكم وللناس؟ كفوا عن الناس.. (ولا تدعوا أحدا لهذا الأمر).

إن هذه الكلمات في الوصية أشبه بأوامر عسكرية صارمة لا تحتمل التساهل والتهاون.

وفي مجال العمل والتحرك يأمر الأئمة بعض أصحابهم بالسكوت وترك المناظرة في المسائل الفكرية، بينما يأمرون البعض الآخر بالاستمرار، ويكون واجب البعض التظاهر بالجنون، بينما البعض الآخر الهجرة..

– أبان بن تغلب يقول له الصادق (عليه السلام): جالس أهل المدينة فاني احب أن يروا في شيعتي مثلك [٥٣].

– علي بن يقطين يأمره الإمام الكاظم (عليه السلام) بالبقاء في بلاط هارون العباسي ولا يقبل استقالته فقد كتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام): إن قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان فان أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه؟! فرجع الجواب: لا آذن لك بالخروج من عملهم واتق الله [٥٤].

– وبينما يأذن الإمام الصادق (عليه السلام) لمؤمن الطاق في المناظرة والنقاش مع المخالفين ينهي غيره مثل أبي خالد الكابلي فقد روى أبو خالد: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة إزاره وهو دائب يجيبهم ويسألونه فدنوت منه فقلت إن أبا عبد الله نهانا عن الكلام. فقال: أمرك أن تقول لي ؟ فقلت: لا ولكن أمرني ألا أكلم أحداً.

قال: فاذهب و أطعه فيما أمرك. فدخلت على أبي عبد الله و أخبرته بالقصة فتبسم أبو عبد الله (عليه السلام) وقال: يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير و ينقص وأنت إن قصوك لن تطير [٥٥].

أي أنه كفوء لهذه المهمة، بينما لا تمتلك الكفاءة الكاملة.

هكذا ربى الأئمة حوارييهم تربية حازمة، وضعوا الفرد المناسب في الموقع المناسب، و لم تتدخل المشاعر والعواطف قي القرار، بل كان النقد والعتاب وملاحقة الأخطاء، والأحاديث الركيزة في توجيههم وتعيين مجال العمل والدور المناسب لكل فرد دون أن تتدخل رغبة هذا الفرد في الأمر.

البناء الروحي للقادة

مشهدان..

بعد ٦٤ عاما، وفي ضربة واحدة، تهاوى حزب (توده) الشيوعي في إيران. وظهر (أبطاله) على شاشة التلفزيون وأمام الملايين ليعلنوا إفلاس الحزب، ومن ورائه الشيوعية في عالمنا الإسلامي–.

عشرون من الرفاق القياديين (!) كانوا يتسابقون في الإنهيار، بعضهم أمضى نصف قرن من النضال الطبقي!!، وجاء بعدها ليركع أمام الأخلاقية الجديدة التي يصنعها الإسلام.. لم يكن هناك تعذيب أو قسر كما صرح به هؤلاء [٥٦]..

مشهد آخر يتكرر مع الرساليين في كل أدوار تاريخهم، مع الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجنه، ومع محمد بن أبي عمير، ومع أبنائهم والسائرين على نهجهم مجاهدي الأمة الإسلامية في مختلف بقاعها.

ما هو الفرق؟!

وما الذي يجعل هذا الفتى اليافع صامداً تحت سياط الجلادين؟! بينما يتساقط آخرون في عمر جده، دونما تعذيب؟!

---

53 / أعيان الشيعة ٢/ ٩٨ ط بيروت.

54 / بحار الأنوار ٤٨/ ١٥٨.

55 / رجال الكشي ٢/ ٤٢٤.

56 / سقوط حزب توده/ محمد علي حسين

إنه التربية الروحية التي ينشأ على أساسها المؤمن، وتسري تعاليمها في كل خلية من خلاياه، فتؤثر في أخلاقه، في صموده واستقامته، كما تؤثر في أسلوب تعامله مع المسائل اليومية والمشاكل الحياتية.

وليس هذا أمر جديد إنما هو نهج اختطه المجاهدون السابقون، والرساليون الأولون، ممن تعرضوا لنفحات من تربية الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين سجنوا وعذبوا، واهينوا (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما وضعفوا وما استكانوا).

هذا قائدهم وزعيمهم موسى بن جعفر (عليهما السلام) الذي يجد السجن نعمة للتفرغ لعبادة الله.

وذاك محمد بن أبي حذيفة أحد حواري أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يقذف به في السجن سنيناً، فلا يكاد يغير موقفه رغم الإغراء حيناً والعذاب دائماً.

وغيرهم كثيرون..

إنه نور الإيمان حينما يزهر في قلب المرء، فيجعله عارفاً بالله، ذائباً في تعاليمه، فينسى كل شيء في الحياة، صعوباتها ومشاكلها، طغاتها وحكامها، ويبقى ذاكراً لله راغباً في ثوابه، راجياً رحمته.

وهذا الفرق فرق عظيم، فهو ليس تكتيكاً، أو صفة محبذة فحسب إنما هو منهج المسيرة، وأساس البناء.

فرق كبير تتجلى آثاره المختلفة، في منطلق التحرك حيث يرى المؤمن أنه يتحرك ضمن الواجب الشرعي، واستجابة لأمر الله، ورغبة في رضوانه وغفرانه، ورغم أنه يلاحظ الظروف الخارجية ويضع الخطة الملائمة لها، إلاّ أنه لا يراها المنطلق الأساسي للتحرك فمنطلقه واجبه الشرعي، وأوامر الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فلو كانت فرص النجاح معدومة فإنه يتحرك أيضاً، إذ ليست هي الأساس . .

تتجلى آثاره أيضاً قي معالجة المشاكل والصعوبات التي ستلاقي الرسالي في طريقه حيث يؤمن أنه مهما واجه من فتن ومحن فان عليه أن يصبر ويستبشر لأنها تزيد رصيده من الحسنات، وانها بعين الله لعلنا نفهم هذا من موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما ذهب إلى الطائف طالباً منهم الإيمان بالله ومستنجداً بهم فلم يجدوا إلاّ الأحجار والإيذاء جواباً له وأغري به السفهاء والصبيان حتى سالت قدماه دماً..

هذا الرسول (ص) المعلم ذهب بعد هذا المشوار المضني، إلى بستان يتفيأ بظلال أشجاره وليستريح، وهنا رفع رأسه إلى السماء، إلى خالقه المعين، إلى أمله، وانسابت هذه المناجاة التي تهزك اليوم بعد (١٤) قرناً:

(الهي.. إلى من تكلني إلى قريب يتجهمني ؟! أم إلى بعيد ملكته أمري ؟! أم إلى المستضعفين لي وأنت رب ومليك أمري.. ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي "

الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء عندما كان أصحابه يتساقطون في بحر الشهادة وعندما كانت تحف به المحن والمآسي كان يستبشر ويشرق وجهه بالنور قائلاً: (هون عليّ ما نزل بي أنه بعين الله).. وما دام بعين الله، وتحت نظر الله سبحانه، فإنه لا يضيع، بل هو مدعاة للفرح والسرور والرضا، لننظر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وهو واقع على الأرض وبجسمه من الجراح ما لا يحمى وهو ينزف، حينها يرمق السماء بعينيه المجهدتين، ويقرأ هذا الدعاء الرائع غائباً عن صهيل الخيل، وضوضاء الجيش، مناجياً ربه: " الهي رضا برضاك، لا معبود سواك يا غياث المستغيثين.. "

" اللهم.. أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل هم نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك ووكلته إليك رغبة مني إليك

عمن سواك ".

تتجلى آثاره أيضاً حين التعامل مع الأمور التي تخص العمل، فالذي تربى عبر هذا المنهج لا يمكن أن يسمح لنفسه، بالاعتداء على حدود الله وحقوق الآخرين، فلا يصرف درهماً في غير حله، ولا يتصرف في شيء لا يحق له كما فعل خيران الخادم حين استأذن علي بن مهزيار في بضعة دراهم أهديت إليه، فأرسل إلى بن مهزيار يسأله عن طريقة التصرف فيها ووجوه إنفاقها.

ويعتبر المؤمن الرسالي تقصيره في الأعمال الموكولة إليه جزء من الذنوب والمعاصي التي يحاسب عليها، كما يحاسب على التقصير في الأمور العبادية.

وعلى هذا النهج تربى أصحاب المعصومين (عليهم السلام) وكوادرهم.

والعاملون الرساليون اليوم، وفي زحمة المؤامرات الكبرى التي تحيكها أعتى الأجهزة الاستكبارية، وعند اشتداد وطأة التحالفات العالمية الظالمة التي تريد السوء بالإسلام وأهله، وعند شدة الكرب، وسورة الإرهاب الطاغوتي، ليس لهم معين إلاّ الله، وإلا الاعتصام بحبله، والاستناد إلى قوته.

وليعلموا أنه لا شيء يصنع القوة كالاعتماد على القوة المطلقة، والقدرة المطلقة، والخالق الرؤوف بعباده الصالحين.

ان بداية الطريق تزكية الدوافع عبر تربية روحية متقدمة، ترفع المرء من حضيض الضعف والجهل والمشاكل اليومية إلى رحاب قوة الله، وعزته. وبنظرة إلى تاريخ الأئمة (عليهم السلام) وطريقة تربيتهم لأصحابهم نجد هذا الجانب- كبقية الجوانب- علامة مضيئة.

أساليب التربية الروحية:

١- الدعاء:

خلف لنا المعصومون (عليهم السلام) تراثاً رائعاً من الأدعية، وسنوا لأتباعهم خير أسلوب لطريقة التخاطب مع الله سبحانه، ومناجاته، والتوسل إليه.. ولم يكن ذلك عبثاً أو تصادفاً و انما كان في صميم المنهج الذي أرادوا لكوادرهم و أصحابهم أن يسيروا عليه.

والدعاء، رغم ما يحتويه من معان رائعة، وثقافة إسلامية أصيلة ونصوص دقيقة في العقائد، إضافة إلى كل ذلك فهو بالأساس طريق إلى معرفة الله، ومعرفة العلاقة بين القارئ للدعاء وبين خالقه، وقد ورد أن العبد إذا أراد أن يتحدث الله سبحانه معه فعليه بقراءة القرآن وإذا أراد أن يتحدث هو مع الله فعليه بالدعاء والمناجاة.

ورغم أننا نعلم أن الدعاء والمناجاة، نوع من الاعتراف لله والإقرار بالخطيئة، وطلب المغفرة، ويفترض بالتالي أنها أمر خاص، إلاّ أننا نجد المعصومين عليهم السلام يحرصون على نقل هذه الأدعية، وتحميلها لأصحابهم بحيث أنها تعرف بأسماء أصحابهم مثل دعاء كميل ودعاء أبي حمزة الثمالي، مما يشير إلى أنهم (عليهم السلام) أرادوا تربية الأصحاب عبر هذه الأدعية، وإلا لكان ممكناً أن يقوم الأئمة (عليهم السلام) بقراءة هذه الأدعية في جوف الليل دون أن يعلم بها أحد.

وبالنسبة للصحيفة السجادية نجد أن الأئمة (عليهم السلام) يحرصون حرصاً شديداً على تناقل أدعيتها والمحافظة عليها من التلف، ويورثونها لأصحابهم، كما يستفاد من مقدمة كتاب الصحيفة السجادية، التي تبين حرص الإمام الصادق (عليه السلام) على هذه المجموعة من الأدعية، بحيث أنه لا يدفعها إلى يحيى بن زيد خوفاً

عليها من التلف بعد شهادته بيد الأمويين [57].

وبنظرة إلى كتاب مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله، نجد أن عدداً غير قليل من الأدعية رواها أصحاب الأئمة (عليهم السلام).. وانني انصح جميع العاملين- ونفسي قبلهم- بالحرص على الرجوع إلى هذه الكنوز الروحية، للتزود منها في أثناء المسيرة، ولقد أحسن قادتنا وأئمتنا عليهم السلام إذ أنهم صنعوا لأصحابهم، ومن بعدهم لأتباعهم، برنامجاً كاملاً في التربية الروحية.

هذا الدعاء المشهور الذي يرويه كميل بن زياد النخعي عن سيده أمير المؤمنين (عليه السلام) ويدعى به في ليالي الجمعة، وهو البرنامج الذي لا يترك لدى المؤمنين في هذه الليلة، وفيه من المعاني ما يحتاج إلى كتاب كامل حوله، فهو يتضمن توحيد الله وذكر صفاته والثناء عليه، كما يوقف الداعي موقف الاعتراف بالذنب والخطيئة، معدداً سيئاته، ونعم الله عليه في المقابل، وينقله إلى مشهد القيامة حيث البلاء الذي تطول مدته ويدوم مقامه ولا يخفف عن أهله، وكأنك في هذا المشهد تسمع ضجيج المؤملين لرحمة الله.. ياغياث المستغيثين ياحبيب قلوب الصادقين.

وهذا دعاء أبي حمزة الثمالي الذي يرويه عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ولم أر في الأدعية الأخرى كهذا الدعاء ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في عرفة، فهو إضافة إلى تنوع المواقف، والحالات التي يصورها هذا الدعاء، ينقله بشكل سريع ومؤثر إلى مختلف المشاهد، ويستخدم أفضل المؤثرات المعنوية والروحية لصقل شخصية الإنسان المؤمن.

ورغم أنني لا أريد إلاّ الاستشهاد بالأدعية على طريقة التربية الروحية لدى المعصومين (عليهم السلام)، إلاّ أنني أجد نفسي مساقاً إلى التأمل في هذه الأدعية ولو بشكل سريع.. ها هو الإمام السجاد (عليه السلام) يعلم أبا حمزة الثمالي كيف يخاطب الله سبحانه وكيف يتوسل إليه.. فيصنع نوعاً من المقارنة بين إحسان الله، وجحود العبد:

" الحمد لله الذي ادعوه فيجيبني وان كنت بطيئاً حين يدعوني والحمد لله الذي اسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني .. ".

ويستمر معدداً نعم الله عليه وتنوعها (فما ندري ما نشكر أجميل ما تنشر أم قبيح ما تستر أم عظيم ما أبليت وأوليت أم كثير ما منه نجيت..).

ثم يعترف المؤمن بقلة توجهه إلى الله، وضعف علاقته، ويعدد الأخطاء التي يمكن أن يكون فيها كالاستخفاف بحق الله، أو الإعراض عن التوسل أو جحود النعمة، أو عدم التواجد في مجالس العلماء والواعين، والاستعاضة عنها بجلسات البطالين غير الهادفة.

" اللهم اني كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت علي نعاساً إذا أنا صليت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت.. مالي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك سيدي لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني أو لعلك رأيتنى غير شاكر لنعمائك فحرمتني أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني أو لعلك رأيتني آلف

---

[57] / الصحيفة السجادية/ ط بيروت/ ص ١٢

مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني.. ".

ثم ينتقل إلى أحوال المرء بعد الموت.. (ارحم في هذه الدنيا كربتي وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي وفي اللحد وحشتي، وإذا نشرت للحساب بين يديك ذل موقفي وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي وتفضل علي ممدوداً على المغتسل يقلبني صالح جيرتي وتحنن علي محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي..).

ودعاء الجوشن الصغير الذي ينقل عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وهو يبين حماية الله سبحانه للإنسان المؤمن من كيد الأعداء، ومؤامرات الطواغيت.

وهكذا المناجاة الخمسة عشرة التي تروى عن الإمام زين العابدين (عليه السلام).

ودعاء السمات الذي علمه الإمام الحجة المنتظر لأحد نوابه وهو محمد بن عثمان العمري.. وكنا نحب أن نستعرض بعض الأدعية الأخرى خصوصاً دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في عصر يوم عرفة الذي يرويه بشر بن غالب الأسدي وهو من أروع الأدعية.. إلاّ أن المجال هنا لا يتسع.

٢- الوصايا والمفردات الروحية:

في وصايا المعصومين (عليهم السلام) نجد أنهم يفتتحون الوصية بالتأكيد على عدد من المفردات تصب في قناة التربية الروحية، وتعتبر إطاراً جامعاً لعمل المؤمن وحركته في الحياة.

وإذا كنا نعلم عن صلاح حال هؤلاء الأصحاب وتقواهم و إخلاصهم لله، فبعضهم ضمن لهم الأئمة (عليهم السلام) الجنة كما ضمن الإمام الرضا (عليه السلام) ليونس الجنة، والكاظم لعلي بن يقطين، ومدحوا بعضهم الآخر مدحاً بالغاً.

إذا كنا نعلم ذلك، فإننا نعتقد أن هذا التأكيد، والتركيز من قبل الأئمة (عليهم السلام) على هذا الموضوع، إنما هو استمرار في صناعة الإطار الروحي والإلهي الذي يلف عمل المؤمن بشريط الإخلاص.

من هذه المفردات التقوى، والزهد، والتذكير بالموت.. وقد تتداخل تداخلاً شديداً لأنها تؤدي إلى غرض واحد.

هذا أبو ذر الغفاري (رض) الذي تحدث رسول الله (ص) عن فضله كثيراً، قائلاً: بعد أن سأله أبو ذر وصية نافعة:- نعم وأكرم بك يا أبا ذر انك منا أهل البيت.. بعد ذلك يبدأ بتلك الوصية الخالدة:

" يا أبا ذر: اعبد الله كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك.. ".

" يا أبا ذر: كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومنظر غدا لا يبلغه.. ".

" يا أبا ذر: لو نظرت إلى الأجل ومسيره لا بغضت الأمل وغروره ".

" يا أبا ذر: كن في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور ".

" يا أبا ذر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدري ما اسمك غدا ".

" يا أبا ذر: أتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: نعم فداك أبي. قال: فاقصر من الأمل واجعل الموت نصب عينيك، واستح من الله حق الحياء.. " [٥٨].

---

[58] / مكارم الأخلاق/ ص ٤٥٨.

ولهذه التوجهات أثر مهم في تهذيب مسيرة الرسالي، إذ أنه ينشغل بالمشاكل اليومية التفصيلية، وبالصراعات المختلفة، ناسياً الصراع الأساسي،

والسباق الأساسي إلى الجنة، هنا تعيده الوصايا التربوية والتوجيهات الروحية إلى واقعه، إلى ذاته، إلى مصيره الرهيب الذي ينتظره، فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه.

وإذا كانت المعادلة في الحياة هكذا فلماذا التكالب على الدنيا، والتطاحن على شهواتها ؟! أليس من العقل ترك الوجاهات، والاستئكال بالدين، والسعي وراء الرئاسات؟!

أليس هدف المؤمن الجنة؟! ألا نفتش عن الطريق إلى النعيم ؟! إذن :

" فاقصر من الأمل، واجعل الموت نصب عينيك واستح من الله حق الحياء".

تأمل معي.. عزيزي القارئ، موقف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وتوجيهه أحد أصحابه في هذا المجال، يروي نوف البكالي قال: رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم فقال لي: يانوف أراقد أنت أم رامق؟! قلت: بل رامق. فقال:

" يانوف طوب للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً، ثم قرضوا- مزقوا- الدنيا قرضاً على منهاج المسيح.. " .

ان التربية الروحية ليست عملا تكتيكياً كما قلنا، وانما هي استراتيجية في البناء والإعداد بالنسبة للكادر الرسالي، لأنه يهدف رضوان الله، ويسعى إلى جنته.. غير أنها مع ذلك تساعد في حل الإشكالات لدى الفرد العامل. ذلك أن هناك طريقتين في حل مشاكل الأفراد العاملين:

الأولى: الطريقة الاعتيادية التي يطلب فيها الفرد حلولاً للمشاكل المتعلقة بالعمل.. وبالنسبة للمشاكل الاعتيادية التي يمكن حلها، أمرها يهون، غير أن هناك نوعاً آخر من المشاكل لا يرتبط بالفئة العاملة ولا تستطيع أمامه القيام بأي شيء.. هنا قد تنعكس هذه المشاكل على العاملين صورة قائمة سوداء، تزعزع إيمانهم، وتفسد حماسهم ويجدونها أكبر من حجمهم وإمكاناتهم، فتضيق صدور البعض بالأمر متطورة إلى حالة من الانهزام والسلبية فيما بعد.. وهنا تتورط الفئة الرسالية بين أمرين:

القيام بأعمال تخالف استراتيجيتها للحفاظ على ثقة الأفراد حتى لو كانت هذه الأعمال أكبر من حجمها كل ذلك لحل المشاكل القائمة. أو خسارة بعض الأفراد الذين لا يتحملون هذا الوضع.

الثانية: تلك التي نعتقد أنها جارية في عمل المعصومين (عليهم السلام) مع كوادرهم واتباعهم، وتقوم على أساس إعطاء زخم روحي هائل، وارتباط بالله، وتوجيه الأفراد في هكذا مشاكل إلى الأهداف الأساسية.. رضى الله، خدمة الإسلام، تحمل البلاء من أجل الله..

ونعتقد أن هذه الطريقة هي الأصوب إذ أن مشاكل العمل لا تنتهي وقوى الطاغوت المادية أكبر وبالتالي قدرته على إحراج الحركة الرسالية أكثر وإذا افترض ان على الفئة الرسالية أن تجيب على الإشكالات والمحن اليومية التي ترد على العاملين، فإن عليها أن تقدم استقالتها في الأمور الأخرى!! هذا المنطق ينبغي أن يسود صفوف العاملين الرساليين، بالنسبة لبعض الضعفاء الذين يستسلمون للمشاكل وينهزمون أمامها " هذا واجبنا

الرسالي.. وعلينا أن نعمل ما في وسعنا.. والنصر من عند الله إن شاء أعطى وإن شاء منع.. "، " البلاء جرى على من هو أفضل منا فكيف لا يجري علينا.. ".

انظر إلى طريقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تربية عدد من أصحابه المخلصين، الذين اشتكوا له الجوع.. وكيف وجههم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مركزاً على مفردات الصبر على البلاء، وأنه صفة الصالحين، ثم يذكر لهم تجربة الأنبياء والمرسلين في الزهد، ناقداً أولئك المترفين الذين يسمون أنفسهم مسلمين!! وفي أكثر من (١٢) صفحة يفصل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الموضوع بحيث لا يستطيع ابن مسعود بعد هذه الوصية أن يفكر– مجرد تفكير– في الشكوى من الأوضاع المعاشية التي تحيط به.

عن عبدالله بن مسعود قال:(دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن رزقنا منذ أربعة أشهر إلاّ الماء واللبن وورق الشجر فقلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة ؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكراً فإني قرأت كتاب الله الذي أنزل علي وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخل الجنة إلاّ الصابرون ".

يابن مسعود: قال الله تعالى:(إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب). (أولئك يجزون الغرفة بماصبروا) (اني جزيتهم اليوم بما صبروا وانهم هم الفائزون).

يابن مسعود: يقول الله تعالى: (وجزاهم بماصبروا جنة وحريرا). (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا).

ويقول:

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء)

(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات ربشر الصابرين)

قلنا: يا رسول الله فمن الصابرون؟

قال: " الذين صبروا على طاعة الله واجتنبوا معصيته، الذين كسبوا طيباً و انفقوا قصداً وقدموا فضلاً فافلحوا واصلحوا "

وهكذا يستمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في الإجابة العامة، والمعالجة الكلية للمشاكل الممكن ورودها على الإنسان المؤمن وضرورة صبره واستقامته وصموده أمام البلاء، ثم يوجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن مسعود لاستقراء حال المرسلين والقادة:

" يابن مسعود: ان الله اصطفى موسى بالكلام والمناجاة حتى كان يرى خضرة في بطنه من هزاله ".

" يابن مسعود: ان شئت نبأتك بأمر نوح (عليه السلام) نبي الله أنه عاش ألف سنة إلاّ خمسين عاما يدعو الله فكان إذا أصبح قال لا أمسي وإذا أمسي قال لا أصبح وكان لباسه الشعر وطعامه الشعير ".

" وإن شئت نبأتك بأمر سليمان (عليه السلام) مع ما كان خير من الملك كان يكل الشعير ويطعم الناس الحوارى (الدقيق الابيض).. وكان لباسه الشعر وكان إذا جنه الليل شد يده إلى عنقه فلا يزال قائماً يصلي حتى يصبح، وإن شئت نبأتك بأمر إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) كان لباسه الصوف وطعامه الشعير، وان شئت نبأتك بأمر عيسى بن مريم (عليه السلام) فهو العجب كان يقول: إدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلاي وسراجي بالليل القمر واصطلائي في الشتاء مشارق الشمس وفاكهتي وريحانتي بقول الأرض مما يكل

الوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني " [٥٩].

وهذا أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه عندما أمر عثمان بنفيه إلى الربذة. وخرج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في جمع من أصحابه لتوديعه، وجدنا أن الحديث المتبادل لم يكن في كيفية الخروج من هذه المحنة والاقتراحات المناسبة بهذا الشأن، إنما كان في الأطر العامة التي تلخصها فلسفة ابتلاء المؤمن، وثواب الله الذي ينتظره بعد هذا البلاء.

يروي العلامة المجلسي رضوان الله عليه أن أبا ذر لما أخرج ونهى عثمان عن الخروج لتوديعه خرج الإمام أمير المؤمنين والحسنان وابن عباس وعدد من الأصحاب لتوديعه، فكان مما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام):

(يا أبا ذر: إنك غضبت لله، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلا ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً، يا أبا ذر لا يؤنسنك إلاّ الحق ولا يوحشنك إلاّ الباطل) [٦٠].

وحين تحل بأبي هاشم الجعفري ضائقة شديدة يتوجه إلى الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: فصرت إلى أبي الحسن الهادي عليه السلام فأذن لي فلما جلست قال: يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟ قال أبو هاشم: فوجمت و لم أدر ما أقول؟!

فابتدأ (عليه السلام) قائلاً:

(رزقك الإيمان فحرم بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل، يا أبا هاشم إنما ابتدأتك بهذا لأنني ظننت أنك تريد أن تشكو لي من فعل بك هذا وقد أمرت لك بمئة دينار فخذها) [٦١].

فنرى هنا أن الإمام (عليه السلام) في البداية أراد أن يوجه الجعفري إلى النعم التي أنعم الله بها عليه، والتي ينساها الإنسان– عادة– وقت المشاكل.. إضافة إلى أنه وهبه شيئاً من المال مما كان في مقدوره.. ومع أن الإمام كان بإمكانه أن يهب أبا هاشم المال، ويحل ضائقته وتنتهي المسألة، إلاّ أنه عليه السلام أراد إصلاح خطأ في طريقة تعامل الرساليين مع المشاكل.

٣– البرامج العملية:

إضافة إلى ما سبق ذكره فإن بناء الأئمة لكوادرهم يعتمد عدداً من البرامج العملية التي تدخل كأحد الفقرات الهامة في صلب برنامج الإنسان المؤمن..

إن قيام الليل، يعتبر من أهم صفات الإنسان المؤمن، وتأكيد النصوص الإسلامية على هذا المعنى واضح، فإن الله سبحانه يخاطب رسوله الكريم آمراً إياه بقيام الليل:

---

59 / مكارم الأخلاق ٤٤٦.

60 / بحار الأنوار ٢٢/ ٤١٢

61 / بحار الأنوار ٥٠/ ١٢٩.

(يا أيها المزمل قم الليل إلاّ قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) [62].

وعموماً صلاة النوافل التي تأتي كإحدى صفات الحواريين إذ أن من صفاهم (صلاة إحدى وخمسين)..
ولما لهذه البرامج من أثر مهم في تزكية المرء وإخلاص نيته وإيمانه، وبالتالي الأثر المباشر في الصمود والاستقامة في العمل الرسالي، وجه إليها المعصومون (عليهم السلام)، ورأيناها جلية في سلوك أصحابهم، أولئك الذين كانوا (قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) .
ففي وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام): ".. عليك بصلاة الليل وكررها أربع مرات " . وعن الصادق (عليه السلام) فيما أوصى به بعض أصحابه: " لا تدع قيام الليل فان المغبون من حرم قيام الليل " .

وبعد هذا ليس غريباً ان نجد حواري الأئمة (عليهم السلام)، يتعبدون لله، ويبالغون في ذلك حتى ليظن قارئ أخبارهم أنه لم يكن لهم عمل آخر سوى هذه العبادات بينما الواقع خلاف ذلك، ولكنه الحرص على البرامج الروحية:

انظر إلى محمد بن أبي عمير الأزدي رضوان الله عليه الذي مر الحديث عنه وعن سجنه وصموده.. وانظر إلى ما يقوله عنه أحد عارفيه وهو الفضل بن شاذان يقول:

" دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه ويقول له: أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم، وما آمن أن تذهب عيناك لطول سجودك فلما أكثر عليه، قال: أكثرت عليّ ويحك! لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير، ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع رأسه إلاّ عند زوال الشمس؟! " [63].

أي أنه كان مشهوراً بهذه السجدة، وبالتالي فسائر الناس يقتدون به ويتأسون بطريقته.

و لم يكن ابن أبي عمير منفرداً بين أصحاب الأئمة (عليه السلام) بهذه الصفات إذ أن شخصياتهم عموماً كانت تسير في هذا الاتجاه من الانقطاع إلى الله، جرياً على سيرة أئمتهم وقادتهم.
ينقل أحد الرواة عن الحسن بن علي بن فضال، فيقول كنت أقرأ على مقرء في مسجد الزيتونة، فرأيت نفراً يتناجون فقال أحدهم: ان بالجبل رجلاً يقال له ابن فضال أعبد من رأيت أو سمعت به، وانه يخرج إلى الصحراء فيسجد السجدة فيجيء الطير فيقع عليه فما يظن إلاّ أنه ثوب أو خرقة.
يقول الراوي: فظننت أن هذا رجل كان في الزمان الأول، فبينا أنا بعد ذلك بسنين قاعد مع أبي إذا جاء شيخ حلو الوجه حسن الشمائل عليه قميص نرسي ورداء نرسي، وفي رجله نعل مخصر فسلم على أبي فقام إليه أبي ورحب به وبجله.

فلما أن مضى يريد بن أبي عمير، قلت لشيخي هذا رجل حسن الشمائل فمن هذا الشيخ؟! فقال: هذا

62 / المزمل/١–٣.

63 / رجال الكشي ٢/ ٨٠١

الحسن بن علي بن فضال. قلت– له: هذا ذاك العابد الفاضل ؟ قال: هو ذاك ! قلت: أليس ذاك بالجبل ؟ قال: هو ذاك كان يكون بالجبل. (أي أحياناً يكون بالجبل) [64].

ثورة ضد الرهبانية:

بالرغم من تأكيد الأئمة (عليهم السلام) وتربيتهم لأصحابهم على التقرب من الله والتوسل إليه، وحرصهم على أن تكون التربية الروحية أولى اهتمامات أصحابهم، إلاّ أنهم (عليه السلام) شنوا حرباً شعواء ضد التصوف والرهبانية التي تخرج المرء عن دائرة المسؤولية الاجتماعية والجهاد في سبيل الله.

قلنا في فيما سبق أن من السهل على المرء أن يلخص نفسه في صومعة،أو مسبحة !! ولكن هذه ليست الغاية في نظر الأئمة (عليهم السلام)، انها نصف الدواء الذي إذا لم يكمل بالنصف الآخر أدى إلى الموت والفناء.. لا يمكن أن ينفع هذا النصف (رهبان في الليل) إلاّ (بفرسان في النهار).

ولئن وجد بعض أدعياء العبادة، الممارسات الروحية وسيلة للهرب من المسؤوليات، وطريقاً للتخلص من الواجبات، فلقد حارب الأئمة (عليهم السلام) هذا الاتجاه محاربة عنيفة، وشنعوا على أصحابه.

فلقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لعثمان بن مظعون حينما فقد ولده، فاتخذ بيته مسجداً يتعبد فيه، تاركاً مسوؤلياته قال له:

" يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله " (١).

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) حين سئل عن الصوفية أنه قال : " انهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم ".

وقال الإمام الهادي (عليه السلام) لأبي هاشم الجعفري وجمع من أصحابه حين دخل المسجد وفيه جماعة من الصوفية مشغولين بأذكارهم (!!) قال :

" لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فانهم حلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين، يتزهدون لراحة الأجسام ويتهجدون لتصيد الأنعام.. فمن ذهب إلى زيارة أحد منهم حياً أو ميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبدة الأوثان..

عندئذ سأله أحد أصحابه: وإن كان معترفا بحقوقكم؟! فنظر إليه الإمام شبه المغضب وقال: دع عنك ذا من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا أما تدري أنهم أخس طرائق الصوفية والصوفية كلهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا .. [65].

نعم.. إن الطريقة في العبادة والتقرب إلى الله مغايرة ومختلفة تمام الاختلاف، فبينما تنحو الصوفية وجماعات المترهبنين، منحى يبعد المرء عن المجتمع. وعن مسؤولياته فيه، ويبعده عن الفهم الشمولي للإسلام كعبادة وعقيدة وشريعة، تتجه طريقة الأئمة ومنهجهم إلى فهم أشمل للإسلام وإلى أن تكون المسائل والممارسات الروحية وسيلة للتقرب إلى الله وإلى عون المؤمن على مواجهة الصراعات والمشكلات، التي تعترض طريقة عمله ورسالته في الحياة.

---

64 / أمالي الصدوق ص ٤٠

65 / سفينة البحار ٢/ ٥٨

ولهذا وجدنا الأئمة قد طردوا أولئك الرجال من أصحابهم من الذين لم يفهموا المعادلة، وتاهوا في صحراء الرهبنة بعد أن تركوا واحة الأئمة. وصدر اللعن بحقهم والبراءة منهم، تلك البراءة التي كانت إضافة إلى كونها براءة من الشخص. كانت براءة من المنهج الذي اتخذوه.

فحين يظهر عدد من الجهال الذين تطرفوا في المسائل الروحية، وتحولوا إلى التصوف كعلي بن حسكة، والقاسم اليقطيني، يكتب أحد الأصحاب للإمام العسكري (عليه السلام) بذلك فيكتب إليه في رسالة: لعن الله القاسم اليقطيني، ولعن الله علي بن حسكة القمي ان شيطاناً تراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً .

إن جوهر العبادات، والممارسات الروحية، لا ينفصل عن هدف العمل الرسالي والجهاد، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله)، فإذا كان المترهب فعلاً زاهداً في الدنيا، محباً لقاء الله سبحانه فان الجهاد يحقق له هذين الهدفين!!

البناء السياسي للقادة

بمقدار ما تكون الحركة واعية سياسياً، تكون قدرتها على اكتساب النصر أكثر، والعكس صحيح.

ولقد سرق من جمهور المسلمين نجاحات كثيرة، وانتصارات رائعة،بسبب ضعف الوعي السياسي.. ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا ان هذه التجربة تكاد تتكرر اليوم.

ان العاملين لا يعيشون في صحراء تخلو من غيرهم، انهم يعيشون في مجتمع، تتطاحن فيه مختلف التيارات، وتتسابق عليه جميع الاتجاهات، وكل يرجو أن يكون صاحب الجائزة.. ويهون أمر هذه التيارات لو كانت محلية وذات قوى وتجارب محدودة، المؤسف أن المسألة أكبر، فهذه التيارات ترتبط بقوى عالمية، ترفدها بتجاربها وقواها، وهذا صادق في الجهتين النظام الحاكم الذي يرتبط لابقاء سلطانه بقوى خارجية، وفي الحركات غير الإسلامية التي تعارض النظام وتسعى لإسقاطه.في هذا الزحام يتواجد العاملون في سبيل الله.

بعض المتقدسين يريحون أنفسهم من العناء، فيتركون هذه الأمور زاعمين أن السياسة والدخول فيها يعني الدخول في نفق مظلم من الكذب والمكر والخديعة، وينصرفون إلى شؤونهم الخاصة، وأحياناً إلى بعض الأعمال الاجتماعية الخيرية.

يتركون السياسة، ويهربون من الوعي السياسي، ولكنها تتشبث بهم.. لا تتركهم، تتدخل في أكلهم وطعامهم، خبزهم الذي يأكلون يصبح مادة للمساومة السياسية وتتدخل في العائلة، فتجعل أبناءها طعمة لحريق حرب ظالمة، أو حلفاء لزنزانة رطبة، وتتدخل في قلوب الناس ومشاعرهم.. فإذا بك ترغم على تأييد رجل لا ترغب فيه وتجبر على البراءة من قائد ترتبط به !!

الرساليون- وحدهم- يختصرون الطريق ويعلمون أن لا بد من الوعي بالأحداث الجارية. من أجل تغييرها، يتنبؤون بها قبل أن تحدث ليستعدوا لها فــ " العالم بزمانه لا تهجم عليه الغوائل " كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام).

والحركات الناجحة هي تلك التي تتعامل مع الظروف القائمة بوعي كامل فتحدد مواقع الضعف والقوة،

القوى الموجودة وطاقاتها، الأحداث الجارية وأسبابها وما تؤدي إليه من نتائج.. ووفقاً لدراسة علمية لهذه الأمور تضع خططها التي يحالفها- بعد ذلك- النجاح.

لا غرابة بعد ذلك أن نجد المعصومين (عليهم السلام) رغم كونهم يحملون رسالة واحدة تختلف أدوارهم، وتتعدد أعمالهم وخططهم التكتيكية، فإذا بالسجاد (عليه السلام) يمارس دوراً يختلف عن دور الرضا (عليه السلام)، وإذا بالباقر (عليه السلام) يقوم بأعمال لا يقوم بها الإمام الهادي (عليه السلام) رغم أن اللاحق امتداد للسابق..

ان ذلك يعتمد على تشخيص المرحلة، ووضع النظام الحاكم، والدور المطلوب بناء على ذلك.وسوف نتعرض إلى بعض الصور من توجيهات الأئمة السياسية لأصحابهم وحواريهم.

١- توضيح الموقف تجاه الأحداث :

المجتمع ليس مستنقعاً راكداً كما يتصور البعض. إنه كالبحر ظاهره يعجب الرائي بهدوئه ونسائمه وفي داخله تحتدم المعارك التي قد يراها البعض بوضوح ولا يراها البعض الآخر إطلاقاً.

ولا تكفي ملاحظة الأحداث و إدراك وجودها، بل لا بد من اتخاذ موقف تجاهها وتوضيحه لكوادر العمل، وللاتباع بعد ذلك.. إذ أن بعض الأحداث يكون لها زخم قوي وظاهر جذاب، فتستقطب العاملين شعوراً أو موقفاً.

وبالنسبة للمعصومين (عليهم السلام) فقد كانوا يبينون لأصحابهم أبعاد الحركات التي كانت تحدث في المجتمع، والموقف الذي ينبغي أن يتخذ تجاهها.

الإمام علي والخلافة:

لا تزال مسألة الخلافة وما حدث بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) تثير أسئلة كثيرة، في أذهان الناس، والكل يطلب موقفاً مما حدث.

هل كانت صحيحة ؟! وهل اتفق المسلمون على ذلك؟! أم أن المسألة.. تجمع خطط للفوز بالخلافة ونجح ؟! أم ماذا ؟!

هذا الحدث السياسي الهام الذي يثير اليوم- أكثر مما أثار في السابق- أسئلة، يتحدث عن الإمام أمير المؤمنين .بموضوعية وتفصيل في عدد من أصحابه في المسجد مما عرف فيما بعد بخطبة الشقشقية. وفي اعتقادنا أن الإمام قد بين هذا الموقف لخلص أصحابه وكوادره بعد وقوعه مباشرة لذلك امتنع عن البيعة، و أنكروا على الخليفة الأول ما حدث.. وهكذا كان موقف الإمام علي (عليه السلام) من جميع الأحداث التي وقعت كمقتل عثمان وحروب الجمل وصفين والنهروان.

الإمام السجاد وعمر بن عبد العزيز:

بعد سنين طويلة من البطش والإرهاب الأموي وملاحقة المؤمنين، جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز، وتنفس المظلومون الصعداء، إذ ما لبث عمر بن عبد العزيز أن قام بمصادرة مظاهر الظلم والجور، فمنع شتم أمير المؤمنين على المنابر، و أعاد الأموال إلى أصحابها، وأحسن إلى أهل البيت.. وفرح الجميع بمقدمه، فإذا بهم في مترل عدله بعد سنين من سفر الجور.. وأثنى عليه الكل.. فماذا يطلبون أكثر مما فعل ؟!

غير أن الإمام زين العابدين، الذي ينبغي أن يبين لأصحابه رأيه في هذا المجال، يأخذهم بعيداً كاشفاً عن أعينهم

حجب الواقع الموجود، عائداً بهم إلى أصل الموضوع، كيفية الخلافة والطريقة التي وصل بواسطتها عمر بن عبد العزيز إلى هذا المنصب.. وهل من حقه ذلك أم لا ؟! فيقول: أنه رجل لا يرضاه أهل السماء كما يرضاه أهل الأرض !!

الإمام الصادق والثورات المعاصرة:

استشهد زيد بن علي رضوان الله عليه ثائراً ضد الحكم الأموي الجائر، وتتالت الثورات في أبنائه من بعده، إلاّ أنها اتخذت اتجاهاً غير الذي بدأت به، فقد أصبح السلاح مقياساً للإمامة، والثورة المسلحة عنواناً للإمام، مما أوقع فيها خسائر كثيرة وأربك العاملين، خاصة وأن بعض أصحاب الإمام الصادق كان يتأثر بهم، وعموماً فان للسلاح بريقاً، وللثورة المسلحة جذباً خاصاً، ولما كان الإمام الصادق يعلم بالظرف غير المناسب، فقد رفض أن يستدرج إلى هكذا أعمال ليست في خطته.. ولهذا نجد أن الإمام حين يأتي إليه أحد أصحابه قائلاً: ان بني عمك يقولون أنك لا ترى الجهاد، وانك رجل علم.. فماذا تقول؟!

يجيبه قائلاً:

" أنا لا أرى الجهاد ؟! والله إني أراه ولكني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم "

وحين يخرج محمد و إبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن، يبين الإمام لأصحابه- رغم تأييده العام للثورة ضد السلطة- أن هذه الثورة لن تكون موفقة.

فعن أبي غيلان قال:

" أتيت الفضيل بن يسار فأخبرته أن محمداً (النفس الزكية) وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن قد خرجا.. فقال لي : ليس أمرهما بشيء !! فصنعت ذلك مراراً.. وكان يرد علي مثل هذا الرد. فقلت له ذات يوم: رحمك الله قد أتيتك غير مرة أخبرك فتقول ليس أمرهما بشيء، أفبرأيك تقول هذا ؟!

فقال لي: لا والله ولكني سمعت أبا عبدالله يقول: ان خرجا قتلا "[٦٦]

وهذا يبين بصيرة الإمام (عليه السلام) ورؤيته الواضحة للأحداث، وقدرته على التنبؤ بالأحداث.. مما يعتبر ضرورياً في قيادة الحركة العاملة التي ترتب كثيراً من الخطط بناء على الأحداث المستجدة..

الإمام الرضا وزيد النار:

تشتد وطأة العباسيين على الجميع، وكما الضغط يولد الانفجار، فان العنف يصنع عنفاً أكثر، لذلك حدثت الثورات في كل مكان تعبيراً عن السخط البعض منها ما كان سليم المنطلق والغاية والبعض الآخر لم يكن.

وممن ثار: زيد بن موسى بن جعفر، فأحرق دور العباسيين في الكوفة، وبالغ في الانتقام منهم.. حتى قبض عليه وجيء به إلى المأمون العباسي أثناء ولاية الإمام الرضا (عليه السلام) للعهد.. وقد أراد المأمون أن يستغل هذه الفرصة لضرب التوجه الثوري بشكل كامل.. حيث أشار إلى أن دأب العلويين للثورة فهذا زيد، وقبله زيد بن علي، فأجابه الإمام (عليه السلام) لا تقس هذا بعمي زيد، فلو ظفر لوفى وقد استشار الصادق (عليه السلام) في أمر خروجه فقال له: ان شئت أن تكون المصلوب بالكناسة فافعل.. ثم أقبل على زيد النار وقال له:

---

66 / رجال الكشي ٢/٤٧٣.

" أغرك قول سفلة أهل الكوفة أن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار.. ان كنت ترى انك تعصي الله وتدخل الجنة وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة فأنت أذن اكرم على الله من موسى بن جعفر "[٦٧]ان الإمام الرضا (عليه السلام) هنا يوضح الموقف الذي ينبغي اتخاذه، خصوصاً وأن هذا الرجل من أهل البيت، ويمكن أن ينساق الناس في دعوته بهذا الاعتبار.

الإمام العسكري وصاحب الزنج:

جمع حوله العبيد، والمستضعفين، وثار بهم على كل شيء، على السلطة وعلى النظام الاجتماعي، وحرك فيهم حاسة الانتقام، فسيطروا على البصرة، وبدأ يمتد نفوذه خارجها، ثم أدعى انه من أهل البيت، وذلك ليكسب أكبر عدد من الاتباع بهذا الادعاء.. وهنا لا بد أن يتحرك الإمام ليوضح موقفه تجاهه، وهو هنا لا يريد محاربته وإسقاطه لأن في ذلك عوناً للدولة العباسية، ومن جهة أخرى لا يستطيع السكوت عنه. فكتب إلى أحد أصحابه وهو محمد بن صالح الحنفي:

" صاحب الزنج ليس منا أهل البيت " [٦٨]

٢- تأكيد القيادة الشرعية :

للواقع القائم ثقل كبير، لا يحتمله البعض فيسلمون له. وأكبر واقع، وأثقله وجود القيادة الفاسدة التي تتسلط على البلاد والعباد دونما حق، وإنكار هذا الواقع ورفضه أمر صعب، إذ أنه يعني رفض أهم قوة في المجتمع. والرسالون هم أولئك الذين يزداد رفضهم و إنكارهم كلما رأوا قوة النظام وغطرسته، ولا يستسلمون له من باب (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد).

وفي المقابل يؤكدون على القيادة الشرعية، ويزيدون من دعوتهما إليها ، ويرون ان هذا عمل استراتيجي، وليس تكتيكاً مرحلياً، إذ أنه يدخل في صلب العقيدة التي يؤمنون بها.

وفي هذا المجال وجدنا الأئمة (عليهم السلام) أيضاً يمارسون هذا الدور، بدءاً من التصريح بفساد الحكومات الجائرة، و العوائل التي نزت على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، محذرين المسلمين من السير وراء هذه الحكومات لأنها توردهم موارد الهلكة:

عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

(إن شر الناس عند الله إمام جائر ضَل وضُل به فأمات سنة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها ٠٠)[٦٩]

وعن الباقر (عليه السلام): في قوله تعالى: (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) همم والله الظلمة واشياعهم.

---

67 / عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٣٤

68 / بحار ا لأنوار ٥٠/ ٢٩٣.

69 / ميزان الحكمة ١/ ١٨٠.

وفي المقابل النص على إمامة الأئمة (عليهم السلام) واحداً بعد الآخر، وأخبار الأصحاب الخلص بذلك، حتى في أحرج الظروف، كما فعل الإمام الصادق (عليه السلام) بالنسبة للإمام الكاظم (عليه السلام) رغم ان الوضع السياسي كان متأزماً وكان المنصور العباسي قد عقد العزم على تصفية من يخلف الإمام الصادق (عليه السلام).. بل كانوا يمهدون لهذا الأمر بوسائل عديدة، وبمدد طويلة قبل شهادتهم لكيلا يعّم الأمر على الأصحاب والخلص، ولذلك لم تقبل الجماهير ادعاء منصب الإمامة طول هذه المدة التي استمرت لأكثر من قرنين من الزمان من قبل الكاذبين، بل كشفوا في الأيام الأولى وسقطوا.

وللتأكيد على موضوع القيادة الشرعية الصحيحة أثر كبير في صيانة الجمهور، وحماية مكاسبه وإنجازاته، ولهذا- كما نعتقد- ربط المعصومون (عليهم السلام) سلامة مسيرة المرء بولائه وولايته، التي اعتبرت مقياساً وميزاناً لصحة أعماله سواء العبادية منها أو السياسية، فلا يكفي أن يعمل المرء الصالحات وهو يتولى من لا تجوز ولايته، بل لا تقبل منه هذه الأعمال.

ولنكن معاً- عزيزي القارئ- في استعراض بعض هذه الأحاديث ثم ننتقل إلى كيفية تأكيد الأئمة (عليهم السلام) وتركيزهم على القيادة الشرعية:

عن زرارة عن الباقر (عليه السلام):

" بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟! فقال (عليه السلام): الولاية أفضل لانها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن.. "

ويستمر الإمام عليه السلام في حديثه مبيناً أهمية الولاية للقيادة الشرعية فيقول:

".. أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان.. "[٧٠]

ذلك لأن هذه الأعمال قد تصب في قناة لا يرضاها الله،. ألم يكن الخوارج الذي استحلوا دم أمير المؤمنين (عليه السلام) مصلين وصائمين ؟! بلى.. لقد كانت في جباههم مثل ثفنات البعير من كثرة السجود، وبعضهم كان حافظا للقرآن.. ولكن ما نفع هذا إذا كانت المحصلة النهائية تؤدي إلى اغتيال أمير المؤمنين قربة لله (!!).

ألم يصل قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء صلاة الظهر جماعة؟! كانوا يصلون.. ولكن ولايتهم لم تكن لولي الله، ولذلك لا تنفعهم أعمالهم شيئاً.

وتؤثر الولاية للإمام العادل الشرعي في ثواب الله وعقابه للمجتمعات، فإذا كان المجتمع يدين بولاية الجائر وطاعته فانه يعذب حتى لو كان في نفسه براً صالحاً كما يقول الحديث المروي عن الباقر (عليه السلام) قال: قال الله تبارك وتعالى- في حديث قدسي-:

" لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وان كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وان كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة "

ولهذه الأمور وجدنا المعصومين (عليهم السلام) يبينون لأصحابهم ويركزون عليهم في مسألة القيادة، وأن

---

70 / سفينة البحار ٢/ ٦٩١.

هذه السلطات القائمة مهما صنعت فانها غير شرعية، وغير صحيحة، وان على المؤمن أن يبحث عن القيادة السليمة فيلقى إليها أزمة حياته، ويتقرب بطاعتها إلى الله سبحانه.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

" لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد(صلى الله عليه وآله): (أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟!

فقال (صلى الله عليه وآله): هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف- في التوراة- بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميّي وكنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان . . "[71]

هذا التركيز اتخذ أشكالاً عديدة منها:

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد : أصبحت هذه جزءاً من المفردات التي يتعامل معها الإنسان المؤمن يومياً عشرات المرات، حيث تستحب في الصلاة ، وفى غيرها في كل حين، ولا يخفى على أحد ما تتضمنه من معاني الولاء والانتماء إلى خط محمد وآله صلوات الله عليهم.. و إلاّ فلماذا اختصاص هؤلاء بالصلاة ؟!

عندما نزلت الآية القرآنية (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا نسليما)، تساءل بعض الصحابة عن كيفية الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) فقال (صلى الله عليه وآله):

" قولوا: اللهم صل على عمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد "

وعن الباقر والصادق (عليهما السلام):

" أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وعلى أهل بيته " [72]

بل اننا نجد أدعية مخصوصة في كيفية الصلاة على محمد وعلى آله، عليهم جميعاً صلوات الله.

يتخذ أيضاً طابع التأكيد على الدور الذي تلعبه هذه الصفوة في وجود الأمة!

في وصية الإمام الصادق لأصحابه، تلك الوصية التي أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، وهي تشبه ما نسميه اليوم بتعميم لأعضاء الجماعة ولذلك كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، يؤكد الإمام في مرات عديدة على ضرورة التمسك بآثار المعصومين عليهم السلام، ونجد أنه يركز- إضافة إلى ذلك- على العلاقة النسبية التي تربط الأئمة (عليهم السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله) كما سنرى:" . . أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته وآثار الأئمة

---

71 / نور الثقلين ١/ ٤٩٩

72 / ميزان الحكمة ٥/ ٤٣١.

الهداة من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده وسنتهم فإن من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن رغب عنه ضل لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم وقد قال أبونا رسول الله: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وان قل أرضى لله وأنفع عنده من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء.. " [٧٣]

وهكذا يستمر الإمام مركزاً في هذه الوصية على كلمة (أبونا رسول الله). وللتفصيل في هذه الوصايا، وملاحظة مدى تأكيد المعصومون على تبيان القيادة الشرعية لكوادرهم ومن خلالهم للمجتمع يمكن مراجعة المناظرات التي كانت تجري- في الغالب- بتوجيه من قبل الأئمة لبعض حوارييهم، وذلك في الكتب المعقودة لهذا الشأن كالاحتجاج للطبرسي رضوان الله عليه وغيره.

٣- العمل السياسي:

في جلسة واحدة، وأثناء ارتشافه للشاي، يستطيع البعض ان يقدم لك برنامجا (!) سياسياً متكاملاً من ناحية النظرية! يسقط لك ليس نظاماً واحداً، بل أنظمة بالجملة!! ويوحد ويؤلف و. و،. الخ.

هذا من الناحية النظرية ولكن.. (فإذا جد الجد قلتم حيدي حياد) إ!

ان الصعوبة في تحويل النظرية. إلى برنامج عمل، يتحمله المنظر، أو جزءاً منه، ولأنه صعب لذلك طولب الرواد والقادة بأن يطبقوا البرنامج على أنفسهم في البداية فيضحون في موقع التضحية ويعملون في موقع العمل.. وهكذا.

وميزة قادتنا المعصومين (عليهم السلام) أنهم ما أمروا بشيء إلاّ وسبقوا الغير إليه، لقد كانوا يفعلون فيقولون. وكانوا يربون عناصرهم على هذا الأساس.

والعمل السياسي عمل مكلف، يأخذ وقت العامل، وراحته وأعصابه وأحياناً كثيرة حياته، فهو يعني مناطحة الرأس الأول، وتحديه في أغلى ما لديه، في سلطته، ولكن بدون هذا العمل المكلف لا تنجح الثورات، ولا يحدث التغيير، إذ أن لكل شيء ثمناً، والأهداف الكبيرة غالية الأثمان. انه يعني أيضا إدارة الفئات العاملة، ولا شيء أصعب من الإنسان المختار. وخصوصاً في الظروف القاسية التي يبتلى بها العاملون.

انك معي- عزيزي القارئ- في أن إدارة مشروع صغير لا يتجاوز أفراده العشرة أمر صعب، وعلى المدير أن يفتح في صدره صندوقاً للشكاوى.. فكيف بمشروع حركة كبيرة تضم الآلاف من العناصر ذوي الكفاءات المتغايرة، وأحياناً الانتماءات المختلفة نسبة ونوعاً، هذا إذا أضيف إليه الضغوط التي يفرضها الجو المحيط ؟!

وسوف نتناول هذا الجانب في فصل آخر بينما نتعرض إلى أحد أنواع العمل السياسي وهو:

الدخول في الحكومة القائمة:

أحد الأعمال التي قام بها المعصومون عبر طلائعهم الرسالية.

هل يجوز الاشتراك في الحكومة القائمة أم لا يجوز؟! رأيان في الموضوع:

الرأي الأول: يقضي بأنه ليس من الصحيح الاشتراك في الحكومات الفاسدة لأن ذلك يؤدي إلى خدمتها، و إعطائها الشرعية في وقت تفتقدها،وتبقى في أمس الحاجة إليها، فالجمهور حين ينظر إلى المؤمنين، والى طلائعهم

---

[73] / روضة الكافي ٢٠٤.

بالذات، وقد اشتركوا في الحكومة القائمة وساهموا فيها، لن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الأسباب الحقيقية وراء اشتراك هؤلاء، لن يعرفوا أهدافهم، انهم ينظرون إلى ظاهر الأمور، فأما أن ينفضوا عن المؤمنين ولا يعتقدوا بهم، وإما انهم يعتقدون بصوابية الحكم وصحته، أو على الأقل عدم الحاجة إلى مقارعته ومناهضته، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فان طلائع الرسالة الذين يدخلون وظائف الدولة سوف يتورطون في مشاكل الدولة، فلكي يبقوا لا بد من المساهمة في الوظائف المحولة إليهم من قبلها، وهذا يعني المشاركة المباشرة أو غير المباشرة في أعمال السلطة المضادة للإسلام وللمسلمين، هذا إضافة إلى أن الحركة الإسلامية عبر مشاركة كوادرها في داخل الحكومة، ستفقد خير الأوقات والجهود من خير الأفراد لصالح السلطة، بينما تحتاج بشكل أكيد لهذه الطاقات والأوقات. يعزز أصحاب هذا الرأي أقوالهم بعدد كبير من الآيات والروايات التي وردت عن المعصومين (عليهم السلام) في حرمة الاشتراك في حكومة الجائرين، ولو على سبيل (عقدة عقدة)!!

عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال:

" الظلمة وأعوانهم في النار " [٧٤]

عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال:

" إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم، ومن لاق لهم دواة أو ربط كيساً، أو مد لهم مدة قلم فاحشروهم معهم "

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

" يا نوف: ان سرك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين معيناً "

وعن الصادق (عليه السلام):

" ان أعوان الظلمة يوم القيامة في سرداق من نار حتى يحكم الله بين العباد " [٧٥]

الرأي الثاني: يقول أصحابه بجواز الاشتراك في الحكومات القائمة، وذلك لأنه من الممكن الاستفادة من إمكانات الدولة، والتأثير في مسار كثير من الأمور فيها خصوصاً تلك التي تتعلق بالمؤمنين، كإنقاذ البعض من السجن أو القتل، والتشفع فيهم، او الدفاع عنهم.. وهكذا ما نجده في تجارب الماضين كمؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه وهو في بلاط الحكومة، وكعلي بن يقطين الذي كان يحسن إلى المؤمنين المستضعفين وهو في بلاط هارون مما كان يشير إليه الإمام الكاظم (عليه السلام) بقوله: يا علي كفارة ذنوبكم الإحسان إلى أخواتكم، وكان قد ضمن للإمام أن لا يرد له ولياً.

كما أن كوادر الرسالة يستفيدون خبرة جيدة في مجال إدارة الدولة استعداداً للمستقبل، وإذا لم يستلم المؤمنون المناصب المهمة ويستفيدوا منها لخدمة الرسالة فان غيرهم سوف يأتي ويستلمها فتكون ضد الرسالة والرساليين.

وبستشهدون تأييداً لرأييهم بأن عدداً غير قليل من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) وحوارييهم قد شاركوا في الحكومات المختلفة كعلي بن يقطين الذي كان وزير هارون، وكذلك داود بن زربي وزير هارون

---

74 / ميزان الحكمة ٥/ ٦١٢

75 / للتفصيل يراجع وسائل الشيعة ج ١٢ باب ٤٤.

أيضاً، وهكذا إسحاق النيسابوري الذي كان والي العباسيين على الأهواز وهو في نفس الوقت من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام)، والحسين النيسابوري والي العباسيين على سجستان وهو من صحابة الإمام الجواد (عليه السلام).. وهكذا بل نجد فوق كل ذلك أن الإمام الرضا (عليه السلام) يدخل في الحكومة العباسية كولي للعهد.

وأصحاب هذا الرأي أيضا يستشهدون بعدد من الروايات المبيحة، شرط الإحسان إلى المؤمنين والدفع عنهم.

فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: " ان لله تبارك وتعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه " أيضاً روي نص هذا الحديث عن الرضا (عليه السلام) .

وعن الرضا (عليه السلام) في كلامه لمحمد بن إسماعيل بن بزيع:

".. ان لله تعالى بابواب الظلمة من نور الله به البرهان ومكن له في البلاد ليدفع بهم عن أوليائه ويصلح الله به أمور المسلمين إليهم ملجأ المؤمنين من الضرر واليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة أولئك أمناء الله في أرضه أولئك نور الله في رعيته يوم القيامة ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهر الكواكب الزهرية لأهل الأرض خلقوا والله للجنة وخلقت الجنة لهم " [٧٦]

ونحن هنا لا نريد أن ندخل في هذا البحث ونناقش أدلته ورأى العلماء في الموضوع [٧٧] فهذا لم يكن هدف الموضوع، ولا يتسع له البحث إنما نريد أن نستعرض الجانب الثاني وشروطه، إذ من الثابت ان الأئمة (عليهم السلام) وجهوا بعض أصحابهم للاشتراك في الحكومات القائمة، فما هو مقياس ذلك؟ وما هي الظروف التي أحاطت بهذا الأمر؟!

شروط الدخول في الحكومات:

يبدو أن التجربة التي تكررت في دخول عدد من الكوادر والرساليين من أصحاب المعصومين (عليهم السلام) في الحكومات الجائرة كانت محاطة بعدد من الشروط، قد لا يمكن البناء عليها في موارد أخرى، وقد لا تأخذ طابع العموم، إلاّ أننا نلاحظها في هذه التجارب:

(أ) خطة القيادة:

لا يمكن أن تترك المسألة لرأي الشخص وهواه، فمتى أحب هذا الكادر بأن يشترك في الحكومة فعل.. كلا ان المسألة ترتبط بجوانب كثيرة، وتتفاعل مع مجمل تحرك المؤمنين فتؤثر عليه سلبا أو إيجاباً.. وهذه المسألة بالتالي ترجع إلى خطة متكاملة، يعتبر هذا الاشتراك أحد حلقاتها.

ولذلك وجدنا أصحاب الأئمة ممن كان لديهم رغبة في الدخول في الحكم، ولم يكن ذلك وارداً في خطة الأئمة كانوا يرفضون طلبهم- كما سيتبين في الصفحات القادمة-. وفي المقابل كانوا يأمرون البعض الآخر بالدخول في الحكم ويخططون لهم سبل البقاء.

عن ابن سنان قال: حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك، فأنفذ علي بن يقطين تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام)

---

[76] / رجال المامقاني ١/ ٧٩.

[77] / ناقش هذا الموضوع بتفصيل الشيخ الأنصاري قدس سره في كتابه (المكاسب).

وأنفذ في جملتها تلك الدراعة وأضاف إليها مالاً كان أعده له على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله، فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن قبل المال والثياب ورد الدراعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه ان احتفظ بها ولا تخرجها عن يديك فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه فارتاب علي بن يقطين بردها إليه و لم يدر ما سبب ذلك فاحتفظ بالدراعة.

فلما كان بعد أيام تغير علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن عليه السلام فسعى به إلى الرشيد فقال انه يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة وقد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في يوم كذا.

فاستشاط الرشيد غضباً وقال لأكشفن الحال فان كان الأمر كذلك أزهقت نفسه وأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين فلما مثل بين يديه قال له ماذا فعلت بالدراعة التي كسوتك بها؟ قال: هي عندي في سفط مختوم وقد احتفظت بها. فقال: أحضرها الساعة.. فأمر أحد خدمه فجاء بها. فلما نظر الرشيد إليها قال لعلي بن يقطين: اردها إلى مكانها فلن اصدق عليك بعدها ساعياً " [78]

وهكذا الأمر بالنسبة لداود بن زربي الذي أمره الإمام الكاظم بأن يتوضأ على غير الطريقة الصحيحة لمدة لكي لا يكتشف هارون انتماءه.

بل اننا نجد أنهم لا يسمحون لهؤلاء الأفراد بالاستقالة من أعمالهم، ويوجبون عليهم البقاء ما دام ذلك يخدم الرسالة.. فقد كتب بن يقطين إلى أبي الحسن الكاظم عليه السلام:

" ان قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان، فان أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه..!

فرجع الجواب إليه: لا آذان لك بالخروج من عملهم واتق الله " [79]

(ب)– صلاحية الشخص:

يتطلب الاشتراك في السلطة من قبل الرساليين، نوعاً خاصاً من الصفات قد لا يتوفر في الكثير، فهو يحتاج إلى ذكاء حاد وتنبه قوي، بمقدار ما يحتاج إلى لباقة في التصرف بحيث لا ينكشف ارتباطه الرسالي، خصوصاً وأن الفرد في المناصب العليا معرض للمراقبة والمتابعة الدقيقة.. وفي نفس الوقت يحتاج إلى إيمان راسخ بحيث لا تغريه حلاوة السلطة بترك مرارة الجهاد.. ان هذا الشخص كمن يمشي في حقل الألغام فهو مهدد في كل لحظة بالانكشاف، مع أقل خطأ، أو غفلة.

وكثير من الأفراد رغم إيمانهم، وانتمائهم القوي لا يصلحون لهكذا مسؤولية، لذلك ينبغي التدقيق في انتخاب الأشخاص، و إلاّ فالكارثة !!

ان أسهل ما يحدث في هذه الحالة أن الشخص يستعذب حياة المقاعد الوثيرة ويرتاح إلى الأضواء والمقابلات الصحفية، فيترك كل شيء، كما حصل الكثير من الثوار الطبقيين، ومناضلي الطبقة الكادحة (!!)،

---

78 / بحار الأنوار ٤٨/ ١٣٨.

79 / بحار الأنوار ٤٨/١٥٨.

حيث استبدلوا بالانتماء إلى السلطة انتماءهم السابق، واحرقوا جسور الرجعة !

ان بعض الأفراد يطلبون هكذا عمل ولكن طلبهم له، وحرصهم عليه يكشف عن ضعف في نفوسهم تجاهه ولذا ينبغي التوقف.

- " أنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه "

كما يقول الرسول (صلى الله عليه وآله):

- " لن نستعمل على عملنا من أراده " [٨٠]

وربما يقال ان هذه الأحاديث واردة في أعمال المسلمين، والحكومة العادلة، إلاّ ان حكمة المنع وهي حرص الشخص على العمل وما يتبعه من تعلق وارتباط به، مما يخالف معاني الزهد وأحياناً التقوى.. هذه الحكمة واردة في العملين.

ولهذا نجد الإمام الباقر (عليه السلام) لا يأذن لعبد الغفار بن القاسم في الدخول في أعمالهم رغم إلحاح الأخير. يقول: عبد الغفار بن القاسم قلت للباقر (عليه السلام): يا سيدي ما تقول في الدخول على السلطان ؟ قال: لا أرى ذلك، قلت: اني ربما سافرت إلى الشام فأدخل على إبراهيم بن الوليد قال: يا عبد الغفار ان دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء محبة الدنيا ونسيان الموت وقلة الرضا بما قسم الله. قلت: يا ابن رسول فاني ذو عيلة واتجر إلى ذلك المكان لجر المنفعة فما ترى في ذلك؟ قال: يا عبد الله اني لست آمرك بترك الدنيا بل آمرك بترك الذنوب، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة وأنت إلى إقامة الفريضة أحوج منك إلى اكتساب الفضيلة، قال: فقبلت يده ورجله وقلت بابي أنت و أمي يا بن رسول الله ما نجد العلم الصحيح إلاّ عندكم.

ويرى المعصومون عليهم السلام صلاحية الشخص وأهليته، فبينما يدخل البعض أعمال الحكومات الظالمة فيخدمون التحرك، ويعينون المؤمنين، تجد البعض الآخر ينجرف في تيار الحكومة، وظلمها ولا يستطيع مقاومة هذا التيار فيفقد دينه دون أن يخدم المؤمنين، وهؤلاء الأشخاص كان الأئمة (عليهم السلام) يمنعون دخولهم في أعمال الحكومات أشد المنع.

فعن داود بن زربي قال: اخبرني مولى لعلي بن الحسين (عليه السلام) قال كنت بالكوفة فقدم أبو عبد عليه السلام الحيرة فأتيته فقلت: جعلت فداك لو كلمت داود بن علي أو بعض هؤلاء فأدخل في بعض الولايات فقال: ما كنت لأفعل.. إلى أن قال (الراوي): جعلت فداك قد ظننت أنك إنما كرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم؟ وان كل امرأة لي طالق وكل مملوك لي حر وعليّ وعليّ ان ظلمت أحداً أوجرت عليه وان لم أعدل.

فقال (عليه السلام): كيف قلت؟! فأعدت عليه الأيمان فرفع رأسه إلى السماء وقال؟ تناول السماء أيسر عليك من ذلك. [٨١]

ويبين الإمام الباقر (عليه السلام) أن المسألة ترتبط بخطة القيادة الشرعية من جهة، وتتعلق في الطرف المقابل بشخص خاص ذي صفات محددة، ولذلك لا يجوز لغيره نفس العمل ما لم تأذن له قيادته. فهو يقول:

---

[80] / ميزان الحكمة ١٠/ ٧٤١.

[81] / وسائل الشيعة ١٢/ ١٣٦

" من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال لأن الأئمة من مفوض إليهم، فيما احلوا وما حرموا فهو حرام ".

ج– خدمة التحرك الرسالي:

هدف الاشتراك في الحكومة والدخول في أعمالها خدمة التحرك الرسالي، سواء عبر تقديم المعلومات عن خطط السلطة ونواياها أولا بأول، أو عبر إنقاذ المؤمنين من براثن السلطة، وتمشية أمورهم وحاجاتهم، والتوسط لهم .

وانما تغتفر إشكالات العمل هذا، ويتجاوز عن الآثار السلبية الحادثة في الحركة أو المجتمع، بفعل هذا الاشتراك، تغتفر هذه المسائل باعتبار أنها توازن بالخدمات والإنجازات التي يحصل عليها المؤمنون، والتي عادة ترجع عليها، ومتى تعذرت خدمة التحرك أو تعسرت، فبنفس النسبة ينبغي ان تقل أو تنعدم فرص الدخول في الحكم.

"عن زياد بن أبي سلمة قال: دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) فقال لي: يا زياد انك لتعمل عمل السلطان؟! قلت: أجل! فقال لي: و لم؟! قلت: أنا رجل لي مروة وعليّ عيال، وليس وراء ظهري شيء!!

فقال لي: يا زياد لأن اسقط من حالق (مكان مرتفع) فأتقطع قطعة قطعة أحب إليّ من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم إلاّ.. لماذا؟!

قلت: لا أدري جعلت فداك.

قال: إلاّ لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه.

يا زياد: ان أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملا أن يضرب عليه سرداق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق.

يا زياد: فان وليت شيئاً من أعمالهم فاحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك " [٨٢]

وعلي بن يقطين إضافة إلى كونه أحد الممولين الأساسيين للإمام الكاظم (عليه السلام) كما مر علينا في قصة الدراعة، فقد كان يساعد المؤمنين من إخوانه، فقد روي انهم أحصوا لعلي بن يقطين في موقف واحد مائة وخمسين ملبيا كلهم جاؤوا على نفقة بن يقطين[٨٣].

فوق كل ذلك كان ينقل الأخبار عن خطط السلطة إلى الإمام (عليه السلام)، فنحن نجد أن المهدي العباسي عندما ثار الحسين بن علي شهيد فخ، وتبين وجود علاقة ما بين الإمام الكاظم (عليه السلام) وبين الحسين عزم على قتله، وقال ذلك لبعض أصحابه، ومن الطبيعي أن علي بن يقطين (الوزير) لا بد أن يطلع على هذا الأمر فما كان منه إلاّ أن كتب بكل ما جرى للإمام الكاظم (عليه السلام)، لكي يتخذ جانب الحيطة والحذر[٨٤]. وقد ضمن الإمام (عليه السلام) له الجنة بعد ان ضمن علي بن يقطين للإمام أنه لا يأتيه ولي للإمام إلاّ

---

82 / بحار الأنوار ٤٨/ ١٧٢.

83 / للاطلاع على مجمل أحواله يراجع كتاب رجال الكشي ج ٢.

84 / بحار الأنوار ٤٨/ ١٥١.

أكرمه.

هذا ويقف الأئمة (عليه السلام) موقفاً عنيفاً من أولئك الذين لا يخدمون التحرك، والمؤمنين فعن يونس بن عمار قال: وصفت لأبي عبد الله (عليه السلام) من يقول بهذا الأمر (الانتماء للتشيع وطاعة الأئمة) ممن يعمل عمل السلطان. فقال: إذا ولوكم يدخلون عليكم المرفق وينفعونكم في حوائجكم؟ فقلت: منهم من يفعل ذلك ومنهم من لا يفعل.

فقال: من لم يفعل ذلك منهم فابرؤوا منه بريء الله منه[85] .

د- وجود الاجواء المناسبة:

هناك ظروف معينة تجعل دخول الحكومة وحسب تعبير الأئمة (عليهم السلام) عمل السلطان ممكناً ومفيداً في المجموع، بينما يصبح هذا العمل غير مفيد، عند انعدامها.. من هذه الظروف قوة الحركة العالمة تخطيطاً أو جمهوراً. فانها ان تكن جيدة التخطيط واضحة الاستراتيجية تتجنب بذلك المواقف المرتجلة، والاستدراج الذي تفرضه السلطة أحياناً عبر ممارساتها.. مثلاً إذا كانت استراتيجية الحركة العاملة عدم التصعيد، فإنها لا تنجرف إليه عندما تقوم السلطة بتصفية بعض العاملين أو فرض أجواء إرهابية، بينما من يفقد الاستراتيجية تجده يتخبط في معادلة الفعل ورد الفعل.

وكذلك حين تكون قوية جماهيرياً فانها تستطيع التأثير، وإيصال الناس إلى مستوى جيد من الوعي بحيث يمكن من خلال ذلك توضيح الموقف السليم للجمهور من السلطة.

أننا نجد الإمام الرضا صلوات الله عليه في البداية رفض أن يعين أو يعزل أحداً، لكيلا تستفيد السلطة العباسية الشرعية التي كانت ترجوها. كما كان يقوم بعدد من الأعمال التي تخالف توجهات الحكم القائم، وربما يعود ذلك لقوة الإمام الرضا(ع) وأتباعه بحيث لم يكن العباسيون قادرين على منع الإمام من تلك الأعمال، كظهوره في يوم العيد بكيفية مخصوصة جعلت المسلمين يشتاقون إلى الحكم الأصيل البعيد عن البهارج والزخارف[86].

وبالنسبة إلى تعبئة الأجواء فإن أحاديث الأئمة (عليهم السلام) في ذم الحكومات الظالمة وعدم جواز الاشتراك فيها، والتي سبق ذكرها، كانت تعبئ الجو العام في اتجاه مضاد للسلطة.

٤- الوكلاء وحكومة الظل:

تقوم حركة أهل البيت(ع) على أساس إعداد المشروع البديل المتكامل، وذلك عبر مجموعة من الممارسات السياسية والاجتماعية. بل نستطيع ان نقول إن أهل البيت (ع) وهم يرون لا شرعية الوضع القائم وعدم إمكانية التعاطي والتفاعل معه باعتباره وجوداً غير صالح. أهل البيت (ع) وهم يرون هذا الأمر شكلوا كياناً خاصاً بهم وبأتباعهم يحمل كل مواصفات الدولة المتكاملة في بطن هذه الدولة الكبيرة. ومن خلال هذا الكيان- الدولة

---

85 / وسائل الشيعة ١٢/ ١٤٢.

86 / راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام) .

المصغرة- كانوا يقومون بتربية عناصرهم وحوارييهم تربية سياسية شاملة.

وهذه الطريقة هي التي تلجأ إليها أغلب الحركات والجماعات الداعية إلى التغيير الجذري، حيث أنها لا ترى في الوضع الموجود ما يمكن من التعايش والتفاعل معه، فتوجد وضعاً بديلاً يتحلى بالميزات التي تراها مناسبة مع معتقداتها وبرنامجها..

وعمل أهل البيت (ع) في كل مناحيه الاجتماعية والسياسية والثقافية كان يشكل ذلك المجتمع البديل الذي يملك فيه الاتباع قيادة سياسية يلتزمون بأوامرها وينتهجون نهجها ويرون ان طاعة قراراتها جزء من عبادتهم اليومية، وأن هذه العبادة لا تكتمل إلاّ مع تحقق الطاعة للقيادة (الأئمة)، كما يمتلكون أنظمة خاصة في العلاقات الاجتماعية بين بعضهم البعض، ويمتلكون جهازاً سياسياً يتكون من الوكلاء يقوم هذا الجهاز بعمل الحكومات تماماً..

وبالرغم من أننا لا نريد- الآن- استعراض أدوار ووظائف الوكلاء، وكيف كان هؤلاء يديرون هذا الجسم الكبير من العاملين الممتد جغرافياً في رقعة تشمل كل البلاد الإسلامية آنئذ والذي يرتبط بأعداد هائلة من الناس- تياراً وحواريين-.. هذا الاتساع الذي يبدو لدى البعض من أتباع الأئمة (ع) غريباً، حين يجدون الإمام يسأل عن فلان في افريقية أو في بلاد البربر أو غيرها. فعن شعيب العقرقوفي قال.. قال لي الإمام (ع) أن أذهب إلى الكعبة المشرفة للطواف، وسوف يراني هناك رجل من افريقية، اسمر وطويل ويسألني عن الإمام ومترله وعلي ان أرشده له.. ففعلت ذلك واقبل الإمام عليه يسأله عن أشخاص في افريقية، ويفيده بمعلومات حول تلك المنطقة لا تتسنى إلاّ لأهل تلك المناطق، وخصوصاً عن أشخاصها ورجالها. مما أثار دهشة شعيب ودهشة الرجل.

وقد يقال إن المسألة غيبية هنا وترتبط بالعجزة إلاّ أنها تكشف عن مدى الاتساع الذي بلغته حركة أهل البيت عليهم السلام وانتشار أنصارهم.

هذا إضافة إلى التنظيم الاقتصادي الرائع الذي أجراه أهل البيت (ع) بين أصحابهم وفي صفوف أنصارهم من خلال الوكلاء، والقيادات الوسيطة، التي اهتم الأئمة بتقويتها و مركزيتها بين الأتباع بحيث جعلوا ميزان اتباع الشخص وطاعته للإمام اتباعه للوكيل والنائب (وقد جعلت في طاعته طاعتي والخروج إلى مخالفته مخالفتي) .

هذا التنظيم الاقتصادي الذي كان يبدأ من جمع المال (أخماس- زكوات.. الخ) من الشيعة بحيث كان المنتمي لأهل البيت يجد نفسه مسارعاً إلى دفع ما يجب في ماله من حقوق مهما صغرت وقلت قيمتها، ومهما بعدت شقته ومكانه. فتجد تلك المرأة العجوز ترسل للإمام خمس مالها الذي لا يتجاوز خمسة دراهم، ترسلها من خراسان لكي تصل للإمام (عليه السلام)، وتعتبر ذلك عملا عبادياً تماماً كصلاة الصبح.

إلى طريقة إيصال هذه الأموال للإمام (ع) سواء في الظروف العادية أو القمعية الاستثنائية مع المحافظة على عدم اختلاط القنوات والوكلاء كما يتبين من وصية الإمام الهادي (ع) إلى أيوب بن نوح، الأمر الذي جعل المال سلاحاً فعالاً في وجه حكومات الأمويين والعباسيين، بالرغم من سياسة الإفقار المتعمدة [٨٧] التي مارسها الحكام

---

[87] / ينقل المأمون العباسي قصة الإمام الكاظم (ع) مع والده هارون الرشيد، حينما دخل الإمام عليه السلام على هارون في يوم كان يدخل عليه القرشيون ناسبين أنفسهم وكان يعطيهم من المال كل على حسب شرفه وهجرة آبائه من خمسة آلاف دينار وما دونها حتى دخل الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) فأمر هارون أن لا ينزل الإمام من دابته إلا على بساطه وبالغ في احترامه وإجلاله ثم سأله

تجاه أهل البيت (ع). وأيضاً في وجوه صرفها حيث كانت هذه الأموال تتحول - من خلال الوكلاء- إلى مشاريع عمل سياسية واجتماعية، فالإمام الصادق (ع) عبر وكلائه يجري العوائل الذين استشهدوا مع عمه زيد بن علي بن الحسين(عليهما السلام) مرتبات تكفيهم، ويقول (وددت أن الخارجي- أي الثائر- قد خرج من آل محمد وعلى نفقة عياله)، ويمر المفضل بن عمر رضوان الله عليه على اثنين من شيعة أهل البيت، وهما يتنازعان في مال فجاء واستمع إليهما ثم أعطى المدعي ما طلب وفصل بينهما، واخبرهما أن المال ليس ماله الشخصي و انما هو من الإمام الصادق (ع) أمره بصرفه للفصل بين المتنازعين من أصحابه، للحفاظ على الوحدة الاجتماعية بين الأصحاب ولوجود هذه الطريقة فقد كانت السلطات في حيرة من أمرها فهي تعلم أن الشيعة يرسلون زكوات أموالهم وأخماسها إلى الأئمة (ع) وهذا يعني وجود أموال طائلة لديهم، كما يعلمون أن الأئمة أيضاً يحركون هذه الأموال في مشاريع، إلاّ انهم عند التفتيش المفاجيء والمداهمة لبيوت الأئمة (ع) بحثاً عن الأموال والسلاح لم يكونوا يجدون شيئاً.

ومن هنا نجد أن حواري الأئمة وكوادرهم كانوا مهيئين في أي ساعة للإدارة السياسية والحكم بنجاح ففي عهد الخلفاء تجد عدداً من أتباع الأئمة (ع) كانوا ولاة على الأقاليم وكانوا ناجحين تماماً في إدارتها مثل سلمان المحمدي- وحذيفة بن اليمان وغيرهما وفي عهد أمير المؤمنين (ع) تجد مالك الأشتر، وهكذا حتى في أيام الأمويين والعباسيين تجد الأكفاء من أتباع الأئمة ولاة وحكاماً- وقد مرت بعض الأمثلة في بحث العمل في الحكومات القائمة في الصفحات السابقة-.

وما يوضح أهمية دور الوكلاء والقيادات الوسيطة أن أئمة أهل البيت (ع) كانوا يغيبون، أو يغيبون عن الساحة إلاّ أن أمورهم و أعمالهم كانت تسير، و لم يمن العمل ليقف او ينتهي فالإمام الكاظم (عليه السلام) كان قد قضى أربعة عشر عاماً في السجن في فترات متقطعة مما كان يعني تقطيع أوصال العمل في الحالات الاعتيادية إلاّ أنه ظل يدير التحرك من خلال وكلائه و لم يتوقف العمل، والإمام الرضا (ع) كان- وهو في ولاية العهد- تحت المراقبة الدائمة إلاّ أن القيادات الفرعية والوكلاء قاموا بدورهم بالشكل الأمثل، وهكذا بالنسبة إلى الإمام الهادي والعسكري (عليهم السلام) اللذين كانا يعيشان شبه إقامة جبرية، وتحت المراقبة الدائمة وتتوج المسألة بالإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه) حيث غاب- في الغيبة الصغرى- حوالي السبعين عاماً وكلف وكلاءه الأربعة بإدارة شؤون أتباع أهل البيت. في وقت بلغ فيه هؤلاء قمتهم من ناحية العدد والانتشار وبالتالي تعدد الأعمال والمشاكل. ويكفى ان نقول أن هذه الجماعة ظلت في طول تاريخها الممتد تعيش في داخل الدول والحكومات، و لم تكن تعيش معها أو تعتمد عليها في سياستها او اقتصادها أو حركتها الاجتماعية، وذلك بفضل ما نسميه اليوم

عن حاله وعياله وكان له آنئذ من الموالي والحشم ممن يلوذون به حوالي الخمسمائة، ومن الولد نيف وثلاثون، فوعده هارون أن يعطيه من المال ما يزوج به الذكران والنسوان من أبنائه وبناته ويقضي به الدين ويعمر به الضياع، ثم ودعه وأمر له بصرة فيها مائتا دينار أرسلها مع الفضل بن الربيع ليقول للإمام: يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد الوقت!! هذا مع العلم انه في ذات المجلس أعطى هارون لمخارق المغني ثلاثين ألف دينار.. ويعلل هارون هذا الأمر بعد أن سأل من المأمون كيف يعطي المهاجرين الأنصار وغيرهم ممن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار بينما يعطي للإمام الكاظم (ع) وهو ذو الحسب والنسب أخس عطية؟! فقال هارون لابنه المأمون: اسكت لا أم لك فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنته أن يضرب وجهي غدا بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه وفقر هذا وأهل بيته اسلم لي ولكم من بسط أيديهم. عن عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٤

(بحكومة الظل) التي كان الأئمة عليهم السلام قد أداروا بها أمور أتباعهم.
عبر توضيح الموقف الرسالي تجاه الأحداث الجارية (ثورات، مذاهب فكرية وسياسية، الخ) وعبر التأكيد على القيادة الرسالية وضرورة الانتماء إليها. وعبر إدخال الكوادر في العمل السياسي سواء إدارة العمل عبر نظام الوكالة، أو الدخول في الحكومة القائمة لخدمة الرسالة عبر كل ذلك.. كانت تتم التربية السياسية- النظرية والعملية- للكوادر الرسالية.

البناء الفكري للقادة

باعتبار أن التربية الرسالية التي كان يمارسها أهل البيت (عليهم السلام) لأتباعهم وحوارييهم، تربية متكاملة لذلك كان طبيعياً أن يعتنوا عناية خاصة بالمسألة الفكرية، خصوصاً في تلك الفترة التي كان فيها الفكر جزءاً رئيسياً في الصراع الدائر بين أهل الحق، وجموع الباطل.
في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام لم يكن السيف يحل محل المسائل، إذ لا بد من الفكر، وفهم الإسلام لكي يمكن مواجهة تلك المسائل التي لا تحلها القوة.
وسواء كانت تلك الفترة أو غيرها من الفترات، فانه لا بد من المعرفة لسلامة التحرك، ولا بد من وضوح الرؤية ليتم العمل على أسس صحيحة،وإلا فمن الممكن أن تتحرك جماعة بدافع الحماس، ولكنها تخطئ الطريق، فتتخبط في ضلالات، وتضيع في متاهات.
ان تجربة الخوارج الذين شهروا السلاح بوجه أمير المؤمنين (عليه السلام) ولوثوا صفحات حياتهم- والى الأبد- بجريمة قتلة في محراب صلاته، نموذج بارز في هذا المجال. فلم يكن ينقص هؤلاء الشجاعة كما شهدت لهم معاركهم فيما بعد مع الأمويين، إذ هزم ثمانون منهم أربعة آلاف من جيش الأمويين، كما لم يكن ينقصهم الحماس، ولم تكن تنقصهم العبادة إذ كان على جباه بعضهم مثل ثفنات البعير من أثر السجود.. إذن أين الإشكال؟! الإشكال هو في خطأ الرؤية، والابتعاد عن البصائر الواضحة، وقلة الوعي سواء السياسي أو الديني.. لقد رفعوا شعار (لا حكم إلاّ لله) ولم يكونوا يعرفون معنى هذا الشعار بعمق.. كانوا سطحيين جداً، فلم يفهموا معناه، وأيضاً لم يعرفوا مصداقه!!

ان ضلعي الزاوية لا يبتعد أحدهما عن الآخر في البداية إلاّ ملمترات قليلة- تنتهي عند التقائهما- ولكنهما كلما امتدا، واستطالا زادت الفاصلة بينهما حتى يبدو الانفصال بينهما غير قابل للتصديق !!

وهكذا هم العاملون، حين يبدؤون من نقطة خاطئة، من الجهل بالإسلام وبفكره، وبصائر القرآن، ويتسلون بهذه الصورة، ينتهون إلى ما انتهى إليه ضلعا الزاوية.

لذلك لا بد من الوعي بالإسلام، والمعرفة به، قبل بداية التحرك، إذ كل حركات المرء رهينة فكرة وثقافته التي يحملها، فإذا وجدنا شخصاً حسن الأخلاق، طيب السيرة، خدوماً للمجتمع، محافظاً عليه، فان كل ذلك إنما هو انعكاس خارجي للأفكار والقيم التي يحملها هذا المرء في داخله وهكذا العكس حين نجد جباراً طاغياً، وظالماً مستكبراً يرتاح بأذى المؤمنين، ويسكر على أنينهم.

ويبين المعصومون (عليهم السلام) هذه الحقيقة لأصحابهم، ويحثونهم بالتالي على اكتساب علوم الإسلام، والتعرف على بصائر القرآن لكي تكون مجمل أعمالهم في الخط السليم.. فيقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في

إحدى وصاياه لكميل بن زياد:

(يا كميل: ما من حركة إلاّ وأنت محتاج فيها إلى معرفة) . ويبين الإمام الصادق (عليه السلام) الترابط الوثيق الموجود في حياة الإنسان بين أفكاره التي يحملها وأعماله، وعموماً الترابط بين فكر الإنسان وبين استراتيجيته في الحياة:

(يا بن جندب: أحبب في الله واستمسك بالعروة واعتصم بالهدى يقبل عملك فان الله يقول: (إلاّ من آمن وعمل صالحا ثم اهتدى)، فلا يقبل إلاّ الإيمان ولا إيمان إلاّ بعمل ولاعمل إلاّ بيقين ولايقين إلاّ بالخشوع وملاكها كلها الهدى فمن اهتدى قبل عمله) .

ويحذر المعصومون (عليهم السلام) من السير دونما بصيرة، لأن ذلك إضافة إلى أنه تبديد للجهد والطاقة و لا يوصل المرء إلى الهدف إطلاقاً بل يبعده عنه. يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

(العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق فلا تزده سرعة السير إلاّ بعداً) [88]

ويجعل الإمام الصادق (عليه السلام) مقياس التفاضل بين العاملين، المعرفة، والبصيرة التي تجعل أعمال المؤمن ضمن الإطار الصحيح، فليست كثرة الصلاة والعبادة الخالية عن الوعي دليلاً على أفضلية المؤمن، إنما البصيرة الرسالية التي تعطي كل عمل أبعاده الكاملة في شخصية المؤمن.. فعن ابن أبي عمير عن الصادق (عليه السلام) قال:

" بعضكم أكثر صلاة من بعض وبعضكم اكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة وبعضكم أكثر صياماً من بعض. و أفضلكم أفضل معرفة "[89]

نعم للبصيرة لا للهوس:

هناك تبرير يتعلل به المتقاعسون عن التحرك والعمل، ويحاولون أن يخدعوا به الله والذين آمنوا (وما يخدعون إلاّ أنفسهم ومما يشعرون) ذلك أنهم يبررون عدم تحركهم بعدم وضوح الخطة، وضرورة التعمق في الفكر الإسلامي لبداية التحرك.

ورغم أن هذه كلمة حق إلاّ أنها أحياناً يراد بها الباطل، والذين يتفوهون بها لا يخرجون عن أحد ثلاثة:

– قسم غير واع فعلاً وهو يريد أن يتعرف على أوليات الفكر الإسلامي لكي يستطيع أن ينجو من الثغرات حين العمل، وهؤلاء لا يتوقفون عن العمل بدعوى ضرورة التعمق في هذه المسائل إنما يتوكلون على الله، وفي نفس الوقت يتعرفون على بصائر الدين، وسوف نتحدث عن هؤلاء بعد قليل.

– وقسم آخر اختاروا هذا الأمر، وأصيبوا بهوس في تثقيف أنفسهم ذلك لأنهم يجدون هذا العمل أسهل من العمل الجهادي فلماذا يتركونه ويذهبون إلى الجهاد؟!

أن المعارك التي تدور على صفحات الكتب ويشاهدها القارئ لهي أسهل بكثير من المعارك الحقيقية الدائمة بين أهل الحق وأهل الباطل والذي قد يكون صاحبنا أحد شهدائها!! انه لا يرغب في ذلك.

---

88 / الأحاديث من تحف العقول

89 / صفات الشيعة ٥٧

– وقسم ثالث يعيشون مسألة الدور فهم كما قال الشاعر:

مسألة الدور جرت بيني وبين من أحب

لولا مشيبي ما جفا لولا جفاه لم أشب

فهم لشعورهم بنقص معلوماتهم و اطلاعاتهم، وحاجتهم إلى وعي أكثر يلجؤون إلى الكتب والى الثقافة، ولكنهم كلما قرؤوا يكتشفون أنهم لا يزالون بحاجة إلى الثقافة، باعتبار أنهم تنفتح عليهم أبواب جديدة من العلم لا يعرفونها.. وهكذا اننا في نفس الوقت الذي نجد من الضروري أن يتحرك العاملون على بصيرة من أمرهم ومعرفة من دينهم نرى الإغراق في عقدة الثقافة، يمنع العمل وقد يتخذ ستاراً للبعض لتبرير التقاعس، واختيار الراحة.

والوعي قد يأتي من الكتاب، وأحياناً كثيرة يأتي من التجربة والممارسة العملية، فالعامل الذي يبدأ، ولا علم كامل لديه حول الخطط والبرامج المطلوبة، ولا معرفة عنده بالطرق الأفضل للتحرك، ربما يتعز في بداية الطريق، ولكنه بعدئذ يكتسب تجربة ومعرفة واقعية تتجاوز المعارف النظرية، ولعل هذا يستفاد من الآية المباركة: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) إذ بعد الجهاد والتحرك يطرح الله سبحانه الهداية والبصيرة في عمل المجاهدين.

وتبين الأحاديث ارتباط المعرفة بالعمل: عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

" العلم رشد لمن عمل به " وعنه " العلم بالعمل " [٩٠]

المعصومون ومواصفات المنهج الفكري السليم:

هناك فرق كبير بين أن تعطي المحتاج سمكة، وبين أن تعلمه صيد السمك، فأنت تشبعه ليومه في الحالة الأولى، بينما تغنيه دهره في الثانية.

وهذا الأمر أيضاً جاء في العلم والمعرفة، فقد تجلس وتحدث المستمعين فيما منّ الله عليك من المعارف والعلوم، فتعطيهم بذلك " سمكة " وقد تعلمهم المنهج السليم الذي ينتهي بهم إلى العلم، وهنا تضعهم على مدارج التكامل.

ويبدو لي أن هذا هو أحد الفروق الجوهرية بين العلماء وبين غيرهم فقد نجد أحدهم خلال مدة زمنية قد استوعب كثيراً من علوم الإسلام، واستطاع بذلك ان يعرف رؤية الدين في مختلف القضايا، وآخر يقضي فترة زمنية أكبر بينما لا يزال يرواح مكانه لم يحفظ سوى ألفاظ، و لم يعرف سوى مصطلحات!!

ان الأول عرف المنهج السليم بينما بقي الثاني حافظاً للمعلومات في شريط دماغه.

يظهر للباحث أن المعصومين (عليهم السلام) رغم كثرة تعليمهم لأصحابهم وكثرة أحاديثهم التي القوها على أصحابهم رضوان الله عليهم، إلاّ أنهم لم يكتفوا بهذا الجانب رغم أهميته، وثراء مادته، بل علموا أصحابهم طريقة التعلم، ومنهج التفكير، وسوف نتعرض إلى مواصفات هذا المنهج لنتوفق للأخذ به:

١– الأخذ من المنابع الصافية:

هناك منابع كثيرة للفكر، ويحتار المرء منها–؟! وما هو الطريق الأقرب والأسلم فيها ؟! والذين لم يعرفوا

---

[90] / الحياة ١/ ٢٨٤.

المنبع الصافي توجهوا إلى المستنقعات وأخذوا عنها مما جعل مسيرهم الحياتية تتخبط.

ولقد خط لنا المعصومون (عليهم السلام) طريقاً نسلكه، ومنهجاً نتبعه وضمنوا لنا الفلاح أن اتبعنا هذا المنهج، مشيرين إلى أن العلم الصحيح والبصيرة الواضحة لن يأتي إلاّ عبره.

أول هذه المنابع: القرآن الكريم، كتاب الله الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه تبيان كل شيء.

ولا ينبغي أن يقال ان هناك مسائل متجددة، وقضايا حادثة؟ لاننا نقول ان الحياة تجري على أسس وضمن قوانين، وان اختلفت مصاديقها وجزئياتها، إلاّ أنها ثابتة، وقد بين القرآن الكريم هذه القوانين، واستطاع علماؤنا رضوان الله عليهم أن يستنبطوا من هذه القوانين مختلف المسائل الحياتية.

وثاني هذه المنابع سنة المعصومين عليهم السلام من أحاديث و أفعال، تلك التي لم تكن سوى مرآة عاكسة للمنهج القرآني. فان لدينا العدد الهائل من أحاديث أهل البيت تجد قسماً منها في الموسوعات الحديثية الكبيرة، كما أن حياتهم (عليهم السلام) وما جرى فيها من أحداث وما اتخذوا من مواقف، هذه كلها مدرسة كاملة تغطي حاجة الرساليين والعاملين في مختلف الجوانب.

وقد وجه المعصومون (عليهم السلام) اتباعهم إلى الأخذ من هذين المنبعين وهما في الحقيقة واحد، إذ ينتهي علم أهل البيت(ع) وسيرتهم إلى القرآن الكريم، و أكدوا على ضرورة التماس الهدى من القرآن:

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

".. فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه قاده إلى النار وهو الدليل إلى خير سبيل وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم عميق بحره لا تحصى عجائبه ولا يشبع منه علماؤه وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودال على الحجة . ."[٩١]

– وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

" أتاني جبرئيل فقال يا محمد سيكون في أمتك فتنة، قلت: المخرج منها فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم .. " .

– وعنه (عليه السلام) في القرآن:

".. ألا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم، ونظم ما بينكم.. "

وكذلك تؤكد الأحاديث على سنة المعصومين (عليهم السلام) وأن المناهج الأخرى تضل صاحبها وترديه في الهاوية:

– فعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

".. انظروا أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى" [٩٢]

---

91 / ميزان الحكمة ٨/ ٦٥.

92 / ميزان الحكمة ١، ٦ ، ٨

وقال (عليه السلام) لكميل بن زياد:
"ياكميل لا تأخذ إلاّ عنا تكن منا "[93]
- وعن الصادق (عليه السلام):
" معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق إلاّ وبنا يدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم "

- وعن الباقر (عليه السلام) لسلمة بن كهيل وأم حكم بن عتيبة:
" شرقاً وغرباً لن تجدا علماً صحيحاً إلاّ عند أهل البيت " .
- وقال أيضاً:
" أما انه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلاّ شيء أخذوه من أهل البيت " [94]
ويرفض المعصومون الالتقاط، إذ أنهم يرونه خطراً مدمراً، وهو أشبه بتركيب رأس على جسد غيره، فالمنهج الإسلامي بما فيه من رؤية توحيدية شاملة تدخل في صلب تشريعاته، لا يمكن أن يتزاوج مع مناهج أخرى وضعية، بل لا يمكن أن يلتقي معها.
ومع أن الإسلام يوجه إلى النظر في أحوال الآخرين، والاستفادة من علومهم فــ (أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه)، إلاّ أنه يرفض وبشدة حالة الالتقاط التي تعبر عن جهل فاضح بمنهج الإسلام، وبالقرآن الذي فيه تبيان كل شيء، ولهذا فحينما يأتي أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسأله عن إمكانية الاستفادة من التوراة- وهي كتاب الله المترل- ينهاه الرسول (صلى الله عليه وآله) عن ذلك قائلاً له: " لاتفعل فلو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلاّ اتباعي ".
وحين يستخدم بعض أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) منهج القياس من أجل التغلب على مناوئيهم في المناظرة والنقاش، و لاثبات أفكار صحيحة، ينهاهم الإمام، وينتقدهم قائلاً لمؤمن الطاق: " أنك قست والقياس ليس من ديني، والله ما قلت من الحق حرفا واحداً ".

٢- احترام العقل وتأكيد دوره:

بين إفراط المعتزلة وتفريط الاشاعرة في دور العقل كان منهج أهل البيت (عليهم السلام). هذان الفريقان لم يفهما موقع العقل في المنهج الإسلامي، وعلاقته بالوحي، والسنة، فالمعتزلة أكدوا على دور العقل وسلموا إليه الأزمة، وفتحوا أمامه كل الأراضي.. فضلوا وأضلوا.. إذ أن هناك مجالات لا يستطيع العقل أن يدركها فضلاً عن إمكانية مناقشتها والحكم فيها، بينما فرط الأشاعرة في دور العقل، وألغوا دوره معتمدين- في تصورهم- على النصوص، والأخبار.
وهذان التياران رغم أن بدايتهما قديمة إلاّ أنهما لا يزالان موجودين حتى الآن، وفي مختلف المجالات.
ويأتي منهج الأئمة (عليهم السلام) ليعطي للعقل دوراً ويؤكد عليه، في المجالات التي يمكن للعقل أن يقول كلمته،

---

[93] / تحف العقول ١١٩
[94] / ميزان الحكمة ٦/ ٥٤٣ .

ويصونه عن المناطق (المحرمة) التي لا يجوز أن يتكلف فيها ما ليس له، تاركاً الأمر للوحي. ويبين في أحاديث كثيرة أهمية العقل حيث أنه مقياس الثواب والعقاب، وأنه الحجة الباطنة على الخلائق:

– عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

" قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له "

– عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

" أفضل حظ الرجل عقله إن ذل أعزه وإن سقط رفعه وإن ضل أرشده
وإن تكلم سدده "

– عن الكاظم (عليه السلام)

" إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول " وتبين الأحاديث أن الرجل يثاب على قدر عقله، فعن أنس بن مالك قال: أثنى قوم على رجل عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كيف عقله؟. قالوا: يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟!

فقال: " إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم " [٩٥]

العقل وفهم النصوص:

يسر الله للناس الذكر الحكيم، وطلب منهم تعقله والتفكير فيه، والتدبر في آياته، وبينما يتصور البعض أن العقل قاصر عن تناول معاني القرآن أساساً، أمر الله بالتدبر في القرآن، ومحاولة فهم معانيه:

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) [٩٦]

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[٩٧]

– ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

" ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه "

– ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً:

" تدبروا آيات القرآن واعتبروا به أبلغ العبر "

العقل وفهم التجارب:

يوجه الإسلام أتباعه إلى ضرورة فهم التجربة، سواء تجربة الأشخاص
او تجربة الأمم ويحث على النظر في عواقب هذه التجارب، وإلى ما انتهت إليه.

والتجارب تفيد علما جديدا، خصوصا وأنها لا تنقضي، والعاقل الذي يستخدم عقله هو الذي يستفيد من وجود التجارب فينظر إليها نظر اعتبار، ويأخذ منها ما ينفعه في دنياه أو أخراه:

---

95 / ميزان الحكمة ج ٦

96 / القمر آية ٤٠

97 / محمد آية ٢٤

- فيما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن:

" ولتستقبل بجد رأيك في الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة "

- وعنه (عليه السلام)

" من أحكم من التجارب سلم من العواطب، من غني عن التجارب عمي عن العواقب "

- وعنه (عليه السلام):

" التجارب لا تنقضي والعاقل منها في زيادة " [٩٨]

ولمن أراد التفصيل يمكن مراجعة وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم التي كان محورها تأكيد دور العقل.

٣- توضيح عوامل الانحراف:

ما دام القرآن موجوداً، والعقل لدى الناس، فلماذا نجد رغم ذلك المناهج الفكرية الخاطئة؟! إن القرآن بين أظهر المسلمين، والعقل قد حباهم الله به، فلماذا يكون الاختلاف في المسائل الفكرية والعقائدية، وكذلك الحاضرة؟!

إن ذلك بسبب وجود عوامل الانحراف، وعدم اجتنابها، ولذلك فهي تدخل في صلب الفكرة أو الرؤية، دون أن يشعر المرء.

وخلافا لما يتصور من أن مشكلة العلم والتفكير عقلية محضة، ويمكن بالتالي حلها عبر وضع قواعد لتنظيم عملية التفكير، وأقيسة يجري فيها الحكم السليم، نعتقد أن المشكلة نفسية قبل أن تكون عقلية، ولذلك فنحن بحاجة إلى توضيح عوامل الخطأ والانحراف سواء في النفس البشرية، أو تلك الموجودة في الخارج والتي تنعكس على النفس.

والذين لا ينتبهون إلى هذه العوامل، التي تتداخل مع حياة الإنسان ومع أفكاره تؤثر فيه دون أن يشعر، ولنستعرض عدداً من الأمثلة في هذا المجال.

الجذور النفسية للخطأ: مثلا: حب الفكرة والعمى عن سلبياتها ونقاط الضعف فيها إذ أن (من عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة " كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام).

والتسرع في إطلاق الأحكام، والانطلاق من قضايا خاصة وجزئية بأسبابها وظروفها إلى الحكم بقضايا كلية، دون أن تحتمل كأن يرى المرء جانباً من المدينة خراباً فيحكم عليها بالخراب كلها.

ووراثة الأفكار، عبر التقليد للآباء، والبقاء على ما آمنوا به كما فعل مع الأنبياء أقوامهم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) .

وضغط المجتمع، بما يمثله من أفكار، واستجابة الفرد له عبر التوافق الاجتماعي. والأخطاء المنهجية كاختيار المنهج غير المناسب للقضية المطروحة كالذين أرادوا استخدام المنهج الحسي في معرفة الله .

ونستعرض هنا بعض الأحاديث التي رويت عن المعصومين (عليهم السلام) في باب تحديد موانع التفكير السليم. والوقوع في الخطأ:

---

[98] / ميزان الحكمة ٢/ ٢٥

- العجب: في وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام:

" أي بني.. أعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب "

- الطمع: في وصية الكاظم (عليه السلام) لهشام:

" يا هشام إياك والطمع، فان الطمع مفتاح الذل واختلاس العقل، واختلاف المروات وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم ".

وفي هذا الحديث نجد الإمام أمير المؤمنين يبين عدداً من الأخطاء التي يقع تحت تأثيرها البعض عندما لا ينتبهون، ويعبر عنها (بالسكر) فيقول:

- " ينبغي للعاقل ان يحترس من سكر المال، وسكر القدرة، وسكر العلم وسكر المرح، وسكر الشباب، فان لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار "

ويوضح حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) العلاقة الوثيقة بين الصفات النفسية الصحيحة، واستقامة النفس، وبين التفكير العقلائي، والمنهج السليم في التفكير، وعلى العكس الصفات السيئة.. كل ذلك ألقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى راهب نصراني سأله عن العقل ما هو وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب منه؟ فأجابه رسول الله (صلى الله عليه وآله): ان العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب ان لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، وان الله خلق العقل فقال له:

" أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال اليه تبارك وتعالى: وعزتي و جلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك بك ابدأ وبك أعيد لك الثواب وعليك العقاب، فتشعب من العقل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد ومن الرشد العفاف، ومن العفاف الصيانة، ومن الصيانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير، ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة الناصح، فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ومحل واحد من هذه العشرة أصناف عثرة أنواع.. "

ثم مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يحدثه عن الأصناف الأخرى.

وخشية الإطالة فاننا نكتفي بهذا المقدار من الحديث عن مواصفات المنهج الذي انتهجه المعصومون لأصحابهم، وإضافة إلى تبيان المنهج السليم، و إعطاء القواعد العامة لصحة التفكير- كما تقدم- كانوا يبينون لأصحابهم وكوادرهم المسائل العقائدية، والسياسية المختلفة التي كانت مدار البحث آنئذ، فلو نظرنا إلى الخطب الوصايا والرسائل وجدناها تتناول هذه المواضيع ففي نهج البلاغة يتناول أمير المؤمنين (عليه السلام) مختلف المواضيع العقائدية من صفات الله، وصفة المخلوقات، وعن أحوال الأنبياء والمرسلين ودورهم، وعن يوم القيامة وعقابه، وعن القرآن الكريم وأحوال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأصناف المجتمع من متقين ومنافقين، وهكذا سائر الأئمة (عليهم السلام) تحدثوا عن التوحيد، ومحبة أهل البيت، وعن معائش العباد، وعن مواضع إنفاق المال والخمس والغنائم، وعن الجبر والتفويض والقضاء والقدر. ولم يترك الأئمة (عليهم السلام) مسألة فكرية يبتلى بها المؤمنون إلاّ وبينوا رأي الإسلام فيها.. هذا كما قلنا إضافة إلى توجيه الأصحاب للمنهج السليم.

والذي يمكن ان نستفيده اليوم من هذا الجانب في تربية الرساليين ما يلي:-

١- الاستفادة من المنهج الرسالي الذي وضعه المعصومون (عليهم السلام) في التعامل مع قضايا الثقافة والفكر. ذلك المنهج الذي يعيد الرساليين إلى جذورهم وعمق أصالتهم.

٢- هذا المنهج يتمثل اليوم في التركيز على دراسة النصوص الإسلامية، والتأمل فيها، وجعلها المرجع الأول في مشاكل العمل، ان التدبر في القرآن الكريم ودراسة أحاديث المعصومين (عليهم السلام)، ما جمع منها في الموسوعات الحديثية المتوفرة، ليس تكتيكاً، وانما هو أساس من أسس التحرك، وضمانة لاستقامة المسيرة ووقاية عن بلاء الالتقاط.. ولهذا لا بد من تعميم هذا التوجه لدى كل فرد عامل، وفي كل مؤسسة.

ان الفجوة الحاصلة بين بعض العاملين وبين بصائر الإسلام أن تردم عبر تعميق التوجه إلى دراسة النصوص الإسلامية، وفي هذا الطريق لا بد من تجاوز الاشكالات التفصيلية.

٣- تربية الهمج والمقلدين، الذين يستطيعون التصفيق أكثر ويتقنون فن التأييد والطاعة فقط، ليس في مصلحة العمل. ولا يصب في خدمة الهدف فالعدو العاقل أفضل من الصديق الجاهل، لان الأخير يرديك بجهله، وهو يظن أنه يتقرب إلى الله.

لا بد من تنمية الوعي والعقل، والشخصية الناقدة وكما قال الإمام الصادق (عليه السلام) " كونوا نقاد الكلام "، لأجل تقدم العاملين. ورغم أن طاعة الواعين، والفاهمين قد تكون أصعب من طاعة البسطاء إلاّ انها أنفع.

٤- في نفس الوقت الذي ينبغي توضيح مواصفات المنهج، وطريقة (الصيد) لا بد من بيان المعارف الإسلامية للعاملين، بمقدار يمكنهم من فهم دينهم فهماً مستوعباً، كل حسب وعائه. ولا يجوز الاكتفاء بتوجيه الأفراد إلى المنهج دون توضيح الأفكار. فان ذلك يشبه هيكلاً عظيماً دونما أعصاب ولحم.

البناء الاخلاقي للقادة

هل نحن بحاجة إلى بيان ضرورة التربية الأخلاقية ؟! وهل هي خافية حتى تحتاج إلى بيان ؟! وهل بناء الكادر شيء آخر غيرها ؟!

لا أظن ذلك.. غير أن الذي يحدوني- عزيزي القاريء- إلى ذكر هذا الأمر، ما نراه في ساحتنا الإسلامية من نتائج ضمور هذا الجانب عملياً، وان كان معروفاً من الناحية النظرية، لنستعرض معاً- وربما تملك أكثر- بعض الأمثلة من الواقع المعاش.

* شخص يبدأ في العمل مع هذه الجهة او تلك ، ويعمل في البدء بكل إخلاص فيعطي العمل جهده، ويتفاعل معه حتى درجات الشهادة، وأحياناً يعادي هؤلاء وأولئك بسبب شدة انتمائه.. ثم يحصل تطور ما.. فإذا به ينكفيء تماماً ويبدأ في خط معاكس تماماً (رسالة) تخريب وتحطيم هذه المجموعة، وخلافاً للقانون الفيزيائي فان رد فعله يكون أعنف من ذات الفعل فيتجاوزه ولا يساويه!!

* جماعة تختلف فكرياً مع جماعة أخرى، وهذا حق طبيعي وواقع وموجود، يتحول اختلاف الرأي هذا إلى صراع عنيف، والى تناقض في الوجود، ويتلاشى صوت الضمير الهاديء أمام زفير التطرف، فإذا بالساحة ليس فيها معركة سوى معركة العاملين، والطواغيت يصفقون ويشجعون !!

*(لا أرحمك ولا أخلي رحمة الله تنزل عليك) حالة خاطئة ولكنها تتحول إلى قانون مقدس في عرف البعض حين يتعلق الأمر بالطرف الآخر.. فإذا كان هناك عناصر لا تستطيع الجماعة الأولى استيعابهم فانها ليس فقط لا تدعو الجماعة المنافسة لاستيعابهم، فالأمر يهون هنا، وانما تسعى لتخريب جهودها، ويحدث ان يظل هؤلاء بعيدين عن الهداية والتحرك، لهذا السبب.

يحدث كثيراً ان يستخدم البعض- جهلاً او تعمداً- وسائل في العمل تخرجهم ليس فقط عن الإطار المناقبي المطلوب في العمل، بل تخرجهم أحياناً عن روح الإسلام، وجوهر العقيدة، وذلك عندما تتحول هذه الوسائل إلى عمل مشروع بل واجب، وضروري للتحرك، وتدعم بالأدلة (الشرعية)!! الغيبة التي هي ادام أهل النار، تصبح وسيلة مقدسة لضرب هذا وتحطيم ذاك ويستطيع هؤلاء ان يجدوا دواعي (شرعية) كثيرة لاستخدام هذه الوسيلة!!

والمؤمن الذي حقه اعظم من حق الكعبة كما يقول الإمام الكاظم (عليه السلام) [٩٩]، والذي من حاربه فقد أرصد لله بالمحاربة كما في حديث قدسي.. هذا المؤمن ببركة هذه الوسائل يباع ويشتري بأقل من الدانق !!

و... غيرها من الأمثلة كثير.

كل ذلك ينبئ عن فقدان التربية الأخلاقية أو نقصانها لدى عدد من العاملين الإسلاميين، رغم أنهم أحياناً يدركون ضرورتها- نظرياً- ولكن في موقع التطبيق تغيب هذه الضرورة وفي تعيين المصداق يحدث الخطأ.

ولعل سبب ذلك يعود إلى عاملين:

الأول: خطأ البعض في الاستهانة بالحدود الأخلاقية تعويلاً على الجهاد والعمل في سبيل الله، فهو يعتقد أن الأخلاق ليس إلاّ (سلطة) المائدة، ولا يهم كثيراً إذا فقدت ما دام العمل ذاته موجوداً.

لا يدرك هؤلاء ان الأخلاق والمناقب هي هدف بعثة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) ذلك ان عبادة الله يجب ان تؤدي بشكل طبيعي إلى الأخلاق الحسنة في المجتمع، وهناك الكثير من الأحاديث تربط بين الإيمان بالله وبين حسن الأخلاق، وأن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وليحسن علاقته بجيرانه ، وأن العبد ليبلغ بحسن الأخلاق درجة الصائم القائم، وأن حسن الأخلاق من أفضل ما يوضع في الميزان يوم القيامة، دل ان من ساء خلقه ليدخل النار بهذا السبب.

(فقد قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): إن فلانة تصوم النهار ولكنها سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، قال (صلى الله عليه وآله): لا خير فيها هي من أهل النار)

ولقد علم الأئمة (عليهم السلام) وجود هذه الحالة لدى بعض أتباعهم، حيث أن هؤلاء يرون أنفسهم متحملين لعمل كبير ومهم، وهو باب من أبواب الجنة، ويحسبون انهم قد جزوا مقاعدهم هناك!! فينسون أو يتغافلون عن هذه القواعد الأخلاقية، لهذا شدد الأئمة (عليهم السلام) النكير على هؤلاء النفر، و أكدوا في كثير من الروايات على ان هؤلاء ليسوا من أتباعهم ولا من شيعتهم.

فعن الباقر (عليه السلام) قال:

---

99 / نظر الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى الكعبة المشرفة وقال: (ما اعظم حقك يا كعبة والله ان حق المؤمن لأعظم من حقك) البحار ٧١/٢٢٧.

" ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون إلاّ بالتواضع والتخشع و أداء الأمانة وكثرة ذكر الله "

وعن الصادق (عليه السلام):

" يا شيعة آل محمد.. إنه ليس منا من لم يملك نفسه عن الغضب و لم يحسن صحبة من صحبه ومرافقه من رافقه، ومصالحة من صالحه ومخالفة من خالفه "

والملاحظ في هذا الحديث، أنه ينفي عن أهل البيت من لم يملك الصفات الأخلاقية الحسنة، و لم يحسن حتى مخالفة من خالفه ، أي ان الخلاف يحتاج إلى حسن في إدارته.. والى طريقة خاصة.

وعنه أيضاً (عليه السلام) قال:

" ان أصحابي أولو النهى والتقى، فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من أصحابي "

وعندما يتحدث المعصومون (عليهم السلام) عن الأخلاقيات التي تعتبر في أذهان البعض كماليات العمل، ولوقت الفراغ، وصفاء الذهن، يتحدثون عنها وكأنها مقاييس للانتماء إلى خط الرسالة.

(فقد جاء رجل إلى الإمام الباقر (عليه السلام) وقال له: جعلت فداك ان الشيعة عندنا كثيرون:

فقال له: هل يعطف الغني على الفقير؟ ويتجاوز المحسن عن المسيء ؟! ويتواسون ؟

فقال الرجل: لا.

فقال (عليه السلام): ليس هؤلاء الشيعة، الشيعة من يفعل هكذا)[100] .

العامل الثاني: الفهم الخاطئ للثورية .

عظمة الإسلام انه يربي المؤمن في أبعاد مختلفة، وأحياناً متباينة ظاهرياً، ولكن ملاكها الأساسي ان يملك المؤمن نفسه ويسيطر عليها فيقودها، لا ان يصبح عبداً لها فهو من جهة (إرهابي) ضد الباطل، عنيف في معركة الطغيان، حاد كالشفرة، قاطع كالسيف، يترل كالصاعقة على رؤوس الظالمين.. وهو نفسه دليل على المؤمنين، متواضع لهم، لين الجانب كملمس الوردة، وكصفاء الندى، دائم البسمة، واسع الصدر، شديد المعونة، رقيق الحنان، مشبع العاطفة، هذا كله بالنسبة لإخوانه.

انه يقتدي بتلميذ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في أخلاقه، بعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي يذبح ألفاً في ليلة الهرير في صفين من البغاة والمنحرفين، ولكنه رؤوف بالمؤمنين، يبكي لبكاء الأطفال، يكون بين المؤمنين ولهذا حين يفقده أصحابه، يصبح مأتمه في قلوبهم قبل ان يكون في البيوت.

يصفه أحد أصحابه وهو ضرار فيقول مؤنباً إياه:

(كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل العبرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته، يعظم أهل الدين ويعطف على المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله)

---

100 / ميزان الحكمة ج٥.

وعندما يسأله معاوية عن مقدار حزنه على أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

(والله حزن من ذبح طفلها في حجرها)

ان الفهم الخاطيء للثورية، يجعل المرء ينظر بعين واحدة، فتراه دائم العنف سريع الغضب، شديد التقطيب، إن العمل في تصوره يحتاج إلى ذلك. والإنسان الثوري ينبغي ان يكون جاداً هكذا!! بل لقد اقترنت الثورية في أذهان هؤلاء بالخشونة والعنف والبعد عن الأخلاق فالقائد لا يمكن ان يكون كذلك إلاّ إذا كان شرس الأخلاق!! وهكذا الحزم لا يأتي إلاّ عبر العنف مع الأصحاب..

كل شيء في موقعه صحيح، في ساحات الخشونة ينبغي ان يكون المؤمن قطعة فولاذ، ولكنه في موقع العلاقة مع المؤمنين ألطف من زهرة.

المعصومون والتربية الأخلاقية:

لا نستطيع استقصاء الأحاديث والوصايا الأخلاقية لكثرتها وضيق المجال، إلاّ اننا بنظرة سريعة سوف نجد ان المعصومين (عليهم السلام) قد ركزوا في بناء أصحابهم على الجانب الأخلاقي وأولوه عناية هامة.

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يبدأ بنفسه الشريفة إذ كان دائم الدعاء والإلحاح على الله سبحانه أن يزينه بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، مع ما كان عليه (صلى الله عليه وآله) من أخلاق عالية حتى قال الله سبحانه فيه: " وانك لعلى خلق عظيم" وكان من دعائه في افتتاح الصلاة: (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت، واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلاّ أنت) [١٠١].

ثم حين يوصي حوارييه بوصاياه، يؤكد على ضرورة التمسك بالفضائل والمناقب الأخلاقية. فهو في وصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

" يا علي: أوصيك بوصية فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي، يا علي: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً يجد طعمه، يا علي: من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار، يا علي: شر الناس من أكرمه الناس اتقاه شره، يا علي: شر الناس من باع آخرته بدنياه وشر من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره، يا علي: ينبغي ان يكون في المؤمن ثمان خصال: وقار عند الهزائز، وصبر عند البلاء، وشكر عند الرخاء، وقنوع بما رزقه الله عز وجل، ولا يظلم الأعداء ولا يتحامل على الأصدقاء، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة.

يا علي: لا تمزح فيذهب بهاؤك ولا تكذب فيذهب نورك وإياك وخصلتين الضجرة والكسل فانك ان ضجرت لم تصبر على حق وان كسلت لم تؤد حقاً. يا علي: ثلاثة من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم عمن جهل عليك، يا علي: بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، يا علي: سر سنيتن بر والديك، سر سنة صل رحمك، سر ميلاً عد مريضاً، سر ميلين شيع جنازة، سر ثلاثة أميال اجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخاً في الله، سر خمسة أميال أغث الملهوف، سر ستة أميال انصر المظلوم، وعليك بالاستغفار.

---

101 / المحجة البيضاء ٥/ ٩٢

يا علي: من تعلم علما ليباري به السفهاء او يجادل به العلماء أو ليدعو الناس إلى نفسه فهو من أهل النار. "
وهناك وصايا أخرى له صلوات الله عليه، أوصى بها عليا (عليه السلام) يمكن مراجعتها في كتاب الروضة من البحار ج ٧٤.
وفي وصيته (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر الغفاري يقول:
" يا أبا ذر: الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من الشر، يا أبا ذر: اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك، يا أبا ذر: كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع.
يا أبا ذر: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان، يا أبا ذر: لا تكن عياباً ولا مداحاً ولا طعاناً ولا ممارياً، يا أبا ذر: الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة.
يا أبا ذر: إياك والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا.. قال (أبو ذر): يا رسول الله و لم ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال: لأن الرجل يزني ويتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها.
يا أبا ذر: لا يدخل الجنة قتّات، قلت: وما القتات ؟ قال: النمام.
يا أبا ذر: إياك وهجران أخيك فان العمل لا يتقبل مع الهجران. يا أبا ذر: من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار، يا أبا ذر: انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فانه اجدر ان لا تزدري نعمة الله عليك)
وهكذا حين يوصي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحسن (عليه السلام).
" يا بني: أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر وبالعدل على الصديق والعدو وبالعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء.
أي بني: ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

وأعلم أي بني: انه من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن تعرى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسدي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابد الأمور عطب ومن اقتحم الغمرات غرق، ومن اعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر علىالناس ذل، ومن خالط العلماء وقر، ومن خالط الأنذال حقر، ومن سفه على الناس شتم، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطأه، ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار...
يا بني: من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه ومن تفكر اعتبر ومن اعتبر اعتزل ومن اعتزل سلم. ومن ترك الشهوات كان حراً ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.
أي بني: عز المؤمن غناه عن الناس والقناعة مال لا ينفذ ومن أكثر ذكر الموت رضي باليسير، ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه إلاّ فيما ينفعه.
أي بني: الفكرة تورث نوراً والغفلة ظلمة والجدال ضلالة، والسعيد من وعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن

الخلق خير قرين، ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى، أي بني: رأس العلم الرفق وآفته الخرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب والعفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى، كثرة الزيارة توجب الملالة، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم و إعجاب المرأ بنفسه يدل على ضعف عقله "[١٠٢] ..

ولو تتبعنا حياة الأئمة (عليهم السلام) لوجدنا إمام لكل وصية لمن يخلفه تحتوي على مضامين أخلاقية رفيعة.

وفي وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لعمرو بن سعيد بن جلال، فقد قال:

(قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اني لا أكاد ألقاك إلاّ في السنين فأوصني بشيء آخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والورع والاجتهاد، وأعلم انه لا ينفع اجتهاد لا ورع معه وإياك ان تطمح إلى من فوقك، وكفى بما قال الله عز وجل لرسوله: (فلا تعجبك اموالهم ولا أولادهم)، وقال الله عز وجل لرسوله (صلى الله عليه وآله): (لاّ تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) فان خفت شيئا من ذلك فاذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده وان أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه وآله) فان الخلق لم يصابوا بمثله)[١٠٣] .

أثر التربية الأخلاقية:

للتربية الأخلاقية أثر حاسم في العمل الرسالي نجاحاً وفشلاً، ومن الضروري بالنسبة للحركات الإسلامية ان تعتمد هذا الجانب كأصل من أصول التربية لا ينقضي بمدة معينة، بل يبقى العاملون ضمن إطاره ليصلوا إلى درجات عالية في سلم التكامل البشري.

ولقد بين أهل البيت (عليهم السلام) لنا أهمية هذا الجانب إذ انه:

هدف الرسالة السماوية:

تسعى حركة الأنبياء (عليهم السلام) ودعوتهم إلى تكميل البشر عبر تعليمهم مكارم الأخلاق، وتربيتهم على أصولها. وبالتالي فهي تحاول صياغة شخصية الإنسان من جديد، بانتزاعه من تأثيرات المجتمع الفاسد، وعاداته الخلقية السيئة، وانه لهدف عظيم وصعب.. ذلك انه من السهل ان يؤمن المرء بأفكار معينة تخالف أفكاره السابقة، ولكن من الصعب ان يشكل حياته من جديد، سلوكاً وممارسة ونمطاً متميزاً في الأخلاق.

ولأهمية هذا الهدف وصعوبته بعث الأنبياء (عليهم السلام) لأجل ان يكملوا مكارم الأخلاق وكما يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ". ووجدنا هذه المناقب والفضائل تتجسد أولا في أصحاب الرسالات (عليهم السلام).

وحين ننظر إلى الأحاديث والوصايا الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) نجد الترابط الوثيق بين الإيمان بالله وبين الالتزام بالأخلاق العالية:

- " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"
- " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره "
- " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت "

---

[102] / تحف العقول

[103] / فروع الكافي ٨/ ١٦٨

– (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً "[١٠٤]

ضرورة للنجاح:

هناك عدد كبير من الأحاديث تبين أن الالتزام بمكارم الأخلاق يساوي النجاح في العمل، فسعة الصدر ضرورة ملحة للإدارة والقيادة إذ ان (آلة الرياسة سعة الصدر)، والتجاوز عن خطأ الآخرين يجعل المرء محبوباً بين الناس.. وهكذا.... أمير المؤمنين (عليه السلام) يوضح هذه الفكرة بحديث رائع يقول فيه:

" لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً، ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاح" .

فكيف إذا كان وراءها الجنة والثواب العظيم ؟!

ولنترك الأحاديث تتحدث مبينة الآثار الواقعية والخارجية التي تنتج عن حسن الخلق، والتربية الأخلاقية، متجنبين شرح هذه الأحاديث:

– كسب المجتمع:

" من حسن خلقه كثر محبوه و أنست النفوس به "

" حسن الخلق يثبت المودة "

– زيادة ا لرزق:

" حسن الخلق يدر الأرزاق ويؤنس الرفاق "

" في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق "

" حسن الخلق يزيد في الرزق "

– طريق لثواب الله:

– (جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله "

– " إن حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وان سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل "

– " حسّن خلقك يخفف الله عذابك "

– " ما حسن الله خلق امرءٍ وخلقه فيطعمه النار "

– " ان الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح "

نماذج من المفردات الأخلاقية:

الورع:

عنوان المؤمن المجاهد، وهوية القائد الرسالي. ولا فرق إطلاقاً بين غير المؤمن، والمؤمن غير المتورع– إن صدقت تسميته– إذ ان الأثر السلوكي الذي ينعكس فيه الإيمان بالله يتلخص في الورع، ومع عدم الورع. الذي

---

104 / المحجة البيضاء ١٢١/٥ .

هو ترك الشبهات والتوقي من الوقوع فيها، تفقد أعمال المؤمن قيمتها وهدفها، فترى الجهاد يفقد قيمته حين يكون مرافقاً للسرقة والتجني والتعدي، والأعمال الخيرية الاجتماعية تتعرى عن هدفها حين يكون القائم بها غير ورع.

ومع كثرة الأعمال وتزاحمها، واضطرار القائد للحكم في كل صغيرة وكبيرة، تبدو أهمية التورع وتتضح بشكل أكبر ذلك أنه مع هجمة الأعمال وكثرة التفاصيل، يتصور البعض أنه مضطر للاستجابة لضغط الإنجاز الذي يرافقه أحياناً ضغط أصحاب هذه الأعمال، يتصور البعض انه مضطر لإنجاز العمل وقد يتخطى بعض العقبات والحواجز الشرعية.. والشيطان هنا يزين له سوء عمله فيراه حسناً، لقول له: المهم نتيجة العمل. والهدف منه، خصوصاً أن الله غفور رحيم، وبالتالي فهو يتجاوز عن هذه الأخطاء البسيطة، وإذا قارن هذه التجاوزات للحدود والمقتضيات الشرعية بالخير المترتب على إنجاز العمل فإن هذه الحدود الشرعية تسقط لصالح الأهداف الكبيرة؟! وهذا الأمر نظير ما صنعه أحد المجانبين للورع في عهد الإمام الصادق (ع) إذ أنه (ع) رأى رجلاً ذهب إلى دكان يبيع الخبز، فسرق منه رغيفين وسار في طريقه فلقي فقيرين وتصدق عليهما بالرغيفين، فتعجب منه الإمام (ع) وذهب لسؤاله عن هذا العمل غير الجائز، فقال ذلك الرجل مستنكراً: أنت الذي تزعم الرافضة عملك وفقهك؟! وأنت لا تحسن أبسط المسائل كالتي دخلت فيها؟! قال الإمام (ع) وكيف؟! قال: أنا أخذت قرصي خبز من الخباز فهذه سيئتان ثم ذهبت وتصدقت بهما على فقيرين وتلك عشرون حسنة إذ أن السيئة بواحدة، والحسنة بعشر، وإذا جعلنا سيئتي في مقابل حسنتين فيبقى لدينا ثمانية عشر حسنة.. فضحك الإمام من قوله وعقله وأفهمه أن الله (إنما يتقبل من المتقين)، وأنه لا يطاع الله من حيث يعصى.

ومن أجل هذا، حيث أن قلة الورع أحد مداخل الشيطان لنفس المجاهد أو القائد نجد أهل البيت (عليهم السلام) أكدوا على أساسية الورع، وأولويته على أصل العمل، فلا يكفي الاجتهاد في العمل والمسارعة إلى المشاريع دون أن يحكم ذلك ورع يحجز صاحبه عن التردي في مهاوي الشبهات، ثم المحرمات.

فعن زيد الشهيد عن أبيه السجاد (ع) قال: (الورع نظام العبادة فإذا انقطع الورع ذهبت الديانة) وتشبيه الورع بالنظام. والنظام هو خيط المسبحة الذي يجمع شمل حباتها وينظمها، مانعاً إياها من التفرق والاندثار، فالورع حسب كلام الإمام السجاد (عليه السلام) هو النظام الذي يجمع شمل الديانة والعبادة.

ويأتي هذا الحديث تأكيداً لما قاله أمير المؤمنين (ع) حين سئل. ما ثبات الإيمان قال: الورع [١٠٥]. وحين يطلب عمرو بن سعيد الثقفي وصية من قائده الإمام الصادق (ع) وهو عازم على الرحيل نجده يوصيه بالورع ويوضح له قيمومة وهيمنة الورع على أصل العمل والاجتهاد في العمل دون ورع لا ينفع التحرك بشيء.. عمرو بن سعيد الثقفي قال.. قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اني لا ألقاك إلاّ في السنين فاخبرني بشيء آخذ به فقال له: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، وأعلم انه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه) .

ويرى الإمام الصادق (ع) أن المنتمين إلى خط أهل البيت وقادة المجتمع الرسالي هم المطالبون قبل غيرهم بمستويات متقدمة من الورع لكي تقوم الجماهير بإقتفاء سبيلهم فيقول (ان أحق الناس بالورع آل محمد وشيعتهم كي تقتدي الرعية بهم) .

---

105 / سفينة البحار ٢/ ٦٤٣.

والورع من الدرجات العالية في التقوى، ولذلك لا ينبغي التساهل من قبل العاملين فيه، مهما صغر مصداقه، فقد يكون الموضوع دريهمات قليلة- لا قيمة مادية كبيرة. لها- إلاّ أن الأمانة فيها والمحافظة عليها تنبع من حالة الورع التي ينبغي أن تكون حاكمة لحياة العامل المؤمن.

وكلما علت مرتبة هذا العامل طولب بالورع، والتوقي عن الشبهة- فضلاً عن الحرام- أكثر من غيره، وذلك لما يمثل من موقع اعتباري قد يضفي شرعية على بعض الأعمال، فإذا كانت هذه الأعمال خاطئة وغير شرعية فسائر الناس أسرع اليهما، ولقد أثر عن كثير من الأئمة (عليهم السلام) قولهم لأصحابه: (الحسن من كل أحد حسن ومنك أحسن، والقبيح من كل أحد قبيح ومنك أقبح لمكانك منا أهل البيت).

ولا يتصور أحد أن الالتزام بالحدود الشرعية بشكل حرفي يمنعه عن إنجاز أعماله الإسلامية، وذلك أنه أولاً: كلما عظمت تقوى المرء وزاد تورعه كلما زاد سير الله له، وكلما زاد تذليل المشاكل عن طريقه ذلك أنه (ومن يتق إلاّ يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب). والى هذا يشير أمير المؤمنين عليه السلام عن ورع أبا ذر الغفاري قبيل نفيه إلى الربذة حين قال له: (يا أبا ذر ول أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجاً).

وثانيا: لأن هدف العاملين، وكل تضحياتهم إنما هي من أجل تحكيم القيم الإلهية، وأخلاق الإسلام في المجتمع، وإذا كان الطريق إلى ذلك، والعاملين فيه على غير هذه القيم والأخلاق فهل يتوقع منهم تربية المجتمع عليها، وهل (فاقد الشيء يعطيه) قبل أن يلتفت إلى شعاراتهم وكلماتهم.

وثالثا: وعلى كل حال فإن (الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة)، وإذا كان العمل يحتمل فيه التعرض للشبهات، وبالتالي اقتحام الهلكات فمن الأفضل- عند عدم التمكن من ترك الشبهات واجتنابها- من الأفضل والحال هذه التوقف عن هذا العمل المرافق للشبهات والمشاكل الدينية.

بالطبع لا يعني هذا ان يتحول المرء إلى شكاك، يوسوس الشيطان في صدره دائماً، ويحدث في نفسه حواجز عالية من الريب والتردد قبل أن يقدم على أي عمل خير، ومشروع إسلامي. ذلك أن الشيطان يستفيد أحياناً من هذه الثغرة أكثر مما يستفيد من أي ثغرة أخرى، فيوقف الإنسان المؤمن ويجعله سجين الكسل والجبن وانعدام المسؤولية بدعوى (الاحتياط الشرير) وضرورة التثبت وما شابه ذلك. ذلك الأمر الذي حصل مع الحسن البصري الذي رفض الخروج مع أمير المؤمنين عليه السلام لقتال الباغين عليه، فقد كان وسواسياً حول (شرعية) القتال مع أمير المؤمنين.. فقد روي أن الإمام بعد عودته من حرب الجمل مر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال له: يا حسن أسبغ الوضوء.

فقال له الحسن البصري: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون الشهادتين ويصلون الخمس ويسبغون الوضوء!!

فقال له أمير المؤمنين: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟!

قال: لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصببت علي سلاحي وأنا لا أشك ان التخلف عن أم المؤمنين هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة (موضع قرب البصرة) نادى منادٍ يا حسن: ارجع فإن القاتل والمقتول في النار فرجعت ذعرا وكذلك في اليوم الثاني.

فقال أمير المؤمنين: صدقت أفتدري من ذاك المنادي؟! قال: لا فقال له الإمام: ذاك أخوك ابليس وصدقك أن

القاتل والمقتول منهم في النار [١٠٦].

سعة الصدر:

خلق ما أحوج العاملين إليه، خصوصا الطلائع منهم. وما أصعبه وما أصعب شروطه!

ذلك أن الاجتهادات في المسائل السياسية تتعدد، وبقدر تعددها تتعدد الجماعات والتيارات التي تنتمي إليها، والبعض من الناس يريح نفسه عندما يبدأ تصنيف هذه الفئات على أساس جيد و سيء، مؤمن وكافر، إلاّ أن القضية ليست بهذه السهولة خصوصاً عندما ترتبط بفئات إسلامية أخرى عاملة في الساحة، ولا سبيل إلى إنكار وجودها مع اختلافها في التنظير للعمل السياسي أو في الممارسة.

وقد يغفر للشاب المبتدى المتحمس ضيق صدره ومحدودية أفقه، وعدم قدرته على جمع ما يتصور أنه نقائض بادئ الرأي- إلاّ أن هذا ما لا يغفر إطلاقاً للطليعي أو القائد، لأن موقع هذا الشخص الاعتباري يجعله قدوة للآخرين ولأنه أيضا يستطيع اتخاذ قرار يؤثر على مجاميع من أتباعه.

ومع الأسف فإن ساحتنا الإسلامية لا تخلو من هذه النماذج وهذه الأخلاق، فبسبب من عدم حراجة صدره، وضيق محيره تفكيره مسؤول أو قائد ما بشطب جهة كاملة، أو تيار أصيل يؤثر في قطاعات واسعة من أبناء الأمة، يقوم بذلك لا لشيء، إلاّ لأن هذه الجهة أو التيار لا يتبنى طريقة ذلك المسؤول في العمل، ويتبع قيادة غير قيادته هو!!

و هلمّ احسب الخسائر التي لا يدركها ذلك القائد حين إصداره قرار الشطب والحذف لهذه الجهة، خصوصاً وهو في عنفوان الحالة الحزبية أو الحركية وربما الشخصية التي تتملكه آنئذ وتسيطر عليه.

ولو كان في ساحتنا الإسلامية مقدار أكبر مما هو موجود من سعة الصدر، القدرة على الاجتماع مع الآخرين لكان وضع الأمة اليوم أفضل بكثير مما هو عليه، ومما يجعل الوضع مؤسياً ومؤسفاً أكثر هو أن العدو المستعمر رغم ما بينه من فوارق واختلافات إلاّ أن فئاته لا تتوانى عن إيجاد محاور يجتمعون عليها، وينسقون فيما بينهم متناسين في غمرة التنسيق كل الخلافات الأخرى التي ربما تكون أساسية، بينما- وهذا مما يؤسف له- تجد أن الواحد منا لا يستطيع أن يجد نفسه في ساحة، يكون معه فيها شريك أو عامل غيره إذ هو (ربكم الأعلى) وهو الأفضل والأحسن، وهو وحده الذي يسير على خط الإسلام والثورة. ومن عداه ليسوا إلاّ مجموعة من الرجعيين أو في أحسن الفروض عملاء لأمريكا وللصهيونية والعمل لاجتثاث هؤلاء وقلعهم من الوجود الاجتماعي هو أكثر لزوما وإلحاحاً من البدء بمواجهة إسرائيل و.. و.. إلى آخر قائمة التهم التي ما أنزل الله بها من سلطان. ويفضل هذا الشخص أو التيار ضيق الأفق تبقى قطاعات من المجتمع جاهلة بأحكام الإسلام الأساسية على أن تعي القضايا التفصيلية الدينية على يد هذا الفريق الذي يخالفه في الخط السياسي أو الرمز القيادي ولذا يحدث أحياناً أن يبدأ من تهديم ما بناه غيره من التيارات الإسلامية قبل أن يبدأ في عمران مناطق جديدة!! ويتزاحم هذا التيار وذاك، واتباع هذا القائد وذاك على مترين من الأرض، ويتصارعان فيها صراعاً يفتقد الهدف والورع، قبل أن يفكرا في الذهاب إلى مناطق جديدة، والسبب أن أحدهما لا يهنأ له نوم ولا يروق له يقظة والطرف الآخر يعمل في هذه المنطقة.. وهذا مع كل الأسف وضع ساحتنا الإسلامية في كثير من المناطق، ونسأل الله أن يمن على

---

[106] / سفينة البحار ١/ ٢٦٢

قادتنا والعاملين بمزيد من سعة الصدر ليتغير الحال إلى أحسن.

إننا لو نظرنا إلى أخلاق أهل البيت عليهم السلام في المجتمع لرأينا أنهم كانوا في القمة، وأنهم استطاعوا استقطاب جميع فئات المجتمع وما ذاك إلاّ لسعة أفقهم، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله رغم ما عمله أبو سفيان في حق المسلمين ورسالة الإسلام من جرائم. إلاّ أنه عندما أظهر إسلامه قبله الرسول و (جامله) أيضاً بأن جعل داره دار أمن لمن لجأ إليها عندما فتح مكة حاضرة المشركين. ومع أنه صلوات الله عليه كان يعلم حال أصحابه وفيهم الكثير من المنحرفين عن النهج السليم، وفيهم المنافقون كما أشار القرآن من

كان يشكك في عدالة رسول الله (ص) وفي نزاهته، إلاّ أنه بكثير صبره وواسع صدره استطاع أن يدفع عجلة الإسلام إلى الأمام باستمرار. وسار أبناؤه وخلفاؤه على هدية ونهجه، فالتاريخ يحدثنا عن مواقف أخلاقية من قبل أهل البيت عليهم السلام، وتحملهم من مخالفهم ما كان يعجز عن غيرهم حتى لقد باتت كلمة (الله أعلم حيث يجعل رسالته) هي الكلمة المعتادة التي كان ينتهي بها كل فصل من فصول إيذاء الجاهلين للأئمة معترفين بفضلهم.

وسعة الصدر تحتاج إلى الكثير من التواضع والتخلي عن (ضمير المتكلم)، وإلى الكثير من تجاوز الحالات النرجسية في الإعجاب الشديد بالذات أو الجماعة أو العمل.. أو على الأقل اجتناب الاستخفاف بالآخرين والاستهانة بعملهم، واجتناب مصادرة أعمالهم بكلمة واحدة. كما يحدث أحياناً إذ يسهل على البعض أن يلغي- أو يتصور ذلك- جماعة بكلمة واحدة.. (غير شرعيين)! إن المتكبر الذي (لا يرى شيئاً من الحق فيما أنكره) ولا يرى العلم إلاّ لديه، والشرعية إلاّ من عنده، والخطة الصائبة إلاّ بين يديه، ويرى كل الموجودات الأخرى غير سلمية وفاقدة المبرر.. هذا الشخص لا يمكن أن يكون إلاّ ضيق الصدر محدود الأفق. لننظر إلى رسول الله (ص) وهو سيد الأولين والآخرين. وإلى تواضعه حتى مع مخالفيه حين يدعوهم إلى الله يقول: (قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) [١٠٧] وفي الوقت الذي نجد البعض من الناس حين يحفظ بضع كلمات من العلم يشمخ بأنفه عالياً يناطح به السحاب، فيريد إلغاء ما سبق ومن سبق نجد الإمام الباقر (ع) يتواضع فلا ينسب نفسه إلى العلم والعلماء عندما سأله أحد علماء النصارى - منا أم من الأمة المرحومة؟ فقال الإمام: بل من الأمة المرحومة.

فقال له النصراني:

- من علمائهم أم من جهالهم؟!
- فقال الإمام: لست من جهالهم. و لم يقل إني من علمائهم.

وسعة الصدر تحتاج أيضاً إلى عقل واعٍ يستطيع أن يرى الأمور الجامعة والمشتركة بين الفئات فيقدم بالتركيز عليها، ويتعاون مع هذه الفئات على أساس تلك المشتركات قبل ان يبحث في مسائل الخلاف ونقاط الافتراق، فأنت تجد منهج أهل البيت (عليهم السلام) وسيرتهم على هذا النحو، فبالرغم من ملاحظات الأئمة (عليهم السلام) على شرعية الحكومات السائدة آنئذ، إلاّ أنهم حين يجدون خطراً يهدد الوجود الإسلامي فإنهم كانوا ينبعثون لدرء هذا الخطر، مثال ذلك كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) للخليفة الثاني ونصيحته إياه بالامتناع

---

107 / سبأ/ ٢٤.

عن الخروج إلى قتال الفرس بنفسه والاكتفاء ببعث الجيش، ومثاله تخطيط الإمام الباقر (عليه السلام) لطريقة سك النقود في عهد عبد الملك بن مروان عندما هدده الروم بأنهم سوف ينقشون عليها شتم رسول الله (ص) و لم يكن لدى الخليفة طريقة للنجاة فأنقذهم الإمام رغم ما لا يخفى من نظر الأئمة بالنسبة لهذه الحكومات.

تحتاج سعة الصدر أيضاً إلى الإيمان بأن للآخرين فرصة من الحرية السياسية والدينية، وتبني ما يرونه من الأفكار بنفس النسبة التي يملكها

الشخص نفسه- خصوصاً المتنفذ والقائد- ما لم يمارس الآخرون مخالفات واضحة تخرجهم عن مساحة الحرية المذكورة. وأنه لا يمكن أن يجتمع الناس كلهم على رأي واحد في قضية، وأن الله سبحانه وتعالى الذي جعل حتى أمر الإيمان به يخضع لقانون الحرية، فما أحد يجبر على الإيمان إذ (إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر) لم يجعل الله لأحد من خلقه إجبار أحد آخر على اتباع منهج ما.. تحتاج سعة الصدر إلى هذا المقدار من الإيمان ولذلك وجدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يهتم كثيراً لأن فرداً من الناس لم تعجبه قيادة أمير المؤمنين فهرب منه أو شتمه، إذ يحدثنا التاريخ أن رجلاً ممن يرى رأي الخوارج سب أمير المؤمنين، فقام عدد من الأصحاب إليه يتناولوه- كعادة الكثير من الأتباع- فأمرهم الإمام بالجلوس قائلاً: إنما هو سبّ بسب أو عفو عن ذنب. وحين يرفع إليه بعضهم خبراً عن شخص هرب و لم يبايع، ويستأمرونه في القبض عليه وجلبه مخفوراً، يقول لهم: لا ما لم يحدث حدثاً. (أي ما لم يدخل في مؤامرة).

– قلة النوم:

يتصور البعض أن هذا الأمر يدخل ضمن الشؤون الشخصية للإنسان، إذ أن كل إنسان ينبغي أن ينام حسب حاجته إلى النوم، وهي تختلف من شخص لأخر، فبينما يكتفي أحدهم بخمس ساعات في اليوم، لا يرتاح آخر إلاّ مع ثمان ساعات أو أكثر.

إلاّ أن الصحيح غير ذلك فالجسم يعتاد ما عودته عليه، فإن اعتاد كثرة النوم تعود عليه، والعكس، وبالنسبة للرساليين والعاملين في سبيل الله ينبغي أن يتعودوا على قلة النوم لكي يوفروا الباقي لعبادة ربهم وللاجتهاد في أعمالهم، زيادة ساعة واحدة في النوم تعني ذهاب عمر طويل.. فلو حسب الإنسان ساعات نومه في كل حياته (٧٠) سنة مثلاً، البعض يبقى نائماً من هذه السبعين لمدة (١٧) سنة تقريبا إن كان ينام (٦) ساعات، والبعض ينام من هذه السبعين عاماً أربعين عاماً!! وتصور ضخامة الرقم.. أربعون سنة نوم إ!

ولهذا شدد أهل البيت (عليهم السلام) على كوادرهم واتباعهم، وبمختلف الوسائل والأساليب، حول ضرورة تقليل فترة النوم، لأنه يفقر المرء من العمل الصالح يوم يحتاج إليه:

– الرسول (صلى الله عليه وآله):

" إياكم وكثرة النوم فان كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة "

– الإمام علي (عليه السلام):

"بئس الغريم النوم يفني قصير العمر ويفوت كثير الأجر "

من كثر في ليله نومه فاته من العمر ما لا يستدركه في يومه "

" ما أنقض النوم العزائم اليوم "

– الإمام الصادق (عليه السلام) لعبدالله بن جندب:

" يا بن جندب أقل النوم بالليل والكلام بالنهار فما في الجسد شيء أقل شكراً من العين واللسان فان أم سليمان قالت لسليمان (عليه السلام): يا بني إياك والنوم فانه يفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم " .

" كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا "

- الإمام الكاظم (عليه السلام):

" ان الله يبغض العبد النوام الفارغ "[١٠٨]

المحاسبة الدقيقة:

مشكلة الإنسان في الحياة الاسترسال. ولذلك يبقى كثير من الناس في مواقعهم في الحياة دونما تقدم، أو تغير.

وطبيعة النفس البشرية أنها عندما تحس بالمراقبة والمتابعة تعمل أفضل مما لو تركت كما تشاء، ولذلك عرّف الله الإنسان وبين له انه مراقب، بواسطة الملائكة الكرام الكاتبين وانه ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد، وأن الله سبحانه وتعالى من وراء هؤلاء (وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم) كما في دعاء كميل.

إضافة إلى ذلك، وجه الله سبحانه الإنسان، نفسه، لكي يكون رقيباً على أعماله، وشاهدا على أفعاله ليختار لها الصالح، ودعاه ليراقب عمله، ويفكر في مسيرة حياته باستمرار فرب فكرة غيرت مسيرة، ورب وقفة محاسبة مع الذات غيرت منهجاً في الحياة.. ذاك ما حصل " للحر بن يزيد الرياحي "، القائد العسكري لطليعة جيش الأمويين عندما وقف تلك الوقفة الرائعة، وبدأ يحاسب نفسه، مفكراً في عمله، ومستعرضاً عموم مسيرته اهتز كيانه حتى رآه أحد المقاتلين فقال له: ما بك يا حر فو الله لو سئلت من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، قال: اني أخير نفسي بين الجنة والنار ووالله لا اختار على الجنة شيئا أبداً، ثم وكز فرسه وجاء إلى معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) وقاتل حتى استشهد.

موقف واحد مع الذات، ومحاسبة صريحة، مسحت عار السنين السابقة وغبارها وأدخلت الحر في عالم الخالدين.

وكثير غير الحر فعلوا ذلك.. انهم يقطعون شريط الاسترسال بسكين المحاسبة، ويعودون لاستعراض مجمل حياتهم، مما يؤدي بهم إلى طرق الفلاح والصلاح.

هذا على صعيد الإنسان نفسه، وعلى صعيد التجمع والحركة العاملة فان المحاسبة الدائمة والمراقبة للعمل تجعل من السهل رصد الأخطاء، قبل ان يستفحل الداء، وتجعل الجميع في حالة بحث طبيعي عن الأسلوب الأفضل والطريق الأجود لأداء العمل الرسالي .

ووقاية من الاسترسال، واتباع الهوى وجه أهل البيت (عليهم السلام) إلى ضرورة المحاسبة للنفس، بل عدوها من الصفات الأساسية للمؤمن وأنه ليس منهم ولا من اتباعهم ولا يتبع منهجهم من لم يحاسب نفسه كل يوم.

- الرسول (صلى الله عليه وآله):

" أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وأحمق الحمقاء من اتبع هواه وتمنى على الله

---

108 / ميزان الحكمة ١٠/ ٢٦٠.

الأماني " .

- الرسول (صلى الله عليه وآله):

" حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر"

- الإمام علي (عليه السلام):

" ما أحق الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل، يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها "

- الإمام الكاظم (عليه السلام):

" ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل خيراً استزاد منه وحمد الله عليه وان عمل شراً استغفر الله منه وتاب إليه "

وللمحاسبة ثمار كثيرة منها أنه ينجو من الفشل في الدنيا، والعذاب في الآخرة وأنه يستطيع عبرها إصلاح نفسه. .

- عن الإمام علي (عليه السلام):

" من حاسب نفسه على العيوب وقف على عيوبه و أحاط بذنوبه ومن استقال الذنوب اصلح العيوب"

- عن الإمام علي (عليه السلام):

" ثمرة المحاسبة صلاح النفس" .

" من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر "

تنظيم الحياة:

يترادف معنى الثورية لدى البعض مع مفاهيم اللانظام.

وكلما كان المرء أكثر (فوضى) و (مسكنة) فهو أكثر ثورية!!، حتى لقد أصبح هذا الجانب بدوره ميداناً للتنافس لدى البعض لإظهار مدى ثوريتهم!! واصبح الثوري بهذا المفهوم جسماً غريباً غاية الغرابة في المجتمع.

وإذا كان التصوف وسيلة البعض لخداع الناس وايهامهم بايمان هؤلاء المتصوفة، فهم يرتزقون بمظاهر الدين، فان الثورية بهذا المعنى وسيلة البعض ا لأخر.

يجهل هؤلاء ان كون الإنسان ثورياً يعني بالضرورة أنه يمتلك الصفات الإيجابية الموجودة لدى سائر الناس في المجتمع ويتفوق عليهم بصفات إضافية. وهذا أكثر وضوحاً في الثوري المؤمن الرسالي، وإذا فقد هذه الصفات فانه لا يعود متسماً بهذه السمة.. ان الثوري الرسالي ينبغي ان يكون الأفضل في المجتمع، فكر ثاقب وبصيرة نافذة. ومناقب رائعة، هذا هو عنوانه.

وإذا فقدت هذه الصفات من حياته، فقد ثوريته ورساليته.. ان أهل البيت (عليهم السلام) يصفون شيعتهم وحوارييهم بأنهم المقدمون، الأفاضل، وإلاّ فليسوا شيعة!! فعن الصادق (عليه السلام): قال:

" ليس من شيعتنا من يكون في مصر يكون فيه آلاف ويكون في المصر أورع منه "

وعنه (عليه السلام) قال بعد ان أوصى أصحابه بعدد من الوصايا الأخلاقية:

(.. فان أبي حدثني ان شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم، ان كان فقيه كان منهم، وان كان مؤذن كان منهم، وان كان إمام كان منهم، وان كان صاحب أمانة كان منهم، وان كان صاحب وديعة كان منهم)

ان أهل البيت (عليهم السلام) وهم- دون أدنى شك- أكثر من عرفنا في تاريخ الإسلام ثورية، ورسالية ما كانوا بهذه الصورة، كانوا قد نظموا حياتهم تنظيماً رائعاً، وحاربوا الفوضى في العمل الثوري، كما حاربوا اللاعتدال في التدين والحياة، ممثلاً في بعض الثوريين الذين كانوا يحملهم السيف ولا يحملونه ويحركهم ولا يحركونه، وفي الصوفية.

هكذا نظموا حياتهم في مختلف زواياها.. ولذا وجدنا سطحيي النظرة يأتون مستغربين، مدهوشين: كيف يلبس الإمام (عليه السلام) لباساً جديداً وهو في هذه المنزلة؟! وكيف يعيش حياة " عادية " وهو يقود ثورة ؟! ووجهوا أصحابهم لأن يسيروا على هذا الطريق، هذا كما وضعوا أسس تنظيم الحياة اليومية، رافضين الفوضى فهناك أحاديث كثيرة تبين تقسيم ساعات اليوم حسب المواضيع التي لها أولوية في حياة المؤمن، خصوصاً أن وقت الإنسان لا يتسع لجميع حاجاته فعليه ان يهتم بالقضايا الأساسية وأن يوفق بين العمل والراحة كما عن الإمام علي (عليه السلام):

" إن ليلك ونهارك لا يستوعبان لجميع حاجاتك فاقسمها بين عملك وراحتك " .

- عن الرسول (صلى الله عليه وآله):

" في صحف إبراهيم: على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ان يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه عز وجل، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيما صنع الله عز وجل إليه وساعة يخلو فيها بحظه نفسه من الحلال، فان هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب وترويح لها " .

- وعن الإمام الكاظم (عليه السلام):

" اجهدوا في ان يكون زمانكم أربع ساعات:

ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الأخوان و الثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم "[109] .

وهكذا..

المعصومون (عليهم السلام) يقومون بتربية عناصرهم وكوادرهم على محاسن الأفعال ومكارم الأخلاق، و اننا إذ يضيق بنا المجال هنا نرجع القارئ الكريم إلى التدبر في أحاديث الأئمة (عليهم السلام) في الأجزاء (٦٦) إلى (٧٣) من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي أعلى الله مقامه.

ومسك ختامنا خطبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين، والحواريين الذين يتشرفون باتباعه (عليه السلام).. فعن نوف البكالي قال: عرضت لي حاجة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستتبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خيثم، وابن أخيه همام بن عبادة بن خثيم فاقبلنا إليه فالفيناه حين خرج يؤم المسجد فأفضى ونحن معه إلى نفر متدينين قد افاضوا في الاحدوثات تفكها وهم يلهي بعضهم بعضاً فأسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه فرد التحية ثم قال: من القوم؟! فقالوا: أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم: خيراً مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أوليائنا ؟! فأمسك القوم حياء فأقبل عليه جندب والربيع فقالا: ما سمة شيعتك يا أمير المؤمنين؟! فسكت.

فقال همام- وكان عابداً مجتهداً- أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة

[109] / أكثر أحاديث هذا الفصل أخذت من ميزان الحكمة بأجزائه العشرة فليراجع .

شيعتك؟ فقال: لا تقسم فسأنبئكم جميعاً ووضع يده على منكب همام وقال:

" شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل، الناطقون بالصواب مأكولهم القوت، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، بخعوا الله تعالى بطاعته، وخضعوا له بعبادته، فمضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء، رضوا عن الله تعالى بالقضاء، فلولا الآجال التي كتب الله تعالى لهم لم تستقر أرواحهم في أبدانهم طرفة عين، شوقاً إلى لقاء الله والثواب، وخوفاً من أليم العقاب، عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون، صبروا أياماً قليلة، فأعقبتهم راحة طويلة، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها، أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة، وتارة يفترشون جباههم و أنفسهم وركبهم و أطراف أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يمجدون جباراً عظيماً ويجأرون إليه في فكاك أعناقهم، هذا ليلهم، وأما نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء، براهم خوف باريهم فهم كالقداح تحسبهم مرضى وقد خولطوا وما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربهم، وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا اشتاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون.

يرى لأحدهم قوة في دين، وحزماً في لين وإيماناً في يقين، وحرصاً على علم، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وكسباً في قصد، وقصداً في غنى، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عبادة، ورحمة في مجهود، وإعطاء في حق ورفقاً في كسب، وطلبا في حلال وتعففا في طمع، وطمعاً في غير طبع، ونشاطاً في هدى، واعتصاماً في شهوة، وبراً في استقامة، لا يغرُّه ما جهله، ولا يدع إحصاء ما عمله، يستبطئ نفسه في العمل وهو من صالح عمله على وجل، يصبح وشغله الذّكر ويمسي وهمّه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة.

وان استصعب عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها مما إليه تسرُّ، رغبته فيما يبقى؟ وزهادته فيما يفنى، قد قرن العلم بالعمل والعمل بالحلم، ويظلُّ دائماً نشاطه، بعيداً كسله، قريباً أمله، قليلاً زلله، محرزاً دينه، ميتاً داؤه، كاظماً غيظه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، متيناً صبره، كثيراً ذكره.

لا يعمل شيئا من الخير رياء، ولا يتركه حياء، أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنّا ومعنا، آه وشوقاً إليهم "[١١٠] .

110 / بحار الأنوار ٧٥/ ٧٥.

الفصل الرابع

صور من التربية الرسالية

- للتقدم لا بد من النقد
- العمل المعيشي وقرار الرسالة
- لا . . للاستئكال بالقيادة الشرعية
- عيب الأشخاص والحفاظ على الدور

للتقدم لا بد من النقد:

من أوليات التربية الرسالية ملاحظة الأخطاء وملاحقتها، للقضاء عليها في نفس الفرد.

–وكما أن من الخطأ وضع الفرد في دائرة الاتهام، وقفص المحاكمة دائماً، وغض النظر عن إيجابياته، فان نفس الخطأ يتكرر حين يتعامل مع الفرد بثقة زائدة عن الحد، وحين تحمل أعماله دائماً على الصحة، فتجعل الموجه بالتالي مغمض العينين تجاه هذا الفرد.

ان هذا رغم أنه يتوافق إلى حد مع أحد الأصول الأخلاقية " أحمل عمل أخيك على سبعين محمل " إلاّ أنه يتخالف مع بعض الأصول الأخرى، كالنصيحة له، وإهداء عيوبه إليه، والأمر بالمعروف.. وهكذا.. ولا ينبغي أن يتصور أن ذات الأصول مختلفة ومتناقضة، إذ كل في مجاله، وموقعه مطلوب، والتداخل هو المشكلة.

لا بد من النقد سواء نقد الفرد أو نقد الحركة ككل، نقد التكتيكات أو نقد الخطة، لكي يتحقق التقدم.

لا بد من تقييم الأفراد، سواء من قبل الأشخاص أنفسهم، الذي يتخذ عنوان محاسبة الذات " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا "، أو من قبل الأشخاص الآخرين، والذي يتخذ طابع النصيحة وتحديد الأخطاء والعيوب الموجودة لدى الفرد " أحب أخواني إلي من أهدى إليّ عيوبي ".. والخيار الآخر عن عدم النقد هو المزيد من الأخطاء وتكرار الأخطاء وبالتالي الهزائم. ورغم ان الموقف الطبيعي الذي يتخذه كثير من الناس، وحتى العاملين تجاه النقد والعتاب، عدم القبول به، وعدم الارتياح للشخص الناقد، لتصورهم أن النقد إسقاط للشخصية، وإهانة، بينما هو على العكس تماماً، وأحياناً بسبب الأسلوب غير المناسب أو خلاف التوقع. رغم ذلك إلاّ أنه لا بد من (تعاطي) النقد في صفوف العاملين، رغم كل الاشكالات، لكي يبقى دم العمل صافياً، والعاملون في حالة تجدد، وتقدم.

ان العاملين هم أبناء المجتمع، وقد تربوا فيه لمدة طويلة على أخلاقيات بعضها غير مناسب للعمل، وهذه الأخلاقيات والصفات ما لم تراقب بدقة وتصحح، فهي إضافة إلى كونها تتكرس في ذات الفرد، فتؤثر سلبياً على مستوى إنتاجه، تتحول أيضا إلى منهج في التحرك، إذ أن المرض يعدي، وبتجمع السلبيات واحدة من هذا، وأخرى من ذاك، تتحول الحركة إلى وكر للصفات السيئة، وتجمع كهذا لا يمكن أن ينتصر إطلاقاً.

اننا عند مطالعتنا لنهج البلاغة نجد عدداً غير قليل من الخطب، خص به الإمام أمير المؤمنين (ع) جيشه كان في العقاب والتوبيخ.

(واني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم

امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم " [١١١] .

" ... أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب- الحجارة الصلبة- وفعلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس: كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد... " [١١٢]

" أف لكم.. لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؟ وبالذل من العز خلفاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في كمرة ومن الذهول في سكرة ..) .

وهكذا على صعيد التجمع، ينتقد الإمام (عليه السلام) ظواهر الترهل والكسل، والاكتفاء بالشعار والإفتخار دون العمل والفاعلية.

وعلى صعيد الأفراد، كان المعصومون (عليهم السلام) حساسين تجاه الأخطاء، والسلبيات التي توجد في أصحابهم واتباعهم، فلم يكونوا يجاملونهم في الحق، وفي تصحيح أخطائهم، بل كانوا في غاية الحزم.

هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجه أبا ذر في بداية إسلامه، وينتقد منه تصرفاً غير لائق، وقد أخذها أبو ذر درساً إلى الأخير، إذ أنه جرى بينه وبين بلال كلام، فغضب أبو ذر وصاح بلال: يا بن السوداء !!..

فلما نقل ذلك إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أخبره بخطئه، قائلاً له إن هذا من صفات الجاهلية ولا يتناسب مع الخلق الإسلامي، فذهب إلى بلال ووضع خده في التراب وأمره أن يدوس عليه برجله اعتذاراً وتواضعا.

وحين يلاحظ أمير المؤمنين (عليه السلام) توجهاً في أحد أصحابه لا يتناسب مع رساليته يكتب إليه رسالة مفصلة عن الموضوع محذراً إياه من الوضوع في شراك الشيطان، آمراً له بالحذر من اتباع الهوى، وكان ذلك الرجل عثمان بن حنيف الأنصاري واليه على البصرة حين دعي إلى وليمة " مترفة " : ".. وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم " فقيرهم " مجفوّ، وغنيهم مدعو.. ".

كما يرسل عليه السلام رسالة شديدة اللهجة إلى عامله على هيت، وهو كميل بن زياد النخعي أحد كوادره المخلصين لأنه عوضاً عن جهاد جيش معاوية الذي كان يشن الغارات ضد الدولة الإسلامية، فانه كان يغير على أطراف ثغور معاوية كقرقيسيا فيقول الإمام (عليه السلام) في تلك الرسالة: " أما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر، وان تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي ولیناك، ليس بها من يمنعها، ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع- متفرق ضعيف- فقد صرت جسداً لمن أراد الغارة من أعدائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أميره " .

والإمام الباقر (عليه السلام) رغم اختصاص زرارة به، وكونه أحد الكوادر الذين يعتمد عليهم الإمام إلاّ

---

111 / نهج البلاغة خطبة ٢٥.

112/ نهج البلاغة خطبة ٢٩.

أنه حين أراد أن يتدخل فيما لا يعنيه من قضايا العمل، بالضغط لتشكيل رأي للإمام حول إحدى المسائل نهاه الإمام عن ذلك بقوة، ولنترك زرارة يتحدث: وقع بين أبي جعفر وبين ولد الحسن (عليه السلام) كلام فبلغني ذلك فدخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فذهبت أتكلم.. فقال لي: مه!! (أي كف) لا تدخل فيما بيننا فإنما مثلنا ومثل بين عمنا كمثل رجل كان في بني إسرائيل كانت له ابنتان فزوج إحداهما من رجل زراع، والأخرى من رجل فخار، ثم زارهما فبدأ بامرأة الزراع فقال لها: كيف حالكم؟! فقالت: قد زرع زوجي زرعاً كثيراً فان أرسل الله السماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً ثم مضى إلى امرأة الفخار فقال لها: كيف حالكم؟ فقالت: قد عمل زوجي فخاراً كثيراً فان أمسك الله السماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً.. فانصرف وهو يقول اللهم أنت لهما.. وكذلك نحن.

والإمام الصادق (عليه السلام) يوجه النقد الذي يصل أحياناً إلى توبيخ أصحابه في مختلف المواقع مع المعلى بن خنيس: يوجهه إلى ضرورة الكتمان، والالتزام بقواعد السرية، لأن عدم الالتزام بذلك ينتهي إلى نهاية الشخص وأحياناً نهاية العمل:

" يا معلى: لا تكونوا اسراء في أيدي الناس بحديثنا (أي بإشاعة أسرارنا) ان شاؤوا منوا عليكم، وان شاؤوا قتلوكم، يا معلى انه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين يديه وزوده القوة في الناس، ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضه السلاح أو يموت بخبل يا معلى أنت مقتول فاستعد ".

وحين يخالف المعلى- ربما لحماسه أو عدم حيطته- أمر الإمام، يقتل بيد العباسيين فعن حفص التمار قال: دخلت على أبي عبد الله أيام طلب المعلى بن خنيس فقال لي: يا حفص اني أمرت المعلى فخالفني فابتلي بالحديد .[١١٣]

مع مؤمن الطاق: محمد بن النعمان، عندما ناقش أحد الخوارج، وكان مؤمن الطاق جدلاً، قوي الحجة فانتصر على الخارجي، وعندها أعجب بنفسه، فوجهه الإمام الصادق (عليه السلام) إلى خطئه، فعن أبي مالك الاحمسي قال: كان رجل من الشراة يقدم المدينة، فأتى ذات يوم وقال للإمام: وددت أني رأيت رجلاً من أصحابك أكلمه، فقال الإمام لمؤمن الطاق: كلمه يا محمد. فكلمه فقطعه سائلاً ومجيباً، فقال الخارجي لأبي عبد الله: ما ظننت أن في أصحابك أحداً يحسن هكذا، فقال أبو عبد الله أن في أصحابي من هو أكثر من هذا، قال الراوي: فأعجبت مؤمن الطاق نفسه فقال: يا سيدي سررتك؟! قال: والله لقد سررتني، والله لقد قطعته والله لقد حصرته، والله ما قلت من الحق حرفا واحداً. قال: وكيف؟ فقال عليه السلام: لأنك تتكلم على القياس والقياس ليس من ديني[١١٤] .

مع بريد العجلي: قال كنت أنا وأبو الصباح الكناني عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: كان أصحاب أبي والله خيراً منكم، كان أصحاب أبي ورقاً لا شوك فيه وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه. فقال أبو الصباح الكناني: جعلت

---

113 / رجال الكشي ٢/ ٦٧٦.

114 / رجال الكشي ٢/ ٤٢٩.

فداك فنحن أصحاب أبيك. فقال (عليه السلام): كنتم يومئذ خيراً منكم اليوم[١١٥] .

والإمام الرضا (عليه السلام) يكلف أحد أصحابه بمعاتبة فرد آخر ومحاسبته على بعض أعماله كما يوجهه إلى ضرورة قبول العتاب والنقد، وعدم رفضه أو تبريره.

فقد قال (عليه السلام) لبعض مواليه: عاتب فلاناً وقل له: ان الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قَبِل [١١٦].

هذا كله مع خلص أصحابهم، وخيرة كوادرهم.

والإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عندما يرسل لأصحابه رسالة توجيهية، ينتقد فيها بعض تصرفاتهم، ويبين أنهم كانوا غير محمودين بهذه التصرفات، فيقول في رسالة إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري: ".. ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي عليه السلام (أي الهادي) إلى أن مضى لسبيله، صلى الله على روحه، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق.. " [١١٧].

العمل المعيشي وقرار الرسالة:

بمقدار انتماء الفرد إلى الرسالة تكون تضحيته بقضاياه الشخصية، فتتداخل المعادلة الشخصية مع المعادلة الرسالية التي تكون حاكمة عليها ومهيمنة، وكلما ارتقى في انتمائه تهيمن المعادلة الرسالية حتى تصل إلى وقت تلغى فيه المعادلة الشخصية، وتصبح كل حركاته وأعماله في قناة الرسالة ولخدمة الإسلام.

إن هذا في الأساس يعتمد على نمط تقبل الفرد للعمل في سبيل الله،فالبعض الذي يرى أن المسألة أن يمارس حياته الاعتيادية كيفما شاء وإذا حصل على وقت إضافي فانه يقوم بعمل إسلامي، لا يهمه إطلاقاً أن يكيف حياته، وأن يختار عمله بشكل يستطيع من خلاله خدمة العمل الرسالي.

غيرأن الصورة ليست كلها هنا، قسم آخرمن الصورة يحتله فئة من الرجال المؤمنين الذين وضعوا عملهم الجهادي في رأس قائمة الأولويات، ولا يهم بعد ذلك كيف تكون حياتهم، إن الذي يشكلها هو القرار.. وهو مصلحة العمل..

هؤلاء الذين ألغوا المعادلة الشخصية، واستبدلوها بالمعادلة الرسالية.

هؤلاء الذين مشوا على درب الصالحين فما أخذوا من الدنيا إلاّ لدينهم،وحديثنا هذا معهم.

لماذا يرتبط العمل بالقرار؟

هناك عدد من الأسباب تجعل من الضروري ارتباط عمل الأفراد المنتمين للرسالة بقرار القيادة:

ا- تداخل العمل المعيشي مع الواجب الرسالي الذي كلف به هذا المؤمن، إذ أن واجبه يقتضي منه الذهاب إلى منطقة أخرى ليبلغ فيها رسالة الله، وقد يكون أداء هذا الواجب متعذراً بغيره، لأنه يمتلك كفاءات ليست لدى

---

115 / رجال الكشي ٢/ ٦٣٩.

116 / تحف العقول ٣٥٦.

117 / رجال الكشي ٢/ ٨٤٤.

غيره، وهنا لا يمكن إلغاء المسؤولية والواجب الرسالي لأنه يتعارض مع عمل هذا المؤمن كصاحب عمل دنيوي (بقالة مثلاً، أو كمدرس) ان العمل المرتبط بالرسالة يقدم، وعلى المؤمن إذا كان انتماؤه حقيقياً أن يرتب حياته وفقاً لما يقتضيه دوره في خدمة المجتمع و إعلاء كلمة الله سبحانه.

٢- ضرورة تكامل هذا العمل مع سائر الأعمال الأخرى التي تتم حسب خطة التحرك، وهذا يجعل عمل الفرد- حتى الدنيوي- أحد الأرقام الفاعلة في معادلة القيادة.

فالقيادة الرسالية حينما تضع خطتها وتتخذ قرارها، تستطيع أن تعتمد على العاملين، الذين يشغلون مواقع جيدة في المجتمع، مثلاً: تستطيع ان توجه عدداً من الأفراد للدخول في الجيش، وبالتالي معرفة مداخله ومخارجه، واستقطاب العناصر المعادية للنظام إضافة إلى الحصول على خبرة في هذا المجال، وتوجه عدداً آخر للدخول في الساحة الاجتماعية، والبروز في أدوار اجتماعية بحيث يصبحون (مفاتيح المجتمع)، ويستطيعون من خلال ذلك تحريك الطاقات، والتأثير في التجمعات المختلفة للاستفادة منها في الوقت المناسب، وتوجه مجموعة ثالثة للدخول في الوظائف الرسمية العالية، ورابعة تتفرغ للعمل الرسالي دون أن تتخذ عملاً غيره.. وهكذا..

ان هذه المجموعات ان تمت عبر تخطيط، فإنها تؤتي ثمارها حين يحين الحصاد، بينما هذه الأعمال ذاتها حين تتم عفوياً، لا يمكن الاستفادة منها بالشكل المطلوب.

٣- جهل الأفراد بالأولويات: أحياناً يجتهد العاملون في تحديد العمل الأفضل المطلوب رسالياً، ويجيبون على ذلك دون أن يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى أولي الأمر فالبعض ينتهي إلى أن الدراسات العليا في العلوم التطبيقية هي الأفضل لأن الدولة الإسلامية القادمة تحتاج إلى كفاءات (مهندسين، أطباء، الخ)، وبالتالي فان عليهم أن يدرسوا الآن هذه الدروس ويتعمقوا فيها تحقيقاً لهذا الهدف!

والبعض يرى أن من الأفضل اليوم الانشغال بالدراسات النظرية لأن الثورة تحتاج إلى تنظير وإلى ثقافة عميقة، وهذا يتطلب صب الجهد على المجال النظري لكي تكون أفكار الثورة بدرجة جيدة من العمق وآخرون يرون غير هذين الرأيين، وهكذا.. بل قد تدخل في المسألة الرغبات الشخصية التي تؤطر بإطار رسالي وثوري، فلان هذا الشخص يحب أن يتخصص في الفيزياء، لذلك يورد الدليل تلو الحجة مبرهناً على العلاقة الجدلية بين التخصص في الفيزياء وبين إنتصار الثورة.. وهكذا يفصل كل واحد الثوب الذي يريد لبسه.

ان القضية الأساسية هي: من يحدد الأفضل والأنسب للعمل؟!

الأفراد لا يستطيعون إلاّ أن ينظروا من زاوية اطلاعهم وهي زاوية محدودة، ان الذي يستطيع ذلك هو القيادة التي تستطيع النظر الشمولي إلى كافة الأبعاد، وتتخذ القرارات المناسبة في هذا المجال، والقرآن الكريم يأمر المؤمنين برد المسائل التي لا يستطيعون إدراك أبعادها، إلى الله سبحانه والى رسوله، والى أولي الأمر، القادة الشرعيين:

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الله والى الرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم).

وقد وجدنا المعصومين (عليهم السلام) يوجهون اتباعهم وأصحابهم، وبالذات الكوادر، كل إلى ما يصلح له، وما يستطيع بواسطته خدمة الرسالة، وعندها عليه ان يرتب حياته وأموره بالشكل الأنسب وفقاً لهذه المسؤولية المنوطة به..

فالصادق (عليه السلام) وجه بعض أصحابه إلى التجارة، والسوق. بل كان يعاتبهم عن التأخر عن الكسب، ومن الواضح ان هذا كان يضمن الرسالي من الناحية المالية وأحياناً العمل، مما يعبر عنه الإمام عليه السلام بعز المؤمن .

فعن المعلى بن خنيس قال: رآني أبو عبد الله (عليه السلام) وقد تأخرت عن السوق فقال: اغد إلى عزك.

ويقول عليه السلام أيضاً لأحد صحابته: " يا عبد الله احفظ عزك. فقال: وما عزي جعلت فداك، قال: غدوك إلى سوقك وإكرامك نفسك ".

وهكذا الإمام الكاظم (عليه السلام) يقول لمصادف: " اغد إلى عزك أعني السوق "[118].

بينما يوجهون أفراداً آخرين للدخول في الحكومة القائمة، وخدمة الرسالة من خلال عملهم هذا كما تبين في موضوع (شروط الدخول في الحكومات القائمة). بينما يمنعون أفراداً غيرهم من الدخول في هذا العمل، رغم انه يدر عليهم المال وهم في حاجة إليه كما منع الإمام الكاظم (عليه السلام) صفوان الجمال من تأخير جماله لهارون الرشيد و أصحابه. وأحياناً يفرغون بعض أصحابهم للتوجيه الفكري والعقائدي، والفتيا في مسائل الدين كما أمر الصادق (عليه السلام) أبان بن تغلب حيث قال له: جالس أهل المدينة فاني احب ان يروا في شيعتي مثلك..

بعد هذا الاستعراض السريع، نجد أن من الضروري أن ينسجم العمل المعيشي مع العمل الرسالي، ويتكيف معه لأن الأخير حاكم عليه، ومهيمن، وإذا تعارضا قدم الأخير، ويصدق هذا مع الأفراد كل حسب انتمائه للرسالة، واستعداده للتضحية من أجلها. ورغم أن هذا الأمر مطلوب من جميع العاملين في سبيل الله إلاّ ان الفرد كلما كان أكثر وعياً، وأكثر انتماءً فهو مطالب أكثر من غيره.

لا.. للاستئكال بالقيادة الشرعية:

يتوفر لبعض الأفراد، بحكم طبيعة العمل أو الظروف، فرصة الاتصال بالقيادة والصالحون منهم يستفيدون في تكميل أنفسهم باستمرار، ومعالجة النواقص عبر تعرضهم لمزيد من التوجيهات والنصائح التربوية، كما فعل أصحاب المعصومين (عليهم السلام) فعوضاً عن الافتخار والتباهي بصحبة الرسول (صلى الله عليه وآله) نجد أبا ذر رضوان الله عليه يلتمس من الرسول وصية نافعة، تفيده في دنياه وأخراه، وهكذا كميل وجابر،و . . و . .

إلاّ أن البعض لا يتركهم الشيطان، وهم لا يتركون الاستسلام له، عوض ذلك يتخذون هذه العلاقة، وهذا اقرب وسيلة لتحقيق بعض النجاحات الدنيوية، للحصول على احترام السذج والبسطاء الذين يخدعون بهكذا مظاهر، للحصول على وجاهة اجتماعية بين الناس، والى آخر القائمة من الأهداف الدنيوية التافهة.

هذا النوع يشوه العمل، ويضر بالقائد،؟! وأحياناً بفقد الجمهور الثقة في الأفكار التي يدعي حملها. ولهؤلاء طرق كثيرة في تحقيق أهدافهم :

محاولة الظهور مع القيادة، سواء الظهور الشخصي، او عبر الصور أو ما شابه، ذلك أن هذا الظهور يجعل عوام الناس يربطون الفرد بالقائد، ويتصورون كل عمل يقدم عليه هذا الفرد إنما هو بأمر القيادة، وإذا كان هذا الفرد فاقداً لكل معاني التقوى فانه يقدم على الكذب، والافتراء بأنه مرسل من قبل القائد بهذه الأعمال التي قد يراها الناس مخالفة للتوجه السليم الذي يعهدونه عن القائد، فاما أن شككوا في الفرد واما ان يشككوا في القيادة، وفي كلا التقديرين فالنتائج غير مفيدة، ففي حالة تشكيكهم في الفرد واكتشافهم كذبه وزيفه، تزول الثقة المفترضة بين

---

118 / وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٥.

الأمة وبين نواب القيادة باعتبار ان ذلك الفرد بكذبه قد كسر سياج الثقة.. وربما لهذا السبب وجدنا اللعن الشديد الذي أولاه الأئمة (عليهم السلام) لبعض الكذابين من أصحابهم الذي حاولوا استغلال علاقتهم السابقة مع الأئمة (عليهم السلام) لا دعاء النيابة عنهم والوكالة كما سيتبين في صفحات قادمة.

وما ان يشككوا في القيادة التي- بنظرهم- ترسل إليهم هكذا أفراد غير صادقين و مصلحيين. وهذا أسوأ من وسائلهم أيضاً التطرف في الدفاع عن القيادة، ومدحها بالباطل أحياناً لكسب الأنصار ليس إلى القيادة، وانما للذات في الواقع، ذلك انه يجعل القيادة وسطاً للوصول إلى نتيجة ذاته والتفاف الناس حوله.

يصبح هؤلاء (ملكيين أكثر من الملك) فتراهم يطعنون في كل خلق الله، ويلعنون عباد الله، ويتظاهرون عليهم بالأثم والعدوان، ويجانبون في حديثهم كل القواعد الشرعية والأخلاقية، مع أن هذا لا يرضي الله، ولا يرضي القيادة الشرعية.

يشتم الواحد منهم الأخيار، ويشوه سمعة الأبرار، و يساعد السلطة الظالمة بعمله هذا بشكل مباشر او غير مباشر، (وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالأثم)، إذا قيل له اترك الغيبة فانها ادام أهل النار، ودع أعراض الناس، ودع هتك المؤمنين أجابك على الفور: إنه واجبي الشرعي!!

انه المصلحة الشخصية، والأهواء الذاتية لا الواجب الشرير، ترك واجبات الأمر بالمعروف، ونهي الطاغوت عن المنكر، وترك البراءة من أعداء الله، واصطنع له واجبات شرعية في هتك هذا، وشتم ذاك.

إنها التقوى حين ترحل عن القلب تجعله مظلماً تائهاً يخبط خبط عشواء، ويتردى في بئر الضلالات. أنه التورع حين يفقده المرء يفقد كل الضوابط الأخلاقية فيغدو كالوحش الكاسر بل أسوأ ، إذ الوحش لا يعتدي على بني نوعه، ولا يفترس إلاّ إذا كان جائعاً ، بينما يعتدي هذا وليس محتاجاً.

من وسائلهم تغيير المواقف لتثبيت المصالح.. بعضهم يغير موقفه بزاوية منعكسة فبينما كان إلى الأمس القريب يلعن ويشتم هذا القائد، ولا يبقي شيئاً من غسيله الوسخ إلاّ ونشره على الملأ، متعللاً بالواجب الشرعي والوظيفة الدينية، إذا به بعد أن يجد ميزان القوة قد تغير، فيغير موقفه، ويا ليته يهتدي هذه المرة ويقلع عن وظائفه الشرعية (!) في غيبة المؤمنين !! كلا.. انه يغير الموجة بسرعة وبقوة وبحدة ويقوم بشتم القائد السابق، ويستحل غيبته وهتكه، بل يجعل ذلك جزءاً من أعماله اليومية، داعياً إلى القائد الجديد باعتبار ذلك وظيفة شرعية!!

ومن يدري؟! عندما يتغير ميزان القوة، ويميل إلى غير هذا القائد ماذا يصنع ؟!

وبقدر ما نجد هذا الاستئكال بالدين، وبالعلاقة مع القيادات المخلصة اليوم موجوداً، فان كان في عهد المعصومين كذلك، ولكم عانى أهل البيت (عليهم السلام) من هؤلاء، ربما أكثر مما عانوه من أعدائهم، إذ أن هؤلاء المستاكين كالضرس المريض ان لم تقلعه نغّص عليك العيش.

ولذا رأينا المعصومين (عليهم السلام) يواجهون هذه النماذج، هؤلاء المرضى بحسم، بعضهم قبل أن يبلغ المرض مبلغه فيه، يحذرونه من الوقوع في هذه الشراك التي ينصبها الشيطان ويزين المؤمن الوقوع فيها.

انظر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف يعلم صعصعة، وينبه إلى خطأ الاستئكال والافتخار بقربه من الإمام على سائر اخوانه ، فقد عاد أمير المؤمنين (عليه السلام) صعصعة بن صوحان العبدي (رضوان الله عليه) في مرضه، وعندما أراد الخروج من عنده قال له- بالرغم من صلاح صعصعة-:

(يا صعصعة لا تجعل عيادتي إياك فخراً على قومك، وتواضع لله يرفعك الله) فهو يحذره من مجرد الافتخار على

الآخرين بزيارة أمير المؤمنين.
وزين العابدين عليه السلام مع القاسم بن عوف، وقد لقي الإمام، وكان يريد الذهاب إلى العراق حيث يزور الإمام (عليه السلام).. انظر عزيزي القارئ إلى هذه الوصية وتأمل فيها:
" .. يا هذا إياك أن تأتي أهل العراق فتخبرهم أنا استودعناك علماً فانا والله ما فعلنا ذلك و إياك أن تترءس بنا فيضعك الله .
و إياك أن تستكل بنا فيزيدك الله فقراً، وأعلم أنك ان تكن ذنباً في الخير لك من أن تكون رأساً في الشر.. " .[119]
انظر إلى دقة الإمام (عليه السلام) في معالجة المشكلة وآثارها، فهو يطرح أن الهدف الأساسي من حديث البعض عن علاقتهم مع القيادة الشرعية طلب الرئاسة والوجاهة في المجتمع، وهذا هو الاستئكال، والارتزاق بالدين وبالقيادة، ثم يبين مسألة أخرى طموح الفرد في قيادة المجتمع والترؤس، فيقول ان من الخير للمرء أن يكون فرداً مغموراً في الخير، خير من أن يكون رأس حربة في صراع الشر، وحرب الأهواء .
من أهداف هؤلاء الاستفادة من علاقتهم مع القيادة لإضفاء الشرعية على أعمالهم الخاطئة، والحصول على إذن القيادة الشرعية لتمشية أمورهم الفاسدة.. غير أن المعصومين (عليهم السلام) وهم القيادة الرشيدة الواعية يفوتون على هؤلاء الفرصة، انظر إلى موقف الإمام الجواد من صالح بن محمد الهمداني: (يقول الراوي: كنت عند أبي جعفر الثاني (الجواد) (عليه السلام) إذ دخل إليه صالح بن محمد بن سهل الهمداني وكان يتولى له فقال له: جعلت فداك اجعلني من عشرة الاف درهم في حل فاني أنفقتها فقال " له: أبو جعفر: أنت في حل.
فلما خرج صالح من عنده قال أبو جعفر (عليه السلام): أحدهم يثب على مال آل محمد صلى الله عليه وآله وفقرائهم ومساكينهم و أبناء سبيلهم فيأخذه ثم يقول اجعلني في حل. أتراه ظن بي أني أقول له لا افعل؟ والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً) [120] .
ان هذا يعلم انه قد استولى على مال الله والخمس الشرعي ولكنه يحاول أن يجعلها شرعية!! ويحاول الاستفادة من بعض الظروف، فيحرج الإمام، غير ان الإمام يبين المنهج الصحيح، وأن الاستئكال بالعلاقة مع القيادة لا يجدي نفعاً حين يسأل الله الناس عن الحبة والدانق.
ولتحقيق أهدافهم الخاصة يقومون بتفسير الدين و أقوال القيادة الشرعية حسبما يلائم أمزجتهم، فيصنعون- كما قلنا- لهم واجبات شرعية، ويعطون لأقوال القيادة خطاً يخدم أعمالهم السيئة، وعن هذا أيضاً حذر الأئمة (عليهم السلام) فيقول الإمام الصادق (عليه السلام):
" قوم يزعمون أني إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله كلما سترت ستراً هتكوه أقول: كذا وكذا، فيقولون إنما يعني كذا وكذا، إنما أنا إمام من أطاعني " .
وأيضاً لتحقيق أهدافهم فهم متطرفون في التأييد، متوسلون بالباطل في ذلك، يصعدون بالقيادة إلى فوق مستوى البشر، ويعطونها أكثر مما تستحق، وقد ابتلى الأئمة (عليهم السلام) بعدد كبير من الكذابين، والغلاة الذين استغلوا

119 / رجال الكشي ١/ ٣٣٩

120 / كتاب الغيبة للشيخ الطوسي/٢٢٧

فترة صحبتهم القصيرة للأئمة فبدؤوا يخدعون الناس بأقاويل ما أنزل الله بها من سلطان.

أمام هذا المرض الخطير الاستئكال بالتشيع، والاستئكال بالقيادة الشرعية لتحقيق المصالح الشخصية وقف الأئمة (عليهم السلام) بعنف لمحاربته.

عيب الأشخاص والحفاظ على الدور:

تمر الحركة العاملة في ظروف قاسية، تقتضي منها أن تضحي لكي تستمر، وقد يكون من التضحية البراءة من بعض الأشخاص أو المؤسسات حفاظاً على هذه المؤسسات أو على الأشخاص.

وهنا يتعرض المؤمن الذي يُعاب إلى امتحان عسير إذ أنه يبدأ أولاً بالتشكيك في نفسه وفي إيمانه: لماذا عابتني القيادة؟! ولماذا تبرأ مني أخوة العمل؟!

ثم يشكك في كل التحرك، إذ أنه لا يرى لهذا الإجراء دليلاً ، او مبرراً !! ثم يواجه المجتمع، وهو ينظر إليه نظرة تختلف عن السابق، وربما يبتعد عنه بعض الناس من جراء ذلك. وهذه الأمور كما هي صادقة في الأشخاص، تصدق كذلك في المؤسسات والجماعات.

وهنا يحتاج الرساليون في تربيتهم إلى عدد من الصفات التي تجعلهم يواجهون هذه المشاكل بروح قوية، ونفس صامدة، ويحولون هذه الظروف الاستثنائية إلى دافع لهم لزيادة العمل والنشاط.

من أوجه هذه المشكلة أن ينتشر بين العاملين- لسبب او لآخر- نظرة سيئة عن أحد الأفراد، فيشيع بين أعضاء التجمع سلبياته ومشاكله، وعندها ينكفيء البعض على أنفسهم طاوين الليل بالحسرات والهموم والنهار بالتفكير المتشائم، بينما يقدم لنا أهل البيت (عليهم السلام) الموقف المطلوب في هذه المواقع الذي يتلخص في فهم الإنسان المؤمن لنفسه، وتقديره لصلاحه عبر عرض أعماله على القيم الإسلامية والقرآن الكريم وتقدير مدى عمله وحركته ومدى التزامه بخطه الرسالي.

الإمام الباقر (عليه السلام) يوصي جابر الجعفي بوصية ستنفعه في المستقبل، لأنه تظاهر بالجنون ودارت أحاديث بين الشيعة في عهد الصادق (عليه السلام) توهن قدره، محدداً له الموقف الذي ينبغي أن يتخذه :

".. وأعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ولو قالوا: انك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن أعرض نفسك على كتاب الله فان كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر فانه لا يضرك ما قيل فيك..).

والكاظم (عليه السلام) يقول لهشام بن الحكم وقد تعرض أيضاً إلى حملة تشكيك فيه حيث قيل انه من المجسمة، وغير ذلك مما لقي:

" يا هشام: لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كانت في يدك لؤلؤة وقال الناس: انها جوزة ما ضرك وأنت تعلم انها لؤلؤة.. " .

وكذلك الحال بالنسبة للرضا (عليه السلام) مع يونس بن عبد الرحمن الذي حصل له ما يحصل عادة للعاملين والمجاهدين من حملات دعائية مضادة وأحياناً افتراءات.

يقول جعفر بن عيسى:

" كنا عند الحسن الرضا (عليه السلام) وعنده يونس بن عبد الرحمن إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة فأومى أبو الحسن (عليه السلام) إلى يونس: ادخل البيت، فإذا ببيت أسبل عليه ستر وإياك أن تتحرك حتى يؤذن لك.

فدخل البصريون واكثروا من الوقيعه والقول في يونس وأبو الحسن مطرق، حتى لما اكثروا وقاموا فودعوا وخرجوا، فأذن ليونس، فخرج باكياً فقال: جعلني الله فداك اني أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي ؟!

فقال له أبو الحسن (عليه السلام) لا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً، يا يونس حدث الناس بما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون، كأنك تريد أن تكذب على الله في عرشه.

يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة أو بعرة فقال الناس درة، هل كان ينفعك ذلك شيئاً ؟ فقلت: لا. فقال: هكذا أنت يا يونس إذ كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس " .

وهذه المشكلة وهي تشكيك العاملين في بعضهم تهون لأن المرجع وهو القيادة الشرعية موجودة، لذلك يمكن استعلام الرأي، غير أن قاصمة الظهر إذا تطلبت الأوضاع أن يعيب القائد أحد أصحابه، ويطلق التصريحات التي توهن قدره في نظر الناس، هنا المشكلة الحقيقية، إذ من الصعب تصحيح النظرة التي تتكون لدى الجمهور خصوصاً السلبية منها.

ولهذا فحين نواجه مسألة من هذا النوع ينبغي التريث قبل إصدار الحكم النهائي، والنظر في أبعادها المختلفة، وإلاّ وقعنا في نظرة أحادية البعد ناقصة، واعتقد أن هذا هو الذي وقع فيه البعض حين نظروا إلى الأحاديث القادحة في أصحاب الأئمة فاعتمدوها، دون التفكير في ظروفها التي قيلت فيها، والأهداف التي توخاها الإمام حين تحدث بهذا الحديث.

ان بعضهم يتخذ موقفاً سلبياً تجاه زرارة بن أعين، بسبب ورود أحاديث عن الإمام الصادق تتضمن ذمة بل لعنه. ولو نظروا إلى بقية الأحاديث وإلى الهدف الذي من أجله صدر الذم بحق هذا الصحابي الجليل، ذلك الهدف الذي صرح به الإمام (عليه السلام) لتغير الموقف، ولنقرأ معاً هذا الحديث الذي يبين لنا لماذا ذم الإمام زرارة :

عن عبدالله بن زرارة قال:

(قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) اقرأ في على والدك السلام وقل له: اني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فان الناس والعدو يسارعون في كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقربه، ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا ويرون منا ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كل من عبناه وان نحمد أمره.

فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا ولميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر لمودتك لنا ولميلك إلينا فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك يقول الله عز وجل (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا). هذا التنزيل من عند الله صالحة، لا والله ما عابها إلاّ لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه وقد كانت صالحة ليس منها للعيب مساغ والحمد لله .

فافهم المثل يرحمك الله فانك والله أحب الناس إليّ وأحب أصحاب أبي عليه السلام حياً وميتاً فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وان من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يراقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى

ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها " [١٢١].

ثم يبين له ان ذلك إنما هو خطة وان كانت تخلف عن واجبات بعض الأصحاب الآخرين:..

" فلا يضيقن صدرك من الذي أمرك أبي عليه السلام وأمرتك به واتاك أبو بصير بخلاف الذي أمرناك به، فلا والله ما أمرناك ولا أمرناه إلاّ بأمر وسعنا ووسعكم الأخذ به.

ولكل ذلك تصاريف ومعان توافق الحق ولو أذن لكم لعلمتم ان الحق في الذي أمرناكم به فردوا إلينا الأمر وسلموا لنا واصبروا لاحكامنا وارضوا بها والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه، وهو اعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فان شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها لتأمن من فسادها وخوف عدوها في آثار ما يأذن الله ويأتيها بالأمن من مأمنه من عنده "

الفصل الخامس

دراسة في الوصايا والرسائل

- وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل .
- وصية الإمام الباقر لسعد الخير .
- وصية الإمام الهادي لأيوب بن نوح .

للتعرف على منهج المعصومين عليهم السلام في تربية حوارييهم لا بد من دراسة وصاياهم. إذ أن هذه الوصايا خلاصة الأفكار الأساسية التي يحتاجها الكادر سواء بشكل عام أو لمرحلته الخاصة، إضافة إلى كونها المصداق الواضح لأسلوب التربية الرسالية.

وقد نواجه هذا الإشكال أثناء دراسة هذه الوصايا: إننا حين ننظر إلى هذه الأحاديث للوهلة الأولى نجدها ليست سوى أحاديث أخلاقية ووصايا اعتيادية.. فما هي إذن ميزتها الخاصة، ولماذا ندرسها دون أحاديث الأئمة (عليهم السلام) الأخرى؟! ثم من يقول ان المعصوم (عليه السلام) كان يقصد من ورائها شيئا خاصا هو ما نحاول استنتاجه؟!

وفي الواقع أن خصوصية هذه الوصايا الآن يبدو غير موجود، فإذا كانت قد قيلت لشخص واحد في ذلك الوقت فإنها اليوم في متناول الجميع، ثم إننا لا نحس إحساسا كبيرا بنفس هذه الوصايا والخطب، لأنها ترتبط بمناسبة لا نعيشها اليوم، مثلا: في خطبة الشقشقية عندما يتعرض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لتحليل ما جرى بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، تشعر وكأن الإمام كان يلقي جمرا من صدره إلاّ أنه وهو في الأثناء يقاطعه رجل من أهل السواد بإعطائه كتابا فيه مسائل يريد الإجابة عليها، فلما فرغ طلب منه ابن عباس الاستمرار في الخطبة، فقال (عليه السلام) هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت!!

---

[121] / رجال الكشي ١/ ٣٤٩.

هنا نجد الإمام عليه السلام لا يجد مناسبة لاستمرار الحديث، بعد أن بلغ هذا المبلغ فكيف يعيش القارئ هذه المناسبة بعد مئات السنين؟!

إلاّ أننا نستطيع تجاوز هذا الإشكال بأن ندرس الظروف الموضوعية التي تم فيها الحديث والطرف المخاطب، ونحاول أن نتدبر في كلام الإمام عليه السلام محاولين الاهتداء بعون الله إلى بعض مقاصده.

وسوف نتناول ذلك القسم من الوصايا الذي اختص المعصومون (عليهم السلام) به أصحابهم وحوارييهم، دون القسم العام الذي كان يلقى على أسماع سائر الناس، وذلك لأننا نعتقد أن الوصايا من النوع الأول تركز على مسائل ترتبط بحياة هؤلاء الكوادر وتحل مشاكلهم الموجودة أو تجيب على المشاكل المحتملة، لأننا نعتقد أن الأئمة وهم المعصومون لا يلقون الكلام على عواهنه بل يضعون مواضعه الصحيحة والمناسبة كما جاء في الزيارة الجامعة " كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيتكم الكرم وشأنكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكم وحتم ورأيكم علم وحلم وحزم ".

وسوف نراعي في هذا الباب الاختصار، والإشارة إلى مواضيع الخطبة مستغنين بذلك عن التفصيل والاسهاب، وقبل الشروع في بحث كل وصية سوف نحاول استعراض مجمل حياة الصحابي الكادر المخاطب من قبل الإمام (عليه السلام).

وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل:

من هو كميل بن زياد النخعي؟!

من العشرة الثقات الذين طلبهم أمير المؤمنين (عليه السلام) من أصحابه، كان الإمام (عليه السلام) يشرف على تربيته، وتهذيبه، ولعل ما وصل إلينا عبر كميل يكشف مقدار الاهتمام به، فقد روى كميل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ثلاث وصايا تربوية رائعة، أوصاه بها، وسنستعرض إحداها كما ان نقل إلينا الدعاء المشهور (بدعاء كميل) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي يستحب قراءته في ليالي الجمعة، وفيه من المعارف الإلهية وطرق التضرع إلى الله سبحانه، والاعتراف بالذنب ما يكفل استقامة حياة المرء عند العمل بمعانيه.

وكان يربيه من خلال أحداث الواقع فلا تكاد تمر مناسبة إلاّ ويوجه الإمام كميلاً ، فذات يوم وقد مرا على رجل وقد مضى من الليل ربعه فوصلا إلى رجل يقرأ القرآن بصوت شجي حزين " أمن هو قانت آناء الليل.. " فأستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه ظاهر الرجل دون ان يقول شيئا فالتفت (عليه السلام) إلى كميل وقال له: لا يعجبك طنطنة الرجل انه من أهل النار سأنبئك فيما بعد.. وتحير كميل.. ومرت السنين وجاءت أحداث الخوارج، وقاتلهم الإمام قتالا شديدا ووقف في المعركة على جثة رجل من الخوارج، ومعه كميل، والإمام يقول: ".. أمن هو قانت آناء الليل.. " يريد أن يقول صاحبك الذي أعجبك حاله.. هذا مصير تدينه القشري.

وبعد خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) تولى ولاية (هيت) على الحدود بين العراق والشام، ويظهر أنه لم يكن حازما بالمقدار الذي يريده الإمام (عليه السلام)، أو أنه كان يرى الهجوم على أطراف ثغور، فكان يهاجم قرقيسيا بينما لم يعد العدة لمواجهة السرايا الأموية التي كانت تهاجم حدوده مما دعا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأن يرسل له رسالة عتاب شديد يأمره بالتخلي عن فكرته، وتغيير طريقته بأن يدافع عن حدوده هو، ويذب المهاجمين عن ولايته.

استشهد بعد هذه الحياة الحافلة على يد الحجاج الثقفي، حيث طلبه ضمن من طلب من خلص أصحاب

أمير المؤمنين، واهمه بقتل عثمان فقتله رضوان الله عليه.

عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين (عليه السلام) فأخرجني إلى ناحية الجبان– الصحراء– فلما أصحرنا جلس فتنفس الصعداء ثم قال:

" يا كميل بن زياد: إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على النفقة والمال يزول، ومحبة العالم دين يدان به، وبه يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته، المال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل: مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

ثم قال: آه، آه إن ههنا لعلما جما لو أصبت له حملة (وأشار بيده إلى صدره) ثم قال: اللهم بلى قد أصبت له لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بنعم الله على عباده، وبحججه على كتابه، أو معاندا لأهل الحق ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك، او منهوماً باللذات، سلس القياد للشهوات مغرما يجمع الإموال والادخار ليس من الدين في شيء، أقرب الناس شبها بالبهيمة السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله على عباده أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا، بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه إلى نظرائهم ويزرعونه في قلوب أشباههم هجم العلم بهم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل

الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه، آه ثم آه واشوقاه إلى رؤيتهم واستغفر الله ولك إذا شئت فقم "

محور الوصية: العلم ودوره في تشكيل الموقف المطلوب، ويبين الإمام (عليه السلام) أن درجة الوعي، والاستيعاب لدى الناس هي التي تقسمهم إلى فئات ثلاث:

الأولى: العلماء الربانيون، قادة الأمة الذين عرفوا حق معرفتهم، واتقوه حق تقاته، وهذه الفئة هي التي يتحرق شوقا إليها الإمام (عليه السلام) في نهاية وصيته.

الثانية: الواعون السالكون بوعيهم سبل النجاة، وطرق الانتصار على الشيطان هؤلاء رغم أنهم لم يصلوا إلى مستوى الفئة الأولى، إلاّ انهم لوضوح الرؤية أمام أعينهم، وإشراقه بصيرتهم فهم على طريق نجاة .

الثالثة: مجاميع المصفقين السلبيين، الأكثرية الصامتة، التي تتبع الراية محقا كان أم مبطلا " أولئك لم يستضيئوا بنور الفهم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ".

وعبر هذه التقسيم يبين ضرورة ارتباط العلم بالموقف العام للإنسان في الحياة. ثم يصنع مقارنة بين العلم وبين المال مفضلاً الأول باعتبار حراسة العلم لصاحبه وانعكاس المعادلة في قضية المال، ولنمو العلم وتجدده بإنفاقه وإعطائه وامتداد آثار العلم إلى ما بعد نهاية صاحبه.

وهنا يبرز السؤال: لماذا يتحدث الإمام (عليه السلام) مع كميل حول هذا الموضوع؟! قضية موقف الهمج الرعاع،

وقضية المال؟! هل كان كميل رضوان الله عليه بحاجة إلى هذا الموضوع؟

ليس الأمر كذلك: إلاّ أننا حين نستعرض وضع المسلمين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يدق على الوتر الحساس.. كيف؟!

بعد أن يصنع الانتصار، ويوصل الثورة إلى غايتها يوصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أمير المؤمنين ليواصل المسيرة الرسالية محافظا على التركة التي خلفها الرسول، وذلك في غدير خم أمام أكثر من مئة ألف من المسلمين.. وبعدها يذهب إلى لقاء ربه.

وبينما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشغولا بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودفنه كانت الأطراف الأخرى قد أكملت مهمتها.. وهكذا (بويع) أبو بكر خليفة.

ويصاب المسلمون وعلى رأسهم الكوادر الواعية بالذهول! كيف تم ذلك؟! وكيف خالفوا كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو لم يدفن بعد؟!

غير أن هذا الذهول ما لبث أن تقشعت سحبه، وعاد الناس- باستثناء الكوادر- إلى ممارسة حياتهم العادية، والتكيف مع الوضع الجديد، الذي تحول إلى واقع مفروغ منه. تلك الألوف التي سمعت حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأت التمسك بالمبدئيات نوعا من المثالية غير المقبولة، وانشغلت هي بأخذ حصتها من الغنائم وأحياناً من صحبة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وحدهم الرساليون والحواريون كانوا ينتظرون الإشارة من الإمام علي (عليه السلام)، بعضهم ذهب واحتج في المسجد، وبعضهم امتنع عن البيعة.. وهكذا.

وحين يتحول تيار الدنيا الذي هو مقبول طبيعيا لدى الإنسان، إلى واقع ثقيل الضغط، عنيف التركيز، بل إلى فلسفة في الحياة العامة، تتمسك بها الأكثرية المطلقة في المجتمع، معتبرة أولئك الخارجين على هذه الفلسفة مخبولين، أو متهورين!!

هنا يمتحن المؤمن عادة، ويختار أحد طريقين كلاهما صعب، يقف بين خيارين أحدهما: الانعزال عن المجتمع، والانصراف عنه، وتكفيره والانكفاء على الذات، والتقوقع في شرنقة (الأفضلية) على الآخرين.. ومن نتائج هذا الخيار عدم قدرة المؤمن على التكيف مع المجتمع، وعدم قدرته على تغييره، وبالتالي فهو في المجتمع يساوي صفر.. وهذا ما يريده أعداء الإسلام والاستعمار، انه يخاف من المؤمن بذاته، ولكنه يرتعد منه أكثر حين يجده مؤثرا في المجتمع، محركا لطاقاته، عاملا فيه.

وثانيهما: البقاء في المجتمع ومقاومة التيار الدنيوي الجارف الذي يحول بكثرته الباطل إلى حق في نظر ضعفاء الإيمان. إن الكثرة والحشد تعتبر لدى البعض مقياسا وأحكامها هي الصائبة، وكم وجدنا عاملين في سبيل الله كانوا في أشد الحماس والاندفاع والاقتناع بالعمل الرسالي فإذا بهم حينما يواجهون الهمج الرعاع، وهم عادة الأغلبية في المجتمع، تهاووا لضعف إيمانهم وتركوا العمل.

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير- كما أعتقد- إلى هذا الواقع الخاطئ، حيث تتحول أخطاء الأكثرية الجاهلة- بفعل كونها الغالبة- إلى منهج اجتماعي صحيح.. بينما يصبح الهدى والصلاح والعاملون غرباء في هذا الوسط، فيدين عليه السلام هذا الموقف الجاهل محذرا كميل وأصحابه- من بعده- منه وهذا ما وجدنا أثره في أصحابه عليه السلام حين بدأ الأمويون بتتبعهم وقتلهم، فبينما كان الخطأ الشائع في المجتمع آنئذ يقضي بالبراءة من

القيادة الشرعية وترك الانتماء إليها والتفرغ إلى الدنيا، كاد هؤلاء الصفوة يختارون القتل صبراً على الانحراف مع المجتمع.

كما يبين أخطاء بعض حملة العلم الذي لا يتحول إلى موقف رصين فيقسم حملة العلم هؤلاء إلى ثلاثة: من يستخدم العلم والدين مطية لأهوائه وشهواته، ومن يطيع أهل الحق إلاّ أنه متزلزل الإيمان إذ لا يكاد تعرض له شبهة حتى ينقدح زناد الشك والتردد في قلبه. وثالث مشغول عن العلم والوعي باللذة والشهوة.

ان المطلوب ليس هؤلاء بل (أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا، بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه إلى نظرائهم ويزرعونه في قلوب أشباههم " وهؤلاء موجودون، إذ لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة، عليم بالرسالة، يقود الناس إلى سبل الخير، فيحفظ لهم دينهم، ويواصل المسيرة، فيستقطب الآخرين ويزرع في قلوبهم أهداف الرسالة وقيمها، ويؤدي الأمانة إلى نظرائه.

وصية الباقر (عليه السلام) لسعد الخير [122]:

تأثير الأجواء ليس حتميا، بل إرادة الإنسان.. فضغط المجتمع، والظروف العائلية رغم وجودها، إلاّ ان المؤمن يستطيع تجاوزها متى شاء، والمعتذرون الذين يبررون ضعفهم، أو تقاعسهم بهذه الأعذار، يخدعون أنفسهم، إذ يمكن للإنسان رغم كل هذه الظروف أن يسلك الطريق الصحيح.

ماذا تظن برجل عاش في أسوأ أسرة في تاريخ المسلمين؟! ولعنت على لسان القرآن ورسول الله؟! لم يكن يحق له الاعتذار عند انحرافه بأن ظروفه العائلية تضطره لذلك؟!

سعد الخير هو رجل ممن قاوم الظروف العائلية و لم يخضع لها، وكان خير مصداق لـــ (يخرج الطيب من الخبيث)، فهو سعد بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم من بني أمية ولكنه ربى نفسه، واقترب من أهل البيت (عليهم السلام) حتى أصبح الجميع يشهدون بجلالة قدره وعظم منزلته عند أبي جعفر الباقر (عليه السلام) حتى سماه بسعد الخير.

" دخل على أبي جعفر (عليه السلام) فجعل ينشج ويبكي كما تنشج النساء فقال له الإمام (عليه السلام):

– ما يبكيك يا سعد؟!

فقال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟ (يقصد بني أمية).

فقال (عليه السلام): لست منهم، أنت من أهل البيت أما سمعت قول الله تعالى (فمن تبعني فانه مني)!!

وكان الإمام (عليه السلام) دائم التوجيه له، فقد كتب له رسالتين مطولتين يبين فيها كتب الإمام الباقر (عليه السلام) إلى سعد الخير:

" بسم الله الرحمن الرحيم أما فإني أوصيك بتقوى الله فإن فيها السلامة من التلف والغنيمة في المنقلب، إن الله عز وجل يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله وبالتقوى نجى نوح ومن معه في السفينة وصالح ومن معه من الصاعقة وبالتقوى فاز الصابرون ونجت تلك العصب من المهالك ولهم أخوان على

---

122 / ذكر العلامة المجلسي (قدس سره) هذه الوصية في وصايا الإمام الجواد (عليه السلام) والصحيح أنها من وصايا الباقر (عليه السلام) إذ أن سعد الخير كان من أصحابه و لم يكن في زمن الجواد عليه السلام.

هذه الطريقة، يلتمسون تلك الفضيلة نبذو طغيانهم من الإيراد بالشهوات لما بلغهم في الكتاب من المثلات، حمدوا ربهم على ما رزقهم وهو أهل الحمد وذموا أنفسهم على ما فرطوا وهم أهل الذم، وأعلموا ان الله تبارك وتعالى الحليم العليم إنما غضبه على من لم يقبل منه هداه ثم أمكن أهل السيئات من التوبة بتبديل الحسنات، دعا عباده في الكتاب إلى ذلك بصوت رفيع لم ينقطع، و لم يمنع دعاء عباده، فعلن الله الذين يكتمون ما أنزل الله، وكتب على نفسه الرحمة فسبقت قبل الغضب، فتمت صدقا وعدلا، فليس يبتدأ العباد بالغضب قبل ان يغضبوه وذلك من علم اليقين وعلم التقوى، وكل أمة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه وولاهم عدوهم حين تولوه.

وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية وكان من نبذهم الكتاب أن ولوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوى وأصدروهم إلى الردى وغيروا عرى الدين ثم ورثوه في السفر والصبا فالأمة يصدرون عن أمر الناس بعد أمر الله تبارك وتعالى وعليه يردون، بئس للظالمين بدلا ولاية الناس بعد ولاية الله وثواب الناس بعد ثواب الله، ورضا الناس بعد رضا الله، فأصبحت الأمة كذلك وفيهم المجتهدون في العبادة على تلك الضلالة، معجبون مفتونون فعبادتهم فتنة لهم ولمن اقتدى بهم، وقد كان في الرسل ذكرى للعابدين، ان نبيا من الأنبياء كان يستكمل الطاعة ثم يعصي الله تبارك وتعالى في الباب الواحد فيخرج به من الجنة وينبذ به في بطن الحوت، ثم لا ينجيه إلاّ الاعتراف والتوبة.

فاعرف أشباه الأحبار والرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه فما ربحت تجارهم وما كانوا مهتدين، ثم اعرف أشباههم من هذه الأمة الذين أقاموا حروف الكتاب وحرفوا حدوده فهم مع السادة والكبرة فإذا تفرقت قادة الأهواء كانت مع أكثرهم دنيا وذلك مبلغهم من العلم، لا يزالون كذلك في طمع وطبع، ولا يزال يسمع صوت إبليس على ألسنتهم بباطل كثير، يصبر منهم العلماء على الأذى والعنيف، ويعيبون على العلماء بالتكليف والعلماء في أنفسهم خانة أن كتموا النصيحة، إن رأوا تائها ضالا لا يهدونه، أو ميتا لا يحيونه، فبئس ما يصنعون لأن الله تبارك وتعالى أخذ عليهم الميثاق في الكتاب أن يأمروا بالمعروف وبما أمروا به وأن ينهوا عما نهوا عنه، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، فالعلماء من الجهال في جهد وجهاد إن وعظت قالوا: طغيت وإن علموا الحق الذي تركوا قالوا: خالفت، وان اعتزلوهم قالوا: فارقت وان قالوا: هاتوا برهانكم على ما تحدثون، قالوا: نافقت وان أطاعوهم قالوا: عصيت الله عز وجل فهلك جهال فيما لا يعلمون، أميون فيما يتلون، يصدقون بالكتاب عند التعريف ويكذبون به عند التحريف، فلا ينكرون.

أولئك أشباه الأحبار والرهبان، قادة في الهوى، سادة في الردى، وآخرون منهم جلوس بين الضلالة والهدى لا يعرفون إحدى الطائفتين من الأخرى، يقولون ما كان الناس يعرفون هذا، ولا يدرون ما هو وصدقوا، تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله على البيضاء ليلها من نهارها لم يظهر فيهم بدعة و لم يبدل فيهم سنة لا خلاف عندهم ولا اختلاف، فلما عشى الناس ظلمة خطاياهم صاروا إمامين داع إلى الله تبارك وتعالى وداع إلى النار، فعند ذلك نطق الشيطان فعلى صوته على لسان أوليائه وكثر خيله ورجله وشارك في المال والولد من أشركه، فعمل بالبدعة، وترك الكتاب والسنة، ونطق أولياء الله بالحجة وأخذوا بالكتاب والحكمة فتفرق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل وتخاذل وتهادن أهل الهدى وتعاون أهل الضلالة حتى كانت الجماعة مع فلان وأشباهه، فاعرف هذا الصنف وصنف آخر فأبصرهم رأى العين تحيا وألزمهم حتى ترد أهلك، فان الخاسرين الذين خسروا

أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين "[١٢٣]

من أهم المشاكل التي تواجه العمل الثوري الرسالية وجود العلماء المزيفين، شيوخ البلاط الحاكم إذ أن وجود هؤلاء إلى جانب السلطان يخدع قسما من الجمهور ويلبس عليه الحقائق، ولهذا لا بد من كشفهم وفضح أساليبهم، ومعرفة صفاتهم.

والأئمة (عليهم السلام) وهم قادة الثورة الرسالية ضد السلطات الفاسدة، كانوا يعانون من وجود هذه الفئة المرتزقة بالدين، خصوصا أن بعض الحكام كانوا يظهرون بمظهر المحب للعلم والعلماء مما كان يجعلهم قادرين على استقطاب هكذا جماعات..

الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه الوصية لأحد صحابته المخلصين يبين فيها صفات هؤلاء وطريقة عملهم، والوصية تدور بشكل أساسي حول هذا الموضوع وان كانت لا تخلو من مواضيع أخرى:

يبدأ الإمام (عليه السلام) موصيا سعد الخير بالتقوى إذ هي جوهر التحرك، وفيها السلامة من الأخطاء والغنيمة في الآخرة وبها يفوز الصابرون من الأنبياء أو من يسير على دربهم.

ثم يتحدث عن أحد مصاديق عدم التقوى، أعني به العلماء الذي يكتمون ما انزل الله فيصفهم بالصفات التالية:

١- الالتزام بالهوى، واتباع المصلحة، فهو ليسوا فقط من أهل الدنيا ضد المؤمنين، وإنما مع الأكثر مالا وسلطانا من أهل الدنيا، إذا تفرقت الأهواء " فهم مع السادة والكبرة فإذا تفرقت قادة الأهواء كانوا مع أكثرهم دنيا ".

٢- الاهتمام بالحروف وإهمال الحدود وإغفال القيم، فترى بعضهم حافظا لآيات القرآن ولكنه أعمى البصيرة، فيما يتعلق بأحكام الآيات ومعانيها. هؤلاء يتفنون في إعراب ألفاظ القرآن، وفي تجويد آياته والالتزام بإدغامها وإخفائها وإظهارها وما شابه، ويخرجون الحروف من مخارجها، ويعرفون كيف يتقنون (الغنة)، ولكنهم (يروونه ولا يرعونه).

٣- معارضون لمنهج العلماء الربانيين والمجاهدين، فهم يعيبونهم باستمرار ويتهمونهم في كل أعمالهم، فحين يعظ الربانيون الناس ويبينون لهم طرق الخير والهداية، يتهمهم هؤلاء بالطغيان وتجاوز الحدود.. وحين يقولون الحق، ويوجهون إليه يتهمونهم بأنهم ضد الدولة، ومخالفون لسياسة الحكومة.

وإن تركوا الوعظ والإرشاد واعتزلوا، فإنهم لا يتركون إنما يتهمهم هؤلاء بأن اعتزالهم تمهيد لقلب نظام الحكم، وتهيئة لأرضية الثورة. " ان وعظت قالوا: طغيت وإن علموا الحق الذي تركوا قالوا: خالفت، وإن اعتزلوهم قالوا فارقت ".

وهناك فئة أخرى أيضا تنتهي إلى ما انتهت إليه الفئة الأولى وهم من يسمون أنفسهم بالمحايدين ويجعلون أنفسهم بين أهل الهدى وأهل الردى، فإنهم يترددون أخيراً في وهدة الانحراف (وآخرون منهم جلوس بين الضلالة والهدى لا يعرفون إحدى الطائفتين من الأخرى ".

---

123 / بحار الأنوار ٧٥/ ٣٥٩.

وعلى المرء ان يدقق النظر مفتشا عن فئة الرساليين العاملين في سبيل الله فإنه يحيا، وينجو هو ومن معه ".. وصنف آخر فأبصرهم رأي العين تحيا، والزمهم حتى ترد أهلك "، وبالتالي فهو غير معذور إن قصر في السعي لمعرفة الفئة الصالحة والقيادة الرشيدة في المجتمع، والقضية ليست سهلة وبسيطة، إنها تعين مسيرة الإنسان في الحياة.

الإمام الهادي (عليه السلام) مع أيوب بن نوح:

أيوب بن نوح بن دراج النخعي كان وكيلا لأبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام عظيم المنزلة عندهما، مأمونا، وكان شديد الورع، والتقى، كثير العبادة، ثقة في رواياته وأبوه نوح بن دراج كان قاضيا بالكوفة وكان صحيح الاعتقاد، كما يقول النجاشي رحمه الله. وقد توفي و لم يخلف إلاّ مئة وخمسين دينارا، وكان كثير من الناس يظنون أن لديه أموالا كثيرة. ويظهر انه كان يتولى مسؤولية إدارة الأعمال الرسالية في منطقته بالاشتراك مع أبي علي بن راشد الذي كان بدوره من الثقات والشخصيات الهامة في عمل الأئمة (عليهم السلام).

وفي كتاب له عليه السلام لأيوب بن نوح:

" وأنا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته فإنكم إن انتهيتم إلى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي وآمرك يا أبا علي بمثل ما آمرك به يا أيوب أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئا يحملونه ولا تلي لهم استيذاناً علي ومر من أتاك من غير أهل ناحيتك أن يصيره إلى الموكل بناحيته وآمرك يا أبا علي بمثل ما أمرت به أيوب وليقبل كل واحد منكما ما أمرته به " [١٢٤].

يتطور العمل الرسالي، بسبب إخلاص القائمين عليه، وفاعليتهم، وقبل ذلك ببركة الله سبحانه، فينتشر في أكثر مكان، وتعدد مجالاته، مما يجعل إدارته مركزيا عملا صعبا وغير منتج، وهنا لا بد من اتباع نظام اللامركزية- حسب الحدود المناسبة-.

إلاّ أن هذا النظام بدوره ليس خيرا مطلقا، فإن لم توفر بعض الضمانات فانه ينقلب ضارا، فعدم وضوح الخطة والجهل بالإستراتيجيات المطلوبة، أو عدم قدرة الشخص على اتخاذ القرارات المناسبة.. أو ضعف انتماء الشخص، يجعل نظام الوكالة دمارا على مجمل العمل. ولهذا فان الحاجة تبرز إلى رجال من نوعية خاصة في الصفات والكفاءات، ولقد رأينا في التاريخ أن بعض أصحاب الأئمة (عليهم السلام) بعد إن غرتهم الدنيا، وضعف انتماؤهم للرسالة، ذهبوا بما لديهم من أموال وأخماس مستفيدين من الموقع الذي حصلوا عليه كفارس بن حاتم وغيره.

ويحدث أحياناً أن يكون في منطقة واحدة اثنان من الرساليين ويكلف كل واحد منهما بمجال عمل يختلف عن مجال عمل الشخص الآخر، إلاّ أن التساهل أحياناً من قبل أحدهما أوكليهما، يفرز سلبيات تعم على التجمع ككل.

وفي هذه الرسالة يبين الإمام الهادي (عليه السلام) لاثنين من وكلائه: أيوب بن نوح وأبي علي بن راشد أخطار هذا الانفتاح ويوجههما إلى المطلوب:

---

124 / رجال الكشي ٢/ ٨٠١.

* الإقلال من الجلسات المشتركة: وهذا الفخ يقع فيه الكثير من العاملين، خصوصا أولئك البعيدين عن القيادة، والتوجيه المباشر، حيث أنهم يجدون أنفسهم في أماكن نائية، فيأنس بعضهم بالبعض الآخر، وهذا قد يكون مفيدا في حدود معينة ولكنه ينقلب إلى وباء حين يورث الانكشاف الأمني للعدو، أو التسيب في الحفاظ على الأسرار فيما بينهما.. وحين تتحول هذه الجلسات إلى حالة بطالة، وتشغل عن العمل الجاد، فعوض الذهاب إلى المجتمع والخوض في صراعاته ينشغل العاملون بكثرة الزيارات غير الضرورية، والجلسات والموائد.. الخ، مما يضيع عليهم فرصة التحرك الجاد " وأنا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي ".

* تجنب التداخل في العمل: يحدث أحياناً أن يقوم بعض الرساليين بمبادرة ما خارج إطار عملهم، وضمن دائرة عمل إخوانهم الآخرين مما يسبب إرباكا شديدا في الأعمال، ورغم أن المبادرة شيء مطلوب دائما، إلاّ أنها ضمن حدود مسؤوليات الشخص.

والإمام الهادي (عليه السلام) يوضح هنا في هذه الوصية أن يلزم كل واحد حدود مسؤولياته، والأعمال الموكلة إليه، ويبين أن الالتزام بالخطة الموضوعة وتطبيقها يغني كثيرا عن الرجوع إلى القيادة، الأمر الذي يكون عادة ليس سهلا وسريعا، إضافة إلى كونه يعطل القيادة عن أعمالها الأخرى، ويحرجها في قرارات تفصيلية ليست في صورتها الكاملة.

" وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته فإنكم إن انتهيتم إلى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي ".

ثم يأمره وصاحبه، بأن يعود الجمهور على الالتزام بالقناة السليمة، وان يساعد على تحويل ذلك إلى واقع عملي، فإذا كان بإمكانه القيام بعمل من الأعمال، ولكنه ليس في دائرة مسؤولياته، ويمكن أن يسبب تداخلا، فان عليه أن يحول هذا العمل إلى صاحبه الموكل به، حفاظا على النظام، وتربية الجمهور. سواء كان ذلك في مجال الحقوق المالية، أو العلاقة القيادية.

" وآمرك يا أبا علي بمثل ما آمرك به يا أيوب أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئا يحملونه، ولا تلي لهم استيذاناً علي ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يعيده إلى الموكل بناحيته ".

الخاتمة

وفي الختام.. عزيزي القارئ بعد مرور خاطف وسريع على طريق منهج أهل البيت (عليهم السلام) في التربية الرسالية، وإعداد الحواريين، حرصت فيه على توضيح هذه المفاهيم لثلاثة أصناف:-

- لك أخي المؤمن، أنت الذي تقارع الشيطان في داخلك وتصارع الطاغوت في الخارج، وتصر أبدا على الاستمرار حتى الدولة الكريمة أو رفقة الشهداء في جنة الله.. لكي تكون هذه معالم تهدينا إلى الصراط المستقيم.

- للصنف الآخر من المتدينين الذين لم تتح لهم فرصة التعرف الصحيح على أئمتهم وقادتهم، فلخصوهم، وقزموهم وحشروهم مع مئات الدراويش الذين لا دور لهم، ولا فعل ولا حياة فبخسوهم حقهم بشكل لا يقل عن ظلم غيرهم لهم (عليهم السلام).

لهؤلاء الذين قد يكون لبعضهم العذر- لسبب أو لآخر- حاولت أن أقدم لهم ما عرفته من صورة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، أئمة يقودون، وعلماء يرشدون، وحكماء يزكون، وفوق كل هذا واسطة بين السماء

والأرض توصل أهل الأرض إلى عبادة رب السماء، بعيدا عن الأضداد والأنداد..

- ولصنف ثالث، قد يوفق لقراءة هذه الأسطر، ضل طريق التغيير، فتراه يطفئ نار الطغيان الموجود، بنار الفساد المرتقب، ويريد علاج المريض بقطع رأسه!!

هؤلاء الذين تحسسوا بواقع مجتمعهم وبمأساة شعبهم مع أنظمة الجور القائمة، فاندفعوا إلى طريق التغيير بعيدا عن الإسلام ولكنهم وجدوا السراب وكلما تبعوه ابتعد عنهم، والبعض منهم قضى ولم تكتحل آماقه برؤية النصر، فأضاع دنياه وخسر آخرته، والبعض منهم يحتفل بمرور خمسين عاما وأحياناً أكثر على بدايته العمل السياسي في هذا الحزب أو ذاك، ولا يزال في الخطوة الأولى، وقد يكمل غيره الاحتفالات من بعده، ولا من شيء.. إلاّ انه (خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين).

إلى هؤلاء الذين قد يلتمس بعضهم الطريق نقول: انظر ها هو الدرب، والصراط الذي لن تسلك الأمة غيره.

بعدها.. أتركك عزيزي القارئ في حفظ الله الذي لا تضيع عنده الودائع.

فوزي آل سيف

المصادر

١- القرآن الكريم

٢- نهج البلاغة

٣- الصحيفة السجادية

٤- الكافي — ثقة الإسلام الكليني

٥- بحار الأنوار — المولى محمد باقر المجلسي

٦- وسائل الشيعة — الحر العاملي

٧- سفينة البحار — المحدث القمي

٨- تحف العقول — ابن شعبة الحراني

٩- ميزان الحكمة — محمدي ري شهري

١٠- الحياة — محمد رضا الحكيمي

١١- مكارم الأخلاق — الشيخ الطبرسي

١٢- المحجة البيضاء — الملا محسن الكاشاني

١٣- رجال الكشي — شيخ الطائفة الطوسي

١٤- تنقيح المقال في علم الرجال — العلامة المامقاني

١٥- جامع الرواة — العلامة الاردبيلي

١٦- معجم رجال الحديث — آية الله الخوئي

١٧- رجال السيد بحر العلوم — السيد مهدي بحر العلوم

١٨- أعيان الشيعة — السيد محسن الأمين

١٩- صفات الشيعة الشيخ الصدوق

٢٠- نفس الرحمان في فضائل سلمان المحدث النوري

٢١- العرفان الإسلامي السيد محمد تقي المدرسي

٢٢- المنطق الإسلامي السيد محمد تقي المدرسي

محتويات الكتاب